



# الخشوع في الصلاة



إعداد

عبد الرحمن بن ناصر البصوع

غزة - فلسطين

1441 هـ - 2020 م



## لَفْتَةٌ لِلْقَارِئِ الْكَرِيمِ

اجْتَهَدْ أَنْ تَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى تُتِمَّهُ عَنْ آخِرِهِ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ فِي أَوَّلِ الْمَادَّةِ أَوْ فِي آخِرِهَا يَنْفَعُ اللَّهُ بِهَا قَارِئَهَا نَفْعًا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ، بَعْدَمَا يَرِقُّ قَلْبُهُ وَيَخْشَعُ لِدُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاللَّهُ يُعْظِمُ ذَلِكَ مِنَ الْعَبْدِ، وَلَكَرِيمًا يُورِثُهُ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الصَّالِحِينَ يَسْعَدُ بِهَا إِلَى آخِرِ عُمْرِهِ، أَوْ يُودِعَ فِي صَدْرِهِ حِلَاوَةً لِلْإِيمَانِ لَا يَزَالُ يَجِدُهَا وَيَتَمَتَّعُ بِهَا إِلَى أَنْ يَلْقَى اللَّهَ، وَمَا تَغِيبُ شَمْسُ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى الْقَارِئِ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَتْ لَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ غَيَّبَتْ مَعَهَا ذُنُوبَ عُمْرٍ بأكملِهِ، حَتَّى يُصْبِحَ وَيُمْسِيَ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَكُرَّانِ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَمَرَّغُ بِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، وَيَرْضَى اللَّهُ عَلَيْهِ رِضًا لَا سَخَطَ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَعَلَى هَذَا شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ، وَأَحْوَالُ مُبَارَكَةٍ، يَطُولُ الْمَقَامُ فِي ذِكْرِهَا، فَلَا عَجَبَ مِنْ جَلِيلِ كَرَمِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَعَنْ بِلَالِ الْمَزْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ» <sup>(1)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: «يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ» <sup>(2)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ اهْتَدَى خَلْقٌ بِكَلِمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ مَوْقِعَهَا فَأَنْبَتَهَا اللَّهُ نَبَاتًا حَسَنًا، حَتَّى تَرَادَّ الْمُتَنَفِّعُ بِهَا، وَسَطَعَتْ شَمْسُهُ، وَعَلَا كَعْبُهُ، وَأَصْبَحَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ بَلَدِهِ، بَلْ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَكَانَ مِنْ غَرَسِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

(1) أخرجه الترمذي: 4 / 559، رقم: (2319)، وقال: حديث حسن صحيح، وكذا الألباني.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 8 / 101، رقم: (6478).

## تَقْرِظُ رَقْم: (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ، وَبَعْدُ:  
فَقَدْ أَطْلَعْتُ عَلَى الْكِتَابِ الْمَوْسُومِ بِ: الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، لِمُؤَلِّفِهِ الْمُبَارَكِ  
الشَّيْخِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَبْحُوحِ، وَجَدْتُهُ كِتَابًا مَاتِعًا نَافِعًا، بَيَّنَ فِيهِ مَعْنَى الْخُشُوعِ،  
وَأَسْبَابَهُ، وَأَنْوَاعَهُ، وَثَمَرَاتِهِ، وَأَنَّ صِفَةَ الْخُشُوعِ مِنْ أَعْلَى وَأَرْفَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ  
وَالْمُؤْمِنِينَ، الْمُوَصَّلَةِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ -تَعَالَى- أَنْ يَكْتُبَ لِهَذَا  
الْكِتَابِ الْقَبُولَ وَأَنْ يَعْمَ نَفْعُهُ الْمُسْلِمِينَ فِي شَتَى بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَأَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهِ  
شَفِيعًا يَوْمَ يَلْقَى رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

وَكَتَبَهُ

الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ

هَانِي بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَلِي



## تَمَرِّظٌ رَقْم: (2)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، أَمَّا بَعْدُ:  
فَالصَّلَاةُ مِنْ أَهَمِّ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ شَأْنَهَا، وَأَوْصَى بِهَا، وَجَعَلَهَا  
مِفْتَاحَ كُلِّ سَعَادَةٍ، وَجَعَلَ لَهَا أَرْكَانًا، وَسُنَنًا وَآدَابًا، وَجَعَلَ لَهَا جَسَدًا وَرُوحًا، وَلَعَلَّ  
رُوحَهَا هُوَ الْخُشُوعُ، وَبِدُونِهِ لَا أَثَرَ لِهَذِهِ الصَّلَاةِ، وَجَاءَ هَذَا السَّفَرُ الْكَرِيمُ -  
الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ- شَامِلًا لِلْمَوْضُوعِ مُفِيدًا، جَمَعَ صَاحِبُهُ كَمَا كَثِيرًا مِنْ أَقْوَالِ  
أَهْلِ السُّلُوكِ، وَكَذَا تَجَرَّبَتَهُمْ، فَعَالَجَ مَسَائِلَ كَثِيرَةً، فَذَكَرَ مَفْهُومَ الْخُشُوعِ فِي  
الصَّلَاةِ، وَحَقِيقَتَهُ، وَأَقْسَامَهُ، وَدَرَجَاتِهِ، وَحُكْمَهُ، وَأَسَاسَ الْخُشُوعِ، وَالْإِلْتِقَاتِ فِي  
الصَّلَاةِ، وَعِلَاجَ طَرْدِ وَسْوَاسَةِ الشَّيْطَانِ، وَمُعِينَاتِ الْخُشُوعِ.

فَيَا لَهُ مِنْ سَفَرٍ مَا أَعْظَمَهُ فِي بَابِهِ، حَيْثُ سَلَكَ الْكَاتِبُ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ: عَبْدُ  
الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْمُبْحُوحِ مَسْلُكًا جَمَعَ فِيهِ نُصُوصًا كَثِيرًا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ،  
وَهَذَا الْكِتَابُ مُفِيدٌ لِكُلِّ طَالِبٍ عِلْمٍ، حَتَّى لِلْمُبْتَدِئِينَ وَلِلْعَوَامِّ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ يَحْتَاجُ  
إِلَى تَعْدِيلِ صَلَاتِهِ وَتَقْوِيمِهَا.

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِالْكِتَابِ وَصَاحِبِهِ، وَأَنْ يَكْتُبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكُتِبَ

الشيخ: عبد الباري بن محمد خلة







## مُقَدِّمَاتُهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يَنْبَغِي لِعِزَّةِ جَلَالِهِ، وَكَرِيمِ وَجْهِهِ، وَحُسْنِ صِفَاتِهِ، وَقَدِيمِ سُلْطَانِهِ، بِجَمِيعِ مَحَامِدِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُمْ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، عَلَى آلَائِهِ وَنِعَمَائِهِ كُلِّهَا، مَا عَلِمْنَا مِنْهَا وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، عَدَدَ مَا خَطَّهُ قَلَمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَامْتَنَهَى رَحْمَتِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَمِلْءَ سَمَاوَاتِهِ وَمِلْءَ أَرْضِهِ، وَمِثْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَضْعَافَ ذَلِكَ، عَدَدَ مَا ذَكَرَهُ بِهِ خَلْقُهُ فِي كُلِّ مَا مَضَى، وَعَدَدَ مَا سَيُذَكَّرُ بِهِ فِيَمَا بَقِيَ، حَمْدًا خَارِجًا عَنِ الْأَعْدَادِ، لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى مَدَدِ الْأَمْدَادِ، وَلَا يَنْقَطِعُ أَوْلَاهُ وَلَا يَنْفَدُ أَخْرَاهُ، حَمْدًا شَافِيًا وَافِيًا تَامًا مُبَارَكًا دَائِمًا مِنْ لَدُنْهُ يَدُومُ بِدَوَامِهِ، وَيَبْقَى خَالِدًا بِبَقَاءِ قِيُومَتِهِ وَأَزَلِّيَّتِهِ، حَمْدًا يَعْدِلُ مَعْرِفَتَكَ رَبَّنَا بِجَلَالِ قُدْرَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُجَازِي آلَاكَ أَحَدٌ، وَلَا يُلْبِغُ مَدْحَكَ قَوْلٌ قَائِلٌ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، كَمَا أَنْتَ أَهْلُهُ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ..

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْإِتِّمَانِ الْأَكْمَلَانِ الْمُبَارَكَانِ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ؛  
 نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِينِ؛ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ وَالدِّينِ، فَشَرَحَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ  
 الْقُلُوبَ، وَأَنَارَ بِهِ السُّبُلَ وَالذُّرُوبَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ مَا آذَنْتَ شَمْسُ  
 بَغْرُوبٍ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى  
 صَحْبِهِ نُجُومِ الْمُهْتَدِينَ، وَرُجُومِ الْمُعْتَدِينَ، الَّذِينَ قَامُوا بِحَقِّ صُحْبَتِهِ وَتَبْلِيغِ  
 رِسَالَتِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ التَّابِعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمُ الْمُبَارَكِ إِلَى يَوْمِ  
 الدِّينِ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ تَعَالَى عَظَّمَ شَأْنَ الصَّلَاةِ وَأَجَلَّهَا وَأَكْبَرَهَا؛ وَرَفَعَ ذِكْرَهَا وَأَعْلَى  
 مَكَانَتَهَا، وَحَبَّأَهَا وَشَرَّفَهَا عَلَى غَيْرِهَا، إِذْ هِيَ أَحَدُ أَعْظَمِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ  
 بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، فُرِضَتْ يَوْمَ فُرِضَتْ لِأَهَمِّيَّتِهَا فِي السَّمَاءِ، فَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ  
 الْأَكْبَرِ، وَرُكْنُهُ الْأَفْوَمُ، وَعُرْوَتُهُ الْأَوْثَقُ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ؛  
 وَبَيَّانُ مَحَلِّهَا مِنَ الدِّينِ، مَا نَصَّ عَلَيْهِ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ بِقَوْلِهِ ﷺ لِمُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:  
 «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»<sup>(1)</sup>، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلصَّلَاةِ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ  
 الْجَنَّةِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ..<sup>(2)</sup>، وَلَا يَتَهَيَّأُ دُخُولَ

(1) أخرجه أحمد: 36 / 345، رقم: (22016)، والترمذي: 5 / 11، رقم: (2616)، وقال:

حسن صحيح، وصححه الدارقطني، والألباني.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 3 / 25، رقم: (1897)، ومسلم: 2 / 711، رقم:

(1027).

الْجَنَّةِ بِدُونِ الصَّلَاةِ إِذْ هِيَ مِفْتَاحُهَا، فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلَاةُ» <sup>(1)</sup>، «أَيُّ مِصْبَحٍ دُخُولُهَا الصَّلَاةُ لِأَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ مُعَلِّقَةٌ لَا تُفْتَحُ إِلَّا بِالطَّاعَاتِ، وَالصَّلَاةُ أَعْظَمُ مَفَاتِيحِهَا» <sup>(2)</sup>، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، وَمَدَارُ نَجَاحِ الْعَبْدِ وَفَلَاحِهِ فِي آخِرَتِهِ بِهَا، بَلْ إِنَّ تَقْرِيرَ مَصِيرِهِ مَرهُونٌ وَمَوْفُوفٌ عَلَى صَلَاحِ صَلَاتِهِ، وَإِنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي تُرْجَى لَهَا الْبَرَكَةُ وَالْفَلَاحُ هِيَ صَلَاةٌ مُتَبَسِّئَةٌ بِالْخُشُوعِ، وَصَلَاةٌ بِلَا خُشُوعٍ وَلَا حُضُورِ قَلْبٍ، كَجَسَدٍ مَيِّتٍ لَا رُوحَ فِيهِ، فَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَى طَاعَةٍ، بَيْنَهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ صَلَاحًا وَفَلَاحًا وَبِرًّا وَإِحْسَانًا بِسَبَبِ خُشُوعِ الْقُلُوبِ أَوْ عَدَمِهَا، وَكَمْ مِنْ أَنْاسٍ جَمَعَتْهُمْ الْمَسَاجِدُ وَكَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الرَّفْعَةِ وَالذَّرَجَاتِ، مَا لَا يُقَادِرُ قَدْرُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ يَعِزُّ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ لَحْظَةً حِينَمَا يَقُومُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ خَاشِعًا مُتَخَشِّعًا فِي صَلَاتِهِ، فَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ يُخْرِجُ مَا فِي صَدْرِهِ مِنْ كَلَامِ خَالِقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُعْظِمُ مِنْ عَبْدِهِ هَذَا الْمَوْقِفَ وَرَبِّمَا يُورِثُهُ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الصَّالِحِينَ، وَلَرَبِّمَا يَسْرُحُ صَدْرَهُ لِلطَّاعَةِ فَلَا يَنْقَبِضُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَاللَّهُ كَرِيمٌ، وَالْأَمَلُ بِهِ كَبِيرٌ، سَيِّمًا إِذَا خَشَعَ الْعَبْدُ بِصَدَقٍ صَادِقٍ يَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ -تَعَالَى- وَالذَّارِ الْآخِرَةِ، «وَقَدْ يَتَخَشَّعُ الْمَرْءُ بِأَرْكَانِهِ وَلَيْسَ بِخَاشِعٍ، فَإِنْ أَرَادَ بِخُشُوعِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ -تَعَالَى- فَهُوَ مُحْمُودٌ، وَعَلَى ذَلِكَ مَا جُورُ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِ اللَّهِ -تَعَالَى- فَهُوَ

(1) أخرجه الترمذي: 1 / 10، رقم: (4)، وحسنه السيوطي، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: 2 / 377، بتصرف.

تَمَاوُتْ، وَعَلَيْهِ مَمْقُوتٌ»<sup>(1)</sup>، قَالَ بَعْضُهُمْ: «إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ؛ وَإِنَّ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»<sup>(2)</sup>، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ **رَحِمَهُ اللَّهُ** لَيْلَةَ عَرَفَةَ عِنْدَ قُرْبِ الْإِفَاضَةِ: «لَيْسَ السَّابِقُ الْيَوْمَ مَنْ سَبَقَ بَعِيرُهُ، وَإِنَّمَا السَّابِقُ مَنْ غَفِرَ لَهُ»<sup>(3)</sup>، فَالصَّلَاةُ الَّتِي يُرْجَى خَيْرُهَا وَبَرَكَتُهَا تِلْكَ الصَّلَاةُ الَّتِي خَشَعَتْ فِيهَا الْقُلُوبُ، وَانْكَسَرَتْ وَأَخْبَتَتْ لِلَّهِ عِلَامِ الْغُيُوبِ، وَهِيَ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا لِلْعَبْدِ الْفَائِدَةُ الْمَرْجُوءَةُ، وَالْمِنْحَةُ السَّمَاءِيَّةُ، وَالْبَرَكََةُ الْمُرْصِيَّةُ، إِذْ إِنَّ الصَّلَاةَ لَهَا أَزْكَانٌ وَوَاجِبَاتٌ وَسُنَنٌ، وَرُوحُهَا وَلُبُّهَا الْخُشُوعُ وَحُضُورُ الْقَلْبِ فِيهَا، وَالصَّلَاةُ تَشْتَمِلُ عَلَى أَذْكَارٍ وَمُنَاجَاةٍ وَأَفْعَالٍ، وَمَعَ عَدَمِ حُضُورِ الْقَلْبِ فِيهَا لَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْأَذْكَارِ وَالْمُنَاجَاةِ، لِأَنَّ النُّطْقَ إِذَا لَمْ يُعْرَبْ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْهَذْيَانِ، وَكَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ الْمُرَادُ مِنَ الْأَفْعَالِ، لِأَنَّ الْقَصْدَ مِنَ الْقِيَامِ الْخِدْمَةُ، وَمِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ الذُّلُّ وَالتَّعْظِيمُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْقَلْبُ حَاضِرًا لَمْ يَحْصُلِ الْمَقْصُودُ الْمَطْلُوبُ، وَلَا تُثْمِرُ الصَّلَاةُ لِمَنْ فَعَلَهَا دُونَ مَا خُشِعَ مَا جَاءَ مِنْ بَرَكَتِهَا، مِثْلَمَا جَاءَ أَنَّهَا تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ...، فَمَتَى خَرَجَ الْفِعْلُ عَنْ مَقْصُودِهِ بَقِيَتْ صُورَةٌ لَا اِعْتِبَارَ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ﴾ [الحج: 37]، وَالْوَاصِلُ إِلَى

(1) نَوَادِرُ الْأُصُولِ فِي أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ، لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ: 2 / 172.

(2) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ، لِابْنِ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةِ: 1 / 567.

(3) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِيِّ، لِابْنِ حَجَرٍ: 3 / 522.

الله ﷻ، لَا يَكُونُ لَهُ هَذَا الْوَصْفُ، إِلَّا إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى قَلْبِهِ الْخُشُوعُ<sup>(1)</sup>، وَفِي الْحَقِيقَةِ، الصَّلَاةُ صَلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فَمَنْ تَحَقَّقَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِ تَحَقَّقَتْ لَهُ الصَّلَاةُ الْوَاصِلَةُ بِرَبِّهِ، وَلَمَعَتْ لَهُ طَوَالِغُ التَّجَلِّي، وَلَا حَتَّ لَهُ أَنْوَارُ الْمَعْرِفَةِ، وَخَشَعَ قَلْبُهُ وَبَدَنُهُ، لِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ<sup>(2)</sup>، وَيَتَضَعُ اللهُ **جَلَّ جَلَالُهُ** لِعَبْدِهِ الْخَاشِعِ أَبْوَابَ الدُّعَاءِ وَأَلْوَانَهُ، فَكُلَّمَا خَشَعَ قَلْبُهُ وَلَانَ فُؤَادُهُ، رَفَعَ أَكْفَ التَّضَرُّعِ وَاللُّجُوءِ لِرَبِّهِ، أَنْ يُمِدَّهُ بِتَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ، وَإِذَا ارْتَدَادَ الْخُشُوعُ كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ وَأَعْظَمَ وَأَبْرَكَ<sup>(3)</sup>، «وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ يُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنَ اللهِ ﷻ، وَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ اللَّذَّةُ فِي مُنَاجَاةِ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّذَّةَ تَابِعَةٌ لِلْمَحَبَّةِ، تَقْوَى بِقُوَّتِهَا، وَتَضَعُفُ بِضَعْفِهَا، فَكُلَّمَا كَانَتْ الرَّغْبَةُ فِي الْمَحْبُوبِ، وَالشَّوْقُ إِلَيْهِ أَقْوَى، كَانَتْ اللَّذَّةُ بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ أَتَمَّ»<sup>(4)</sup>، وَإِذَا زَادَ الْخُشُوعُ ثُمِرُ التَّلَذُّذِ بِطَعْمِ الصَّلَاةِ وَلَا بُدَّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لِلصَّلَاةِ طَعْمًا؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ، وَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ -تَعَالَى- يَتَلَذَّذُ بِهَا الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ مَعَ اللهِ تَعَالَى؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»<sup>(5)</sup>، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ **رَحِمَهُ اللهُ**، قَالَ: «حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «مَا لِي لَا أَرَى

(1) انظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي: 1 / 26، وتفسير المراغي: 6 / 5.

(2) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني: 2 / 76.

(3) انظر: كيف تخشع في الصلاة، لمجدي أبو عريش: 1 / 56-68.

(4) انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية: 1 / 134.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 62 / رقم: (34).

حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ تَظْهَرُ عَلَيْكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ دُبَّ الْغَايَةِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ؛ لَظَهَرَ عَلَيْهِ حَلَاوَتُهُ»<sup>(1)</sup>، «فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- لِلْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَوَجَدَ حَلَاوَتَهُ، فَيَسْتَلِذُّ بِالطَّاعَةِ، وَيَسْتَعِذُّ بِهَا، وَيَتَحَمَّلُ التَّعَبَ وَالْمَشَاقَّ فِي سَبِيلِ رَبِّهَا»<sup>(2)</sup>، وَاعْلَمْ أَنَّ فَلَاحَ الْعَبْدِ وَنَجَاحَهُ، مَعْقُودٌ وَمَرْكُوزٌ حَسَبَمَا يَكُونُ مِنْ مِقْدَارِ الْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِ.

وَقَدْ أَعَانَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَ مَا جَاءَ فِي خُشُوعِ الصَّلَاةِ، وَنُفَرِّدَهَا فِي مَادَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَخَاصَّتُهُمْ، وَسَمَّيْنَاهَا «الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ».

سَائِلًا رَبًّا كَرِيمًا، بَرَّارَ حَيِّمًا، بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَأَقْرَبِهَا زُلْفَةً لَدَيْهِ، أَنْ يَرْزُقَنَا جَمِيعًا الْخُشُوعَ وَالْخُضُوعَ فِي الصَّلَاةِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِيهَا، وَأَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ، وَيُعِمْ نَفْعَهَا، وَيُعِينَ عَلَى نَشْرِهَا، وَيُجْزِلَ الثَّوَابَ لِكُلِّ مَنْ سَاهَمَ فِيهَا مِنْ تَحْقِيقٍ وَتَدْقِيقٍ وَتَنْسِيقٍ وَتَوْجِيهِ وَطِبَاعَةٍ وَتَبْلِيغٍ..

وَإِنَّا بِفَضْلِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ أَعْدَدْنَا هَذِهِ الْمَادَّةَ، مُعْتَرِفِينَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي يَعْلَمُهَا الْخَالِقُ لَا الْمَخْلُوقُ، فَلَا أَمْرُ أَمْرِهِ، وَالْمُلْكُ مُلْكُهُ، وَالْمَعُونَةُ مِنْهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ، وَكُلُّنَا أَمْلٌ بِرِضَاهُ، وَطَمَعٌ بِمَحَبَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَالْقَصْدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْيِيْبُ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَدِلَالَتِهِمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ بَلَّغْنَا أَنَّ مَنْ

(1) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 259.

(2) عقيدة المسلم، لسعيد القحطاني: 1 / 69، بتصرف.

دَعَا النَّاسَ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَلَا شَيْءٌ يُحَرِّمُهُ الْعَبْدُ إِذَا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَقَرَّبَهُ، فَمِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ نَسْتَمِدُّ الْعَوْنَ وَالتَّوْفِيقَ، وَنَسْتَلْهُمُ الصَّوَابَ وَالسَّدَادَ، وَالْهُدَى وَالرَّشَادَ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ فَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْنَا، وَبِكَ آمَنَّا، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْكَ أُنَبَّأْنَا، وَبِكَ خَاصَمْنَا، نَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنَا، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ.

يَا رَبِّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \*\*\* وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْحُسْنَى لَنَا مَدَدًا  
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا \*\*\* فَالْعَبْدُ يَعْجُزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا





## الفصل الأول

مفهوم الخشوع في الصلاة، وحقيقتها، وأقسامه،

ودرجاته، وحكمه، وما يترتب على عدمه





## أولاً: مفهوم الخُشُوع في الصلاة وحقيقته

### مَفْهُومُ الْخُشُوعِ: لُفَّةٌ وَاصْطِلَاحٌ:

1- **الْخُشُوعُ لُغَةً:** أَي: رَمِيكَ بِبَصَرِكَ إِلَى الْأَرْضِ، وَيُقَالُ: تَخَاشَعْتُ: أَي تَشَبَّهْتُ بِالْخَاشِعِينَ<sup>(1)</sup>، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ:** «خَشَعَ: الْخَاءُ وَالشَّيْنُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى التَّطَامُنِ، يُقَالُ: خَشَعَ إِذَا تَطَامَنَ وَطَاطَأَ رَأْسَهُ»، وَأَخْشَعْتُ أَي طَاطَأْتُ الرَّأْسَ كَالْمُتَوَاضِعِ<sup>(2)</sup>، وَيُقَالُ: رَجُلٌ مُتَخَشِّعٌ مُتَضَرِّعٌ، وَالْخُشُوعُ وَالتَّخَشُّعُ وَالتَّضَرُّعُ وَاحِدٌ، قَالَ الْبَيْضاوِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ:** «الْخُشُوعُ: الْإِخْبَاتُ، وَالْخُضُوعُ: وَهُوَ اللَّيْنُ وَالْإِنْقِيَادُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: الْخُشُوعُ بِالْجَوَارِحِ، وَالْخُضُوعُ بِالْقُلُوبِ»<sup>(3)</sup>، وَفِي الْحَقِيقَةِ الْخُشُوعُ هُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ الْخُضُوعِ إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ، وَالْخُشُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالصَّوْتِ وَالْبَصَرِ، قَالَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [المعارج: 44]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: 108]<sup>(4)</sup>، أَي سَكَنتُ، وَالْخُشُوعُ: غَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّهُولَةُ وَاللَّيُونَةُ، وَأَكْمَةُ خَاشِعَةٌ أَي: مُلْتَرِمَةٌ

(1) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: 1 / 112.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: 2 / 182.

(3) انظر: معجم الفروق اللغوية، للعسكري: 1 / 217.

(4) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: 1 / 129، ومعجم مقاييس اللغة، لابن

فارس: 2 / 182، ولسان العرب، لابن منظور: 8 / 71، والمصباح المنير، للفيومي: 1 / 172.

لَا طِئَةً بِالْأَرْضِ مُلتَصِقَةً»<sup>(1)</sup>، وَيُقَالُ: خَشَعَ بَصَرُهُ، أَي غَضَّهُ، وَبِلَدَّةٍ خَاشِعَةً، أَي مُعْبِرَةً لَا مَنَزَلَ بِهَا»<sup>(2)</sup>، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَاشِعُ: الْمُسْتَكِينُ وَالرَّائِعُ...»<sup>(3)</sup>.

2- الْخُشُوعُ اصْطِلَاحًا: قَالَ الْجُرْجَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخُشُوعُ... فِي اصْطِلَاحِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ... الْإِنْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْخُشُوعِ، وَقِيلَ: هُوَ الْخَوْفُ الدَّائِمُ فِي الْقَلْبِ، وَقِيلَ مِنْ عَلَامَاتِ الْخُشُوعِ: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ، اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالْإِنْقِيَادِ»<sup>(4)</sup>، قَالَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَاشِعُ مَنْ انْخَمَدَتْ نِيرَانُ شَهْوَتِهِ، وَسَكَنَ دُخَانَ صَدْرِهِ، وَأَشْرَقَ نُورُ التَّعْظِيمِ فِي قَلْبِهِ، فَمَاتَتْ شَهْوَتُهُ، وَحَيِيَ قَلْبُهُ، فَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»<sup>(5)</sup>، وَسُئِلَ الْجَنِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْخُشُوعِ فَقَالَ: «تَذَلُّ الْقُلُوبِ لِعَلَامِ الْغُيُوبِ» وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّ الْقَلْبِ، وَيُقَالُ: الْخُشُوعُ ذُبُولٌ يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ عِنْدَ اطِّلاعِ الرَّبِّ، وَيُقَالُ: الْخُشُوعُ ذُوبَانُ الْقَلْبِ وَانْخِنَاسُهُ عِنْدَ سُلْطَانِ الْحَقِيقَةِ، وَيُقَالُ: الْخُشُوعُ قُشْعِرِيرَةٌ تَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بَغْتَةً عِنْدَ مُفَاجَأَةٍ كَشَفِ الْحَقِيقَةِ»<sup>(6)</sup>.

(1) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: 1 / 112.

(2) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: 3 / 1204.

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: 2 / 182.

(4) التعريفات للجرجاني، فصل الشين: 1 / 132، بتصرف.

(5) الرسالة القشيرية، للقشيري: 1 / 276.

(6) الرسالة القشيرية، للقشيري: 1 / 276.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وَالْخُشُوعُ: هَيْئَةٌ فِي النَّفْسِ يَظْهَرُ مِنْهَا فِي الْجَوَارِحِ سُكُونٌ وَتَوَاضِعٌ» <sup>(1)</sup>، وَالتَّوَاضَعُ لِلَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** خُشُوعًا لَهُ، سَبَبٌ فِي رِفْعَةِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَائِلًا: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ تَخَشُّعًا، رَفَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَطَاوَلَ تَعَظُّمًا، وَضَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» <sup>(2)</sup>، وَقِيلَ «الْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ...» <sup>(3)</sup>، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «الْخَوْفُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْخُضُوعُ، وَالْإِخْبَاتُ، وَالْوَجَلُ: مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، فَالْخَوْفُ يَمْنَعُ الْعَبْدَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُشَارِكُهُ الْخَشْيَةُ فِي ذَلِكَ، وَتَزِيدُ أَنَّ خَوْفَهُ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا الْخُضُوعُ، وَالْإِخْبَاتُ، وَالْوَجَلُ، فَإِنَّهَا تَنْشَأُ عَنِ الْخَوْفِ، وَالْخَشْيَةِ، فَيَخْضَعُ الْعَبْدُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيُخْبِتُ إِلَى رَبِّهِ مُنِيبًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَيَحْدُثُ لَهُ الْوَجَلُ، وَأَمَّا الْخُشُوعُ، فَهُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ وَقْتَ تَلَبُّسِهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُكُونُ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ، وَأَمَّا الْخُشُوعُ الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ وَصْفُ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَمُرَاقَبَتِهِ، فَيَسْتَوْلِي ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ كَمَا تَسْتَوْلِي الْمَحَبَّةُ» <sup>(4)</sup>.

(1) تفسير القرطبي: 1 / 374.

(2) الزهد، للإمام وكيع بن الجراح: 2 / 467.

(3) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 521.

(4) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي: 1 / 361-362.

وَبَيَّنَ اللَّهُ ﷻ أَنَّ الْجِبَالَ لَوْ أُنْزِلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ فَجَاءَتْ، لَخَشَعَتْ وَتَصَدَّعَتْ لَحَظَّتْهَا مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهَا، فَكَذَلِكَ يَتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ خَاشِعًا عِنْدَ سَمَاعِهِ لِكَلَامِ رَبِّهِ وَمَوَاعِظِهِ<sup>(1)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21].

قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَيْسَ الْخُشُوعُ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، وَلَكِنَّهُ السُّكُونُ وَحُسْنُ الْهَيْئَةِ فِي الصَّلَاةِ»، وَقِيلَ: «الْخُشُوعُ هُوَ جَمْعُ الْهَمَّةِ لَهَا، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهَا» وَجَاءَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «يَحْتَاجُ الْمُصَلِّي إِلَى أَرْبَعٍ خِلَالِ حَتَّى يَكُونَ خَاشِعًا: إِعْظَامُ الْمَقَامِ، وَإِخْلَاصُ الْمَقَالِ، وَالْيَقِينُ التَّمَامُ، وَجَمْعُ الْهَمِّ»<sup>(2)</sup>، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: جَمَاعُ الْخُشُوعِ: هُوَ التَّذَلُّلُ لِلْأَمْرِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلْحُكْمِ، وَالانْصِيَاغُ لِلْحَقِّ، فَيَتَلَقَّى الْأَمْرَ بِقَبُولٍ وَانْقِيَادٍ وَامْتِثَالٍ، وَيَسْتَسْلِمُ لِلْحُكْمِ بِلَا مُعَارَضَةٍ وَلَا رَأْيٍ، وَيَتَضَعُ قَلْبُهُ وَيَنْكَسِرُ، لِنَظَرِ الرَّبِّ ﷻ إِلَى قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ.

وَالْحَقُّ أَنَّ الْخُشُوعَ هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلْحُكْمَيْنِ، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ بِالْمُسْكَنَةِ وَالذُّلِّ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وَأَمَّا الْإِتِّصَاعُ لِنَظَرِ الْحَقِّ فَهُوَ اتِّصَاعُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، وَانْكِسَارُهَا لِنَظَرِ الرَّبِّ إِلَيْهَا، وَاطَّلَاعُهُ عَلَى تَفَاصِيلِ مَا فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ،

(1) انظر: تفسير ابن كثير: 8 / 78، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي:

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: 5 / 280.

وَهَذَا أَحَدُ التَّوِيلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 46] وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى﴾ [النازعات: 40] وَهُوَ مَقَامُ الرَّبِّ عَلَى عَبْدِهِ بِالِاطِّلَاعِ وَالْقُدْرَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، فَخَوْفُهُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ يُوجِبُ لَهُ خُشُوعَ الْقَلْبِ لَا مَحَالَةَ، وَكُلَّمَا كَانَ أَشَدَّ اسْتِحْضَارًا لَهُ كَانَ أَشَدَّ خُشُوعًا، وَإِنَّمَا يُفَارِقُ الْقَلْبُ إِذَا غَفَلَ عَنِ اطِّلَاعِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَنَظَرِهِ إِلَيْهِ<sup>(1)</sup>.

«وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَحْضِرًا لِقُرْبِهِ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ قَلْبُهُ، وَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ، وَتَسْكُنُ حَرَكَاتُهُ، وَيَقِلُّ التَّفَاهُتُ، مَتَادِبًا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ، مُسْتَحْضِرًا جَمِيعَ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَتَنْتَفِي بِذَلِكَ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ الرَّدِيئَةُ، وَهَذَا رُوحُ الصَّلَاةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا، وَهُوَ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ، فَالصَّلَاةُ الَّتِي لَا خُشُوعَ فِيهَا، وَلَا حُضُورَ قَلْبٍ، وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِئَةً مُثَابًا عَلَيْهَا، فَإِنَّ الثَّوَابَ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْقِلُ الْقَلْبُ مِنْهَا»<sup>(2)</sup>.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْخُشُوعُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا: التَّوَاضُّعُ وَالذُّلُّ، وَالثَّانِي: السُّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ، وَذَلِكَ مُسْتَلَزِمٌ لِلْبَيْنِ الْقَلْبِ الْمُنَافِي لِلْقَسْوَةِ، فَخُشُوعُ الْقَلْبِ يَتَضَمَّنُ عُبُودِيَّةَ اللَّهِ وَطَّمَأْنِينَتَهُ أَيْضًا، وَلِهَذَا كَانَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ يَتَضَمَّنُ هَذَا وَهَذَا، وَخُشُوعُ الْجَسَدِ تَبَعٌ لَخُشُوعِ الْقَلْبِ إِذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُرَائِيًا يُظْهِرُ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، كَمَا رُوِيَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النَّفَاقِ»، وَهُوَ أَنْ

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 1 / 518.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: 1 / 547.

يُرَى الْجَسَدُ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ خَالِيًا لَا هَيَأَ، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: 16]، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَكَذَلِكَ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23]، وَالَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ -تَعَالَى- وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ، فَإِنْ قِيلَ: فَخُشُوعُ الْقَلْبِ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَاجِبٌ؟

قِيلَ: نَعَمْ، لَكِنَّ النَّاسَ فِيهِ عَلَى قَسَمَيْنِ: مُقْتَصِدٍ، وَسَاقٍ، فَالسَّاقِيُونَ: يَخْتَصُّونَ بِالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَالْمُقْتَصِدُونَ الْأَبْرَارُ: هُمْ عُمُومُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَحَقِّينَ لِلْجَنَّةِ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَلَا هَؤُلَاءِ فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»<sup>(1)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 2088، رقم: (2722)، واللفظ لغيره، ورواه أحمد: 11 /

117، رقم: (6557)، والنسائي: 8 / 263، رقم: (5470)، وصححه أحمد شاكر، والألباني،

والأرنؤوط.

بِكَ مِنْ صَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ»<sup>(1)</sup>، «وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ»<sup>(2)</sup>، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ قَسْوَةَ الْقُلُوبِ الْمُنَافِيَةِ لِلْخُشُوعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74]<sup>(3)</sup>، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْخُشُوعِ، هَلْ هُوَ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ أَوْ مِنْ فَضَائِلِهَا وَمُكَمَّلَاتِهَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَالرَّاجِحُ: الْأَوَّلُ، وَمَحَلُّهُ الْقَلْبُ»<sup>(4)</sup>. وَالصَّحِيحُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَفْصِيلٌ سَيَأْتِي بِإِذْنِ اللَّهِ -تَعَالَى- بَيَانُهُ.

### ثَانِيًا: خُشُوعُ الصَّلَاةِ قِسْمَانِ:

أَوَّلًا: الْخُشُوعُ الظَّاهِرِيُّ: هُوَ كَوْنُ الْمُصَلِّي سَاكِنًا نَاطِرًا إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ، غَيْرَ مُتَلَفِتٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، مُبْتَعِدًا عَنِ الْعَبَثِ وَسَبْقِ الْإِمَامِ، وَمُوَافَقَتِهِ.

ثَانِيًا: الْخُشُوعُ الْبَاطِنِيُّ: وَيَكُونُ بِاسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ اللَّهِ ﷻ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِي الْآيَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَعَدَمِ الْإِلْتِمَاتِ إِلَى وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ»<sup>(5)</sup>.

(1) أخرجه أبو داود: 2 / 92، رقم: (1549)، وابن حبان: 3 / 293، رقم: (1015)، وصححه الألباني، والأرناؤوط.

(2) أخرجه أحمد: 21 / 250، رقم: (13673)، وابن حبان: 1 / 283، رقم: (83)، وصححه الألباني، والأرناؤوط.

(3) مجموع الفتاوى، لابن تيمية: 7 / 30-27.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 12 / 104، بتصرف.

(5) هكذا كان الصالحون، لأبي عبد الملك الحسينان: 1 / 6.

### ثَالِثًا: الْخَاشِعُونَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

قَدْ شَهِدَ لِسَانُ الْقُرْآنِ بِفَلَاحِ الْمُصَلِّينَ الْخَاشِعِينَ، بِقَوْلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1-2] «فَكَانَ تَرْكُ الْخُشُوعِ دَلَالًا عَلَى عَدَمِ الْفَلَاحِ»<sup>(1)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَّقَ اللَّهُ فَلَاحَ الْمُصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ، وَلَوْ اعْتَدَّ لَهُ بِهَا ثَوَابًا لَكَانَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ»<sup>(2)</sup>، وَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ ظَفَرَ بِمَنْزِلِ الْمُلُوكِ مَنْ أَفْلَحَ فِي الْآخِرَةِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ وَبَنَاهَا بِيَدِهِ، لَبَنَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبَنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ مِلَاطَهَا الْمِسْكَ، وَتُرَابَهَا الزَّعْفَرَانُ، وَحَصْبَاءَهَا اللَّوْلُؤُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾» [المؤمنون: 1]، فَقَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَى لِكَ مَنْزِلِ الْمُلُوكِ»<sup>(3)</sup>، «وَهَذَا تَنْوِيهُ مِنَ اللَّهِ، بِذِكْرِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذِكْرِ فَلَاحِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ وَصَلُوا إِلَى ذَلِكَ، وَفِي ضَمَنِ ذَلِكَ، الْحَثُّ عَلَى الْإِتِّصَافِ بِصِفَاتِهِمْ، وَالتَّرَغِيبُ فِيهَا، فَلْيَزِنِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ

(1) الحاوي الكبير، للماوردي: 2 / 191.

(2) انظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 526.

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط: 4 / 99، رقم: (3701)، وصفة الجنة، لأبي نعيم الأصبهاني:

1 / 159، رقم: (140)، وكشف الأستار عن زوائد البزار، للهيتمي: 4 / 189، رقم:

(3507)، وصححه الألباني.



عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ، يَعْرِفُ بِذَلِكَ مَا مَعَهُ وَمَا مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، زِيَادَةً وَنَقْصًا، كَثَرَةً وَقَلَّةً، فَقَوْلُهُ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أَي: قَدْ فَازُوا وَسَعِدُوا وَنَجَحُوا، وَأَذْرَكُوا كُلَّ مَا يُرَامُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْكَامِلَةِ أَنَّهُمْ ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَحْضِرًا لِقُرْبِهِ، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ قَلْبُهُ، وَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ، وَتَسْكُنُ حَرَكَاتُهُ، وَيَقِلُّ التَّفَانَةُ، مَتَادَّبًا بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ، مُسْتَحْضِرًا جَمِيعَ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ فِي صَلَاتِهِ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَتَنْتَفِي بِذَلِكَ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ الرَّدِيئَةُ، وَهَذَا رُوحُ الصَّلَاةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا، فَالصَّلَاةُ الَّتِي لَا خُشُوعَ فِيهَا وَلَا حُضُورَ قَلْبٍ، وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِئَةً مَثَابًا عَلَيْهَا، فَإِنَّ الثَّوَابَ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْقِلُ الْقَلْبُ مِنْهَا<sup>(1)</sup>، قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أَي: قَدْ أَذْرَكَ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَقْرَأُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَعَمِلُوا بِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِمَّا سُمِّيَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، الْخُلُودُ فِي جَنَاتِ رَبِّهِمْ، وَفَازُوا بِطَلَبَتِهِمْ لَدَيْهِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَاشِعِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، وَخُشُوعُهُمْ فِيهَا تَذَلُّلُهُمْ لِلَّهِ فِيهَا بِطَاعَتِهِ، وَقِيَامُهُمْ فِيهَا بِمَا أَمَرَهُمُ بِالْقِيَامِ بِهِ فِيهَا»<sup>(2)</sup>.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: 1 / 547.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: 19 / 694، بتصرف.

## رَابِعًا: الْخُشُوعُ رُوحُ الصَّلَاةِ وَلِبَاسُهَا

إِنَّ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ، هُوَ رُوحُهَا وَأَسَاسُهَا، بَلْ عَلَيْهِ مَدَارٌ مِقْدَارِ الثَّوَابِ كَثْرَةً وَقَلَّةً، حَسَبَمَا يَعْقِلُهُ الْمُصَلِّي مِنْهَا، لِذَا أَثْنَى اللَّهُ -تَعَالَى- عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ بِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، فَلَمَّا ذَكَرَ بَقِيَّةَ صِفَاتِهِمْ، ذَكَرَ جَزَاءَهُمْ فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 10-11]. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَ حَظُّ الْقَلْبِ الْعَامِرِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَخَشْيَتِهِ، وَالرَّغْبَةِ فِيهِ، وَإِجْلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ مِنَ الصَّلَاةِ، كَحَظِّ الْقَلْبِ الْخَالِي الْخَرِبِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا وَقَفَ الْاِثْنَانِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ وَقَفَ هَذَا بِقَلْبٍ مُخْبِتٍ، خَاشِعٍ لَهُ، قَرِيبٍ مِنْهُ، سَلِيمٍ مِنْ مُعَارِضَاتِ السَّوِّءِ، قَدْ امْتَلَأَتْ أَرْجَاؤُهُ بِالْهَيْبَةِ، وَسَطَعَ فِيهِ نُورُ الْإِيمَانِ، وَكُشِفَ عَنْهُ حِجَابُ النَّفْسِ وَدُخَانُ الشَّهَوَاتِ، فَيَرْتَعُ فِي رِيَاضِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَخَالَطَ قَلْبُهُ بِشَاشَةِ الْإِيمَانِ بِحَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَعُلُوِّهَا وَجَمَالِهَا وَكَمَالِهَا الْأَعْظَمِ، وَتَقَرَّرَدِ الرَّبِّ -سُبْحَانَهُ- بِنُغُوتِ جَلَالِهِ، وَصِفَاتِ كَمَالِهِ، فَاجْتَمَعَ هُمُّهُ عَلَى اللَّهِ وَفَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ، وَأَحْسَنَ بِقُرْبِهِ مِنَ اللَّهِ قُرْبًا لَا نَظِيرَ لَهُ، فَفَرَّغَ قَلْبُهُ لَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِ» (1).

قَالَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ كُنْتَ كُتْلَكَ لَهُ؛ كَانَ لَكَ بِكُلِّ الْكُلِّ فِيمَا تُحِبُّهُ مِنْهُ» (2). وَسُئِلَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «إِجْمَاعُ الْهَمِّ فِي

(1) الصلاة وأحكام تاركها، لابن قيم الجوزية: 1 / 141.

(2) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 4 / 387.

الصَّلَاةِ لِلصَّلَاةِ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ شُغْلٌ سِوَاهُ»<sup>(1)</sup>، «وَصَلَاةٌ بِلا خُشُوعٍ وَلَا حُضُورٍ قَلْبٍ، كَبَدَنٍ مَيِّتٍ لَا رُوحَ فِيهِ، فَيَسْتَحْيِي الْعَبْدُ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ عَبْدًا مَيِّتًا أَوْ جَارِيَةً مَيِّتَةً؟! فَمَا ظَنُّ هَذَا الْعَبْدِ أَنْ تَقَعَ تِلْكَ الْهَدْيَةُ مِمَّنْ قَصَدَهُ بِهَا مِنْ مَلِكٍ أَوْ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ غَيْرِهِ؟ فَهَكَذَا سِوَاءِ الصَّلَاةِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْخُشُوعِ، وَالْحُضُورِ، وَجَمْعِ الْهِمَّةِ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - فِيهَا بِمَنْزِلَةِ هَذَا الْعَبْدِ - أَوْ الْأَمَةِ - الْمَيِّتِ الَّذِي يُرِيدُ إِهْدَاءَهُ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ، وَلِهَذَا لَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْهُ وَإِنْ أَسْقَطَتِ الْفَرَضُ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَلَا يُثَبِّتُهُ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ «لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا» كَمَا فِي السُّنَنِ وَمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا إِلَّا ثُلُثُهَا إِلَّا رُبُعُهَا إِلَّا خُمُسُهَا حَتَّى بَلَغَ عَشْرَهَا»<sup>(2)</sup>، وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ سَائِرَ الْأَعْمَالِ تَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى، فَتَفَاضِلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ وَالْإِخْبَاتِ وَالْمَحَبَّةِ وَتَوَابِعِهَا»<sup>(3)</sup>.

(1) شعب الإيمان، للبيهقي: 4 / 512.

(2) أخرجه أحمد: 31 / 189، رقم: (18894)، وحسن الألباني رواية أبي داود ثم قال:

وأخرجه أحمد بإسناد صحيحه الحافظ العراقي.

(3) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1 / 10، بتصرف.

## خَامِسًا: الصَّلَاةُ ثَقِيلَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ

إِنَّ الْخُشُوعَ يَجْعَلُ الصَّلَاةَ مَحْبُوبَةً يَسِيرَةً عَلَى نَفْسِ الْمُصَلِّي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ \* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 45-46]. قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّهَا» أَي: الصَّلَاةُ «لَكَبِيرَةٌ» أَي: شاقَّةٌ «إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» فَإِنَّهَا سَهْلَةٌ عَلَيْهِمْ، خَفِيفَةٌ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ وَخَشْيَةَ اللَّهِ، وَرَجَاءَ مَا عِنْدَهُ يُوجِبُ لَهُ فِعْلَهَا مُشْرِحًا صَدْرُهُ؛ لِتَرْقِيهِ لِلثَّوَابِ، وَخَشْيَتِهِ مِنَ الْعِقَابِ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا دَاعِيَ لَهُ يَدْعُوهُ إِلَيْهَا، وَإِذَا فَعَلَهَا صَارَتْ مِنْ أَثْقَلِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ.. وَلِهَذَا قَالَ: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ» أَي يَسْتَفِيقُونَ «أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ» فَيَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ «وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» فَهَذَا الَّذِي خَفَّفَ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَاتِ، وَأَوْجَبَ لَهُمُ التَّسْلِيَّ فِي الْمُصِيبَاتِ، وَنَفَسَ عَنْهُمْ الْكُرْبَاتِ، وَزَجَّرَهُمْ عَنْ فِعْلِ السَّيِّئَاتِ، فَهُوَ لَا لَّهُمُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ فِي الْغُرَفِ الْعَالِيَاتِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِإِلْقَاءِ رَبِّهِ، كَانَتْ الصَّلَاةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، أَشَقَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ فِيمَا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ<sup>(1)</sup>.

فَإِذَا خَشَعَ قَلْبُ الْعَبْدِ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ مِنَ الصَّلَوَاتِ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ وَكَذَا جَوَارِحُهُ، وَأَرْكَانُهُ، وَلَا يَزَالُ عَبْدُ اللَّهِ يَتَخَشَّعُ فِي صَلَاتِهِ حَتَّى يَكْتُبَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- مِنَ الْخَاشِعِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُودِعُهُ حِلَاوَةً فِي صَلَاتِهِ يَنْشَغِلُ بِهَا عَنِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، حَتَّى يُصْبِحَ وَيُمْسِي وَلَا شَيْءَ أَلَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ انْقِضَاءِ صَلَاتِهِ، فَهِيَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدى: 1/ 51-52، بتصرف.

قَلْبِهِ، وَهِيَ قُرَّةُ عَيْنِهِ، رَوَى النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «حُبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النَّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(1)</sup>، بَلْ إِنَّهُ **ﷺ** كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى، إِذْ فِي الصَّلَاةِ رَاحَتُهُ كَمَا ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ **رَحِمَهُ اللَّهُ** أَنَّهُ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبِي إِلَى صَهْرٍ<sup>(2)</sup> لَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ نَعُودُهُ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَالَ لِبَعْضِ أَهْلِهِ: يَا جَارِيَةُ، ائْتُونِي بِوُضُوءٍ لَعَلِّي أَصَلِّي فَأَسْتَرِيحُ، قَالَ: فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** يَقُولُ: «قُمْ يَا بَلَاءُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»<sup>(3)</sup>.

### سَادِسًا: دَرَجَاتُ الْخُشُوعِ:

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: قَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ: الْخُشُوعُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: **الْأُولَى**: التَّذَلُّلُ لِلْأَمْرِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلْحُكْمِ، وَالِاتِّصَاعُ لِنَظَرِ الْحَقِّ، أَمَّا التَّذَلُّلُ لِلْأَمْرِ فَهُوَ تَلَقُّيهِ بِذِلَّةِ الْقُبُولِ وَالِانْقِيَادِ وَالِامْتِثَالِ مَعَ مُوَاطَاةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَإِظْهَارِ الضَّعْفِ، وَالِافْتِقَارِ لِلْهُدَايَةِ، وَأَمَّا الْاسْتِسْلَامُ لِلْحُكْمِ فَيَشْمَلُ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ بِعَدَمِ مُعَارَضَتِهِ بِرَأْيٍ أَوْ شَهْوَةٍ، كَمَا يَشْمَلُ الْحُكْمَ الْقَدْرِيَّ بِعَدَمِ تَلَقُّيهِ

(1) أخرجه النسائي في سننه: 7 / 61، رقم: (3939)، قال الألباني: حسن صحيح.

(2) الصَّهْرُ: زَوْجُ بِنْتِ الرَّجُلِ، وَزَوْجُ أُخْتِهِ.

(3) أخرجه أحمد: 38 / 225، رقم: (23153)، وأبو داود: 4 / 296، رقم: (4986)،

بِالتَّسْحُطِ وَالْكَرَاهَةِ وَالْإِعْتِرَاضِ، وَأَمَّا الْإِتِّصَاعُ لِنَظَرِ الْحَقِّ فَهُوَ اتِّصَاعُ الْقَلْبِ  
وَالْجَوَارِحِ، وَانْكِسَارُهَا لِنَظَرِ الرَّبِّ إِلَيْهَا وَإِطْلَاعُهَا عَلَى تَفَاصِيلِ مَا فِيهَا.

**الثَّانِيَّةُ:** تَرْقُبُ آفَاتِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ، وَرُؤْيَةُ فَضْلِ كُلِّ ذِي فَضْلٍ، وَيَتَحَقَّقُ ذَلِكَ  
بِإِنْتِظَارِ ظُهُورِ نَقَائِصِ نَفْسِكَ وَعَمَلِكَ وَعُيُوبِهَا لَكَ، وَذَلِكَ يَجْعَلُ الْقَلْبَ خَاشِعًا لَا  
مَحَالَةَ لِمُطَالَعَةِ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَأَعْمَالِهِ وَنَقَائِصِهِمَا مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ، وَضَعْفِ  
الصَّدْقِ، وَقِلَّةِ الْيَقِينِ، وَتَشَتُّبِ النِّيَّةِ، أَمَّا رُؤْيَةُ فَضْلِ كُلِّ ذِي فَضْلٍ فَيَتَحَقَّقُ بِمُرَاعَاةِ  
حُقُوقِ النَّاسِ وَأَدَائِهَا، وَلَا تَرَى أَنَّ مَا فَعَلُوهُ مِنْ حُقُوقِكَ عَلَيْهِمْ؛ فَلَا تُعَاوِضُهُمْ  
عَلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا مِنْ رُعُونَاتِ النَّفْسِ وَحِمَاقَاتِهَا، وَلَا تُطَالِبُهُمْ بِحُقُوقِ نَفْسِكَ،  
وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ** يَقُولُ: الْعَارِفُ لَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا،  
وَلَا يَشْهَدُ عَلَى غَيْرِهِ فَضْلًا، وَلِذَلِكَ لَا يُعَاتِبُ، وَلَا يُطَالِبُ، وَلَا يُضَارِبُ.

**الثَّالِثَةُ:** حِفْظُ الْحُرْمَةِ عِنْدَ الْمُكَاشَفَةِ، وَتَصْفِيَةُ الْقَلْبِ مِنْ مُرَاءَةِ الْخَلْقِ، وَيَعْنِي  
ذَلِكَ ضَبْطُ النَّفْسِ بِالذُّلِّ وَالْإِنْكِسَارِ عَنِ الْبَسْطِ وَالْإِذْلَالِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْمُكَاشَفَةُ؛  
لِأَنَّهَا تَوْجِبُ بَسْطًا يُخَافُ مِنْهُ شَطْحُ إِنْ لَمْ يَصْحَبْهُ خُشُوعٌ يَحْفَظُ الْحُرْمَةَ، مَعَ  
إِخْفَاءِ أَحْوَالِهِ عَنِ الْخَلْقِ جُهْدَةً<sup>(1)</sup>.

(1) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 559-560، باختصار، وتصرف يسير مقتبس

من نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لمجموعة مؤلفين: 5 / 1825.

## سَابِعًا: حُكْمُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ

قَدْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ<sup>(1)</sup> فِي حُكْمِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ هَلْ هُوَ فَرَضٌ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ، أَمْ هُوَ مِنْ فَضَائِلِهَا وَمَكْمَلَاتِهَا؟ وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى صِحَّةِ صَلَاةٍ مَنْ غَلَبَتْ عَلَى صَلَاتِهِ الْوَسَاوِسُ، وَلَكِنْ مَعَ نَقْصِ ثَوَابِهَا بِقَدْرِ مَا نَقَصَ مِنْ خُشُوعِهِ، وَذَهَبَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ، وَابْنُ الْجَوَزِيِّ، إِلَى بَطْلَانِهَا<sup>(2)</sup>.

### الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ:

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ مِنْ سُنَنِ الصَّلَاةِ، بِدَلِيلٍ: صِحَّةِ صَلَاةٍ مَنْ يُفَكِّرُ بِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ، فَهُمْ لَمْ يَقُولُوا بِبَطْلَانِ الصَّلَاةِ إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا ضَاطِطًا لِأَفْعَالِهَا، وَتَكَلَّمُوا بِأَنَّ نَاقِصَ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ مَحْرُومٌ مِنْ كَمَالِ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ بِقَدْرِ ذَلِكَ النُّقْصَانِ، وَفَلَا حَ الْآخِرَةَ حَلِيفٌ بِالْخَاشِعِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، وَهُوَ مُعَلَّقٌ بِهِمْ وَلَهُمْ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِمْ: وَعَلَيْهِ فَيَسُنُّ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَخْشَعَ فِي كُلِّ صَلَاتِهِ بِقَلْبِهِ وَبِجَوَارِحِهِ وَذَلِكَ بِمُرَاعَاةِ مَا يَلِي:

**أَوَّلًا:** أَنْ لَا يُحْضِرَ فِيهِ غَيْرَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ.

(1) إِنْ الْخِلَافُ الْعِلْمِيُّ قَائِمٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي مَسْأَلَةِ وَجُوبِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، فَالْجُمْهُورُ عَلَى عَدَمِ وَجُوبِهِ، وَقَدْ أَطَالَ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ، وَذَكَرَ أُدْلَةً وَجُوبِهِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى عَدَمِ وَجُوبِهِ، انظر: سبيل السلام، للصنعاني: 1 / 220.

(2) انظر: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، للبسام: 1 / 228.

**ثَانِيًا:** أَنْ يَخْشَعَ بِجَوَارِحِهِ بِأَنْ لَا يَعْثُ بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ كَلِحَتِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِ جَسَدِهِ، كَتَسْوِيَةِ رِدَائِهِ أَوْ عِمَامَتِهِ، بِحَيْثُ يَتَّصِفُ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ بِالْخُشُوعِ، وَيَسْتَحْضِرُ أَنَّهُ وَقَفُ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكِ الْمُلُوكِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى يُنَاجِيهِ، وَأَنَّ صَلَاتَهُ مَعْرُوضَةٌ عَلَيْهِ.

**ثَالِثًا:** أَنْ يَتَدَبَّرَ الْقِرَاءَةَ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يُكْمِلُ مَقْصُودَ الْخُشُوعِ.

**رَابِعًا:** أَنْ يُفَرِّغَ قَلْبَهُ عَنِ الشَّوَاغِلِ الْأُخْرَى؛ لِأَنَّ هَذَا أَعَوْنٌ عَلَى الْخُشُوعِ، وَلَا يَسْتَرْسِلُ مَعَ حَدِيثِ النَّفْسِ، قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ **رَحِمَهُ اللَّهُ:** «وَأَعْلَمُ أَنَّ حُضُورَ الْقَلْبِ فَرَاغُهُ مِنْ غَيْرِ مَا هُوَ مَلَابِسٌ لَهُ».

وَيَرَى هَؤُلَاءِ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ الْمُصَلِّي الْخُشُوعَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ تَكُونُ صَحِيحَةً عِنْدَ الْجُمْهُورِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ**: لَمْ يَأْمُرِ الْعَابِتَ بِلِحَتِهِ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ خُشُوعِهِ فِي صَلَاتِهِ؛ وَلِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَبْطُلُ بِعَمَلِ الْقَلْبِ وَلَوْ طَالَ، إِلَّا أَنَّهُ أَرْتَكَبَ مَكْرُوهًا وَلَا يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ، وَإِنْ أُسْقِطَ الْفَرَضُ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ مَبْنَى الصَّلَاةِ عَلَى الْخُشُوعِ، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا اسْتَحْضَرَ فِيهَا، فَتَارَةً يَكُونُ لَهُ عَشْرُهَا أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ، كَمَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ** قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَصَلِّيَ الصَّلَاةَ فَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا،



ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»<sup>(1)</sup>، فَلَا أَمْرَ مُعَلَّقٍ عِنْدَهُمْ بِكَمَالِ الْأَجْرِ لَا بِأَصْلِ الصَّلَاةِ مِنْ حَيْثُ الْقَبُولِ وَالرَّدِّ.

## الْفَرِيقُ الثَّانِي:

ذَهَبَ بَعْضُ فُقَهَاءِ كُلِّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ إِلَى أَنَّ الْخُشُوعَ لَا زِمَ مِنْ لَوَازِمِ الصَّلَاةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ فَرَضٌ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لَا تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِتَرْكِهِ لِأَنَّهُ مَعْفُوفٌ عَنْهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ فَرَضٌ تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِتَرْكِهِ كَسَائِرِ الْفُرُوضِ. وَقَالَ بَعْضُ آخَرٍ مِنْهُمْ: إِنَّ الْخُشُوعَ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الصَّلَاةِ لَكِنَّهُ فِي جُزْءٍ مِنْهَا، فَيَشْتَرِطُ فِي هَذَا الْقَوْلِ حُصُولُ الْخُشُوعِ فِي جُزْءٍ مِنَ الصَّلَاةِ، وَإِنْ انْتَفَى فِي الْبَاقِي، وَبَعْضُ أَصْحَابِ هَذَا الْقَوْلِ حَدَدَ الْجُزْءَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ الْخُشُوعُ مِنَ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ»<sup>(2)</sup>.

(1) أخرجه أحمد في المسند: 31 / 189، رقم: (18894)، والبيهقي في السنن الكبرى: 2 /

398، رقم: (3527)، وصححه العراقي، والألباني، والأرنؤوط.

(2) انظر التفصيل في: المغني، لابن قدامة: 2 / 10، وتخريج الفروع على الأصول، للزنجاني:

1 / 321، وتفسير القرطبي: 12 / 103، والمجموع شرح المذهب، للنووي: 3 / 260-263،

ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: 2 / 553-554، ومدارج السالكين، لابن القيم: 1 / 112،

والخشوع في الصلاة، لابن رجب: 1 / 9، وفتح الباري، لابن حجر: 2 / 264، والمبدع، لابن

مفلح: 1 / 445، والإنصاف، للمرودي: 2 / 118، وتحفة المحتاج، لابن حجر الهيتمي: 2 /

101، ومغني المحتاج، للخطيب الشربيني: 1 / 420، والفواكه الدواني، للنفراوي: 1 / 180،

وَقَدْ أَجَادَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوَازِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ حَيْثُ قَالَ: «فَإِنْ قِيلَ: مَا تَقُولُونَ فِي صَلَاةٍ مِنْ عَدَمِ الْخُشُوعِ، هَلْ يُعْتَدُّ بِهَا أَمْ لَا؟ قِيلَ: أَمَّا الْاعْتِدَادُ فِي الثَّوَابِ: فَلَا يُعْتَدُّ لَهُ بِهَا إِلَّا بِمَا عَقَلَ فِيهِ مِنْهَا، وَخَشَعَ فِيهِ لِرَبِّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا»<sup>(1)</sup>، وَقَدْ عَلَّقَ اللَّهُ -تَعَالَى- فَلَاحِ الْمُصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ، وَلَوْ اعْتَدُّ لَهُ بِهَا ثَوَابًا كَانَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]: «وَهَذَا يَقْتَضِي ذِمَّ غَيْرِ الْخَاشِعِينَ... وَإِذَا كَانَ غَيْرُ الْخَاشِعِينَ مَذْمُومِينَ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وَجُوبِ الْخُشُوعِ... فَثَبَتَ أَنَّ الْخُشُوعَ وَاجِبٌ فِي الصَّلَاةِ»<sup>(2)</sup>. وَأَمَّا الْاعْتِدَادُ بِهَا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَسُقُوطِ الْقَضَاءِ: فَإِنْ غَلَبَ

وسبل السلام، للصنعاني: 1/ 147، وحاشية ابن عابدين: 1/ 279، وكشف القناع، للبهوتي:

1/ 393، والموسوعة الفقهية الكويتية، لمجموعة من المؤلفين: 19/ 117-119.

(1) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد الثاني عشر - قسم التفسير، ولم يعزه لكتاب،

وكذلك ذكره الإمام ابن القيم في مدارج السالكين، 1/ 525، وفي تفسيره المجموع له، وذكره

السعدي في تفسيره، تفسير اللطيف المنان، 2/ 78 بقوله: «وفي الحديث:....، وفي المسند

مرفوعاً: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا: عُسْرُهَا، تُسْعُهَا، تُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا،

خُمُسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا» أخرجه أحمد: 31/ 189، رقم: (18894)، وحسن الألباني

رواية أبي داود ثم قال: وأخرجه أحمد بإسناد صحيحه الحافظ العراقي.

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 22/ 553-554.

عَلَيْهَا الْخُشُوعُ، وَتَعَقُّلُهَا اعْتَدَّ بِهَا إِجْمَاعًا، وَكَانَتِ السُّنَنُ وَالْأَذْكَارُ بَعْدَهَا جَوَابِرَ وَمُكَمَّلَاتٍ لِنَقْصِهَا، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الْخُشُوعِ، وَعَدَمُ تَعَقُّلِهَا، فَقَدْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وَجُوبِ إِعَادَتِهَا» ثُمَّ ذَكَرَ **رَحْمَةُ اللَّهِ** قَوْلَيْنِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ:

**أَمَّا الْقَوْلُ الْأَوَّلُ:** وَجُوبُ إِعَادَتِهَا، وَبِهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ صَلَاةً لَا يُثَابُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضْمَنْ لَهُ فِيهَا الْفَلَاحُ لَمْ تَبْرَأْ ذِمَّتُهُ مِنْهَا؛ وَلِأَنَّ الْخُشُوعَ رُوحَ الصَّلَاةِ، وَمَقْصُودُهَا، وَلُبُّهَا، فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بِصَلَاةٍ فَقَدَتْ رُوحَهَا وَلُبُّهَا، وَبَقِيَتْ صُورَتُهَا وَظَاهِرُهَا؟

**وَالْقَوْلُ الثَّانِي:** لَا تَجِبُ إِعَادَتُهَا؛ لِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** مِنْ أَحْكَامِ سُجُودِ السَّهْوِ، وَأَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ تَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ، وَالْخُشُوعُ إِنَّمَا هُوَ لِرِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ، وَلِحُصُولِ ثَوَابِ اللَّهِ -تَعَالَى- الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَمُرَافَقَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَهَذَا يَفُوتُ بِفَوَاتِ الْحُضُورِ وَالْخُضُوعِ، وَإِنَّ الرَّجُلَيْنِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَيَبِينُ صَلَاتِيهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُعِيدَ صَلَاتَهُ لِهَذِهِ الثَّمَرَاتِ، فَذَلِكَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ أَنْ يُحْصِلَهَا، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَفُوتَهَا عَلَى نَفْسِهِ، أَمَّا كَوْنُنَا نُلْزِمُهُ بِإِعَادَتِهَا، وَنُعَاقِبُهُ عَلَى تَرْكِهَا، وَتُرْتَبُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ تَارِكِ الصَّلَاةِ، فَلَا. وَيَرَى ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحْمَةُ اللَّهِ** أَنَّ حُجَجَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ قَوِيَّةٌ وَظَاهِرَةٌ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «... الْقَوْلُ الثَّانِي: أَزْجَحُ الْقَوْلَيْنِ» <sup>(1)</sup>.

(1) انظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 525-530.

## ثَامِنًا: أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَّلُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ بْنُ لَيْدٍ: أَيْرَفُ الْعِلْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ وَقَدْ عَلَّمَنَاهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتُ لَأُظَنُّكَ مِنْ أَفْقِهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ صَلَاةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِمَا، فَلَقِيَ جُبَيْرُ بْنُ نَفِيرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلِّي، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ تَدْرِي مَا رَفَعَ الْعِلْمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: «ذَهَابُ أَوْعِيَّتِهِ»، قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: «الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَكَادَ تَرَى خَاشِعًا» <sup>(1)</sup>، وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ، حَتَّى لَا تَرَى فِيهَا خَاشِعًا» <sup>(2)</sup>، فَإِذَا دَخَلَ الْمُصَلِّي الْمَسْجِدَ بَدَأَتْ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ وَالْإِنْشِغَالُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا فِي ذَهْنِهِ، فَمَا يَشْعُرُ إِلَّا وَقَدْ انْتَهَى الْإِمَامُ مِنْ صَلَاتِهِ، وَحِينَئِذٍ يَتَحَسَّرُ عَلَى صَلَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَخْشَعْ فِيهَا، وَلَمْ يَذُقْ حَلَاوَتَهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ مُجَرَّدَ حَرَكَاتٍ، وَتَمْتَمَاتٍ كَالْجَسَدِ بِلَا رُوحٍ، قَالَ عَمَّارٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 39 / 418، رقم: (23990)، وصححه الأرنؤوط.

(2) أخرجه ابن المبارك في الزهد: 1 / 56، رقم: (172)، والطبراني في مسند الشاميين: 2 /

400، رقم: (1579)، وحسنه الهيثمي، والمناوي، وقال الألباني: حسن صحيح.

سَهَا عَنْهُ»<sup>(1)</sup>، «فَيَصِيرُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ سَاكِنَ الْجَوَارِحِ، تَصْنَعًا وَرِيَاءً وَقَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِالشَّهَوَاتِ، وَقِيلَ الْمَعْنَى خُشُوعُ الصَّلَاةِ، قَالَ الطَّبَّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَخُشُوعُهَا خَشْيَةُ الْقَلْبِ، وَالْإِزَامُ الْبَصَرُ مَحَلَّ السُّجُودِ، وَجَمْعُ الْهَمَّةِ لَهَا، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهَا، وَتَوَقَّى كَفَّ النَّوْبِ وَالْعَبَثَ بِهِ وَبِجَسَدِهِ، وَالْإِثْنَاتِ وَالْتَمَطَّى وَالتَّنَاوُبَ وَنَحَوَهَا»،<sup>(2)</sup>.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى الصَّلَاةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَلْقَ<sup>(3)</sup> لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(4)</sup>.  
«وَأَخِرُ مَا يَبْقَى مِنْ دِينِهِمُ الصَّلَاةُ» أَي: كُلَّمَا ضَعُفَ الْإِيمَانُ بِحُبِّ الدُّنْيَا، وَنَقُصَّ نُورُهُ بِالْمَعَاصِي اِضْمَحَلَّتِ الْأَمَانَةُ، وَإِذَا ضَعُفَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا، أُخِّرَتِ الصَّلَاةُ عَنْ أَوْقَاتِهَا ثُمَّ يَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَى ارْتِفَاعِ أَصْلِهَا «وَرُبَّ مُصَلٍّ آتٍ بِصُورَةِ الصَّلَاةِ، لَا خَلْقَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى» أَي لَا نَصِيبَ لَهُ مِنْ قَبُولِهَا وَالْإِثَابَةِ عَلَيْهَا؛ لِكَوْنِهِ غَافِلًا لَاهِي الْقَلْبِ وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ»<sup>(5)</sup>، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(1) الزهد والرفائق، لابن المبارك: 1 / 459، رقم: (1300).

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: 1 / 391.

(3) لا خلاق له، أي: لا حظ ولا نصيب له.

(4) أخرجه الحكيم في نوادره: 3 / 168، عن زيد بن ثابت، والبيهقي في الشعب: 7 / 215،

رقم: (4892)، والطبراني في الصغير: 1 / 238، رقم: (387)، والرافعي في التدوين: 2 /

256، وحسنه الألباني.

(5) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: 1 / 391.

بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا مُنْذُ زَمَانٍ: إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَشْرِينَ رَجُلًا، أَوْ أَقَلَّ، أَوْ أَكْثَرَ، فَتَصَفَّحْتَ فِي وُجُوهِهِمْ، فَلَمْ تَرَ فِيهِمْ رَجُلًا يَهَابُ فِي اللَّهِ، فَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ رَقَّ (1)» (2).

### مُجْمَلُ مَا يَسْتَدْعِي الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ مَا يَلِي:

- 1- حُضُورُ الْقَلْبِ.
- 2- الْفَهْمُ وَالْإِدْرَاكُ لِمَا يَقْرَأُ أَوْ يَسْمَعُ.
- 3- التَّعْظِيمُ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَعْرِفَةِ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.
- 4- التَّذَلُّلُ لِلَّهِ، وَيَنْشَأُ مِنْ مَعْرِفَةِ عَظَمَةِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةِ حَقَارَةِ النَّفْسِ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ هَاتَيْنِ الْمَعْرِفَتَيْنِ الْانْكِسَارُ لِلَّهِ، وَالْخُشُوعُ لَهُ.
- 5- الْهَيْبَةُ، وَهِيَ أَسْمَى مِنَ التَّعْظِيمِ، وَتَتَوَلَّدُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ، وَتَقْصِيرِ الْعَبْدِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ.
- 6- الرَّجَاءُ، وَهُوَ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَرْجُوَ بِصَلَاتِهِ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى.
- 7- الْحَيَاءُ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ أَمْرَيْنِ:  
مَعْرِفَتِهِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ لَهُ.. وَمَعْرِفَتِهِ بِنِعَمِ اللَّهِ وَتَقْصِيرِهِ فِي شُكْرِهَا» (3).

(1) أي: ضَعْفٌ، وَالرَّقَّةُ مُصَدِّرُ الرَّقِيقِ، وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يُقَالَ: فَلَانٌ رَقِيقُ الدِّينِ.

لسان العرب، لابن منظور: 121 / 10.

(2) أخرجه أحمد: 226 / 29، رقم: (17680)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(3) موسوعة الفقه الإسلامي، للتوجيهي: 439 / 2.

## تَاسِعًا: يَتَرَتَّبُ عَلَى عَدَمِ الْخُشُوعِ أُمْرَانِ:

الأَوَّلُ: عَدَمُ الْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ الْخَاشِعَةَ تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45].

الثَّانِي: عَدَمُ تَحْصِيلِ الْفَلَاحِ الْكَامِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّقَ الْفَلَاحَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ بِالْخُشُوعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: 1، 2] <sup>(1)</sup>.



(1) هكذا كان الصالحون، لأبي عبد الملك الحسنيان: 1 / 5.



## الفصل الثاني

أساس الخشوع، ورأس القلب





## أَوَّلًا: محلُّ الخُشُوعِ: القلبُ

إِنَّ رُوحَ الصَّلَاةِ وَمَقْصُودَهَا الْأَعْظَمُ، هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ وَخُشُوعُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَمُنَاجَاةُ بِكَلَامِهِ، وَمَعَ عَدَمِ حُضُورِ الْقَلْبِ لَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ بِذِكْرِ الْأَذْكَارِ، فَلَا أَصْلَ فِي الْخُشُوعِ يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ، وَثَمَرَةُ خُشُوعِ الْقَلْبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، وَلِذَا قِيلَ: إِذَا ضَرَعَ الْقَلْبُ، خَشَعَتِ الْجَوَارِحُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَلِكُ الْبَدَنِ، وَأَمِيرُ الْأَعْضَاءِ، تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ، وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ، فَلَا أَعْضَاءَ تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِذَا فَسَدَ خُشُوعُهُ بِالْعَقْلَةِ وَالْوَسَاوِسِ، وَالْاِلْتِفَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَسَدَتْ عِبُودِيَّةُ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ «وَالْقَلْبُ هُوَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَبَقِيَّةُ الْأَعْضَاءِ جُنُودُهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا جُنُودٌ طَائِعُونَ لَهُ، مُبْعَثُونَ فِي طَاعَتِهِ، وَتَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ، لَا يُخَالِفُونَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فِيهِ يَأْتِمِرُونَ، وَعَنْ أَمْرِهِ يَصْدُرُونَ، فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ صَالِحًا كَانَتْ هَذِهِ الْجُنُودُ صَالِحَةً، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا كَانَتْ جُنُودُهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَاسِدَةً» <sup>(1)</sup>، «فَالْقَلْبُ هُوَ الْمُطِيعُ فِي الْحَقِيقَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا الَّذِي يَنْتَشِرُ عَلَى الْجَوَارِحِ مِنَ الْخُشُوعِ فِي الْعِبَادَاتِ أَنْوَارُهُ وَأَثَارُهُ» <sup>(2)</sup>، وَقَدْ بَيَّنَّ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: أَهْمِيَّةُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ حَيْثُ قَالَ: «أَعْمَالُ الْقُلُوبِ هِيَ الْأَصْلُ وَأَعْمَالُ الْجَوَارِحِ تَبَعٌ وَمُكَمَّلَةٌ، وَإِنَّ النِّيَّةَ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ، وَالْعَمَلُ بِمَنْزِلَةِ الْجَسَدِ لِلْأَعْضَاءِ، الَّذِي إِذَا فَارَقَ الرُّوحَ فَمَوَاتٌ، وَمَعْرِفَةُ أَحْكَامِ الْقُلُوبِ أَهَمُّ مِنْ مَعْرِفَةِ

(1) تفسير ابن رجب الحنبلي (روائع التفسير): 53/2، بتصرف.

(2) موسوعة فقه القلوب، لِتَوَيْجَرِي: 2/1280، بتصرف.

أَحْكَامِ الْجَوَارِحِ»<sup>(1)</sup>، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ تَأَمَّلَ الشَّرِيعَةَ فِي مَصَادِرِهَا وَمَوَارِدِهَا، عَلِمَ اِرْتِبَاطَ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ بِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ بِدُونِهَا، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ أَفْرَضَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَهَلْ يُمَيِّزُ الْمُؤْمِنُ عَنِ الْمُنَافِقِ إِلَّا بِمَا فِي قَلْبٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي مَيَّزَتْ بَيْنَهُمَا؟ وَعُبودِيَّةُ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ عُبودِيَّةِ الْجَوَارِحِ، وَأَكْثَرُ وَأَدْوَمُ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ»<sup>(2)</sup>، «لِأَنَّ حَرَكَاتِ الْجَسَدِ تَابِعَةٌ لِحَرَكَةِ الْقَلْبِ وَإِرَادَتِهِ، فَإِنْ كَانَتْ حَرَكَتُهُ وَإِرَادَتُهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَقَدْ صَلَحَ وَصَلَحَتْ حَرَكَاتُ الْجَسَدِ كُلُّهَا، وَإِنْ كَانَتْ حَرَكََةُ الْقَلْبِ وَإِرَادَتُهُ لِعَیْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَسَدَ، وَفَسَدَتْ حَرَكَاتُ الْجَسَدِ بِحَسَبِ فَسَادِ حَرَكََةِ الْقَلْبِ...»<sup>(3)</sup>، فَالْقَلْبُ مَلِكٌ مُطَاعٌ وَرَئِيسٌ مُتَّبَعٌ، وَالْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تَبَعٌ لَهُ، فَإِذَا صَلَحَ الْمَتَّبِعُ صَلَحَ التَّابِعُ، وَإِذَا اسْتَقَامَ الْمَلِكُ اسْتَقَامَتِ الرَّعِيَّةُ»<sup>(4)</sup>، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(5)</sup>.

(1) بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية: 224 / 3.

(2) بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية: 330 / 3، والإخلاص والشُّرك الأصغر ص: 5.

(3) جامع العلوم والحكم، لابن رجب: 112 / 1، وانظر: الوابل الصَّيْب، لابن قيم الجوزية:

12 / 1.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعليّ القاري: 849 / 3، بتصرف يسير.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه: 20 / 1، رقم: (52)، ومسلم: 1219 / 3، رقم: (1599)،

واللفظ له.

فَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنِ الرَّعِيَّةِ، وَهُوَ الرَّاعِي الرَّئِيسُ وَالْأَسَاسُ، وَكَانَتْ الْجَوَارِحُ هِيَ رَعِيَّتُهُ وَمَرْؤُسُوهُ، تَسِيرُ بِسِيرِهِ، وَتَتَجِدُهُ بِأَمْرِهِ؛ أَجْلَبَ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ بِالْوَسَاوِسِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالْمُلْهِيَّاتِ، الَّتِي تَذْهَبُ عَنْهُ الْخُشُوعَ فِي صَلَاتِهِ عَلَى التَّخْصِيسِ، وَفِي سَائِرِ أَعْمَالِهِ فِي عِبَادَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ عَلَى الْعُمُومِ، وَجَعَلَ يُحَاوِلُ إِفْسَادَ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَطِيعُهَا، وَيَأْتِيهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ الْعَهْدَ بِأَنْ يُفْسِدَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ مَا قَدِرَ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا دَأْبُهُ لَا هُوَ يَكُلُّ مِنْ طُولِ الْمَسِيرِ فِي إِغْوَائِهِ لِابْنِ آدَمَ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِ، وَلَا هُوَ يَمَلُّ مَعَ انْقِضَاءِ الْفُصُولِ، وَتَطَاوُلِ الدُّهُورِ، وَتَرَاحِي الْعُصُورِ، وَأَوَّلُ مَا يَرْمِي سَهَامَهُ، وَيَهْجُمُ بِغَارَاتِهِ فَعَلَى الْقَلْبِ، فَهُوَ هَدْفُهُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، لِأَنَّهُ مَحَطُّ الْخُشُوعِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الدَّيَّانِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تَظْهَرُهُ»<sup>(1)</sup>، فَوَجَبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ كَنَزَ فِي قَلْبِهِ تَوْحِيدَ رَبِّهِ، أَنْ يَحْمِيَ كُنُوزَهُ وَيَحْرُسَهَا مِنْ أَيْدِي الشُّرَاقِ، وَأَلَّا يَغْفَلَ الْمُرَابَطَةَ طَرْفَةً عَيْنٍ، لِئَلَّا يُسَلَبَ دِينُهُ، أَوْ تَقْسَدَ صَلَاتُهُ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَالِهِ، فَلَزِمَتْ الْمُرَابَطَةُ عَلَى الْقَلْبِ وَحِرَاسَتُهُ، وَلُزُومُ الثُّغُورِ وَالْمَنَافِذِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الْعَدُوُّ فَيَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ وَيُفْسِدُ مَا فِيهَا، وَيَزِيلُ الْقَلْبَ عَنْ مَمْلَكَتِهِ وَيُخْرِبُهُ أَوْ يُشَعِّتُهُ، فَمُرَابَطَةُ الْقَلْبِ لُزُومُ الثُّغُورِ الَّتِي يَدْخُلُ الْعَدُوُّ مِنْهَا، وَلَا يُتْرَكُ مَكَانُهَا فَيَصَادِفُ الْعَدُوَّ الثَّغَرَ خَالِيًا فَيَدْخُلُ مِنْهُ، فَهَؤُلَاءِ

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 1/ 517.

أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَعْظَمُهُمْ حِمَايَةً وَحِرَاسَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ أَخْلَوْا الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِلُزُومِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَدَخَلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، فَكَانَ مَا كَانَ (1)، قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْوَسْوَاسَ لَهُ بَابٌ فِي صُدُورِ ابْنِ آدَمَ يُوسُوسُ مِنْهُ» (2)، فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ رَأْسُ مَالِهِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ صَلَاحِ صَلَاتِهِ، إِذَا يُفْهَمُ أَنَّ الْخُشُوعَ الْمُطَالَبَ بِهِ الْعَبْدُ لَا يَكُونُ وَلَا يَنْشَأُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ قَلْبِهِ، وَعَظَمِ الْأَجْرِ وَالْمَثُوبَةِ تَكُونُ لِمَنْ كَانَ خَاشِعًا فِي صَلَاتِهِ مُقْبِلًا عَلَيْهَا بِقَلْبِهِ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، أَنْ لَا تَلْتَفِتَ فِي صَلَاتِكَ» (3)، «فَأَصْلُ الْخُشُوعِ: هُوَ خُشُوعُ الْقَلْبِ، وَهُوَ انْكِسَارُهُ لِلَّهِ، وَخُضُوعُهُ وَسُكُونُهُ عَنِ التَّفَاتِهِ إِلَى غَيْرِ مَنْ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ خَشَعَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا تَبَعًا لِحُشُوعِهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي» (4)، (5)، (6).

(1) يشير ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بذلك إلى موقف الرِّمَاءِ في غزوة أُحُد.

(2) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو الدواء والدواء، لابن قيم الجوزية:

97 / 1.

(3) مكائد الشيطان، لابن أبي الدنيا: 91 / 1.

(4) شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 2 / 359، وتفسير الطبري: 9 / 197.

(5) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 534، رقم: (771).

(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي: 6 / 367.

فَلَا أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ إِذَا نَشَدَ صَاحِبُهُ صَلاَحَهُ وَفَلَاحَهُ وَخُشُوعَهُ وَبِرَّهُ وَاسْتِقَامَتَهُ  
 مِنْ تَفْرِيعِهِ وَخُلُوعِهِ مِنْ شُعَبِ الدُّنْيَا، وَشَوَاغِلِهَا الْمُقْلِقَةِ، وَالْمُزَعِجَةِ، حَيْثُ تُصْبِحُ  
 النَّفْسُ لَا تُفَكِّرُ إِلَّا بِالْفَنَاءِ لِلَّهِ، وَلَا يَفْزَعُ الْقَلْبُ إِلَّا إِلَى رَبِّهِ، وَلَا يَسْكُنُ لِغَيْرِهِ،  
 وَيَتَجَرَّدُ عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ مُلْهِمَةٍ، وَيَخْلُصُ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ مُبْعِدَةٍ، وَيَتَحَرَّرُ مِنْ أَوَاهِقِ (1)  
 الْجِسْمِ وَجَوَاذِبِهِ الْأَرْضِيَّةِ الَّتِي تُفْسِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ حَيَاتَهُ، وَتُكَدِّرُ صَفَاءَ سَرِيرَتِهِ،  
 وَتَخْرِقُ صَلَاتَهُ، قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ يَشَمَّ  
 رَائِحَةَ الْيَقِينِ، وَفِيهِ سُكُونٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَرَامٌ عَلَى قَلْبٍ أَنْ يَدْخُلَهُ النُّورُ،  
 وَفِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ﷻ» (2)، وَقَلْبُ الْمَرْءِ إِذَا صَرَفَهُ صَاحِبُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ حَارَ، وَإِذَا  
 غَضَّ بَصَرَ قَلْبِهِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ اسْتَنَارَ، سُئِلَ الشَّيْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿قُلْ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30]، قَالَ: «أَبْصَارُ الرُّؤُوسِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَبْصَارُ  
 الْقُلُوبِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ ﷻ» (3).

(1) الْوَهْقُ هُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يُطْرَحُ أَوْ يُرْمَى فِي الْأَعْنَاقِ فَتُؤْخَذُ فِيهِ الدَّابَّةُ وَالْإِنْسَانُ، وَالْأَوْهَاقُ  
 جَمْعٌ وَهَقٍ، بِالتَّحْرِيكِ، وَقَدْ يُسْكَنُ وَهُوَ حَبْلٌ تُشَدُّ بِهِ الْإِبِلُ وَالْخَيْلُ لِئَلَّا تِنْدَ. انظر: المحكم  
 والمحيط الأعظم، لابن سيده: 4 / 392، ولسان العرب، لابن منظور: 10 / 386.

(2) الزَّهْدُ وَالرَّفَاقُ، لِلخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ: 1 / 59.

(3) التَّبَصُّرَةُ، لابن الجوزي: 2 / 209.

«وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ خَالِيًا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ -تَعَالَى- كَانَ خَاشِعًا فِي صَلَاتِهِ، مُنْكَسِرًا لِخَالِقِهِ، وَهُوَ مُأَهَّلٌ لِرَتْسَامِ التَّوْحِيدِ فِيهِ، وَإِشْرَاقِ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ»<sup>(1)</sup>، رَأَى حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رَجُلًا يُصَلِّي يَعْثُ بِلِحْيَتِهِ فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا سَكَنَتْ جَوَارِحُهُ»<sup>(2)</sup>، وَرَأَى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ **رَحِمَهُ اللَّهُ** رَجُلًا يَعْثُ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا، خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»<sup>(3)</sup>، أَيُّ لَوْ أَخْبَتَ قَلْبُهُ وَاطْمَأَنَّ لَا طُمَأْنَنْتَ جَوَارِحُهُ، فَعَبَثَتْ بِلِحْيَتِهِ نَاشِئٌ عَنْ عَدَمِ إِخْبَاتِ قَلْبِهِ وَاطْمِئْنَانِهِ»<sup>(4)</sup>، «خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ» لِأَنَّ الرَّعِيَّةَ بِحُكْمِ الرَّاعِي، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- بَيْنَ الْأَجْسَادِ وَالْأَرْوَاحِ رَابِطَةً وَثِيقَةً، وَعَلَاقَةً مَتِينَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ارْتِبَاطٌ بِصَاحِبِهِ وَتَعَلُّقٌ بِهِ، يَتَأَثَّرُ بِتَأَثُّرِهِ، فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ أَثَّرَ ذَلِكَ فِي الْجَوَارِحِ فَخَشَعَتْ، وَصَفَتْ الرُّوحُ، وَزَكَتِ النَّفْسُ، وَإِذَا أَخْلَصَ الْقَلْبُ بِالطَّاعَةِ اسْتَعْمَلَ الْجَوَارِحُ فِي مَصَالِحِهِ، قَالَ الْحِرَالِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وَالْخُشُوعُ سُكُونُ الْقَلْبِ وَهُدُوءُ الْجَوَارِحِ، وَبِهِ يَحْصُلُ حُسْنُ السَّمْتِ وَالتَّوَدُّدُ فِي الْأُمُورِ وَاسْتِخْلَافُ اللَّهِ عَبْدَهُ فِي مَالِ الدُّنْيَا

(1) معنى لا إله إلا الله، للزركشي: 1/ 82، بتصرف.

(2) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 1/ 194.

(3) الزهد والرفائق، لابن المبارك: 1/ 419، ومصنف عبد الرزاق: 2/ 266، وسنن البيهقي:

2/ 404.

(4) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني: 9/ 150.

وَجَاهِهَا»<sup>(1)</sup>، قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النُّسْكُ»<sup>(2)</sup> هُوَ الْعِنَايَةُ بِالسَّرَائِرِ، وَإِخْرَاجُ مَا سِوَى اللَّهِ **عَلَيْهِ** مِنَ الْقَلْبِ»<sup>(3)</sup>، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «الْخُشُوعُ إِعْلَامُ الْقَلْبِ أَنَّ الْعَبْدَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ فَيَسْكُنُ الْبَاطِنُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ مِنْ مُلَاحَظَةِ الْأَغْيَارِ وَالظَّاهِرِ عَنْ غَيْرِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَذْكَارِ»<sup>(4)</sup>.

## ثَانِيًا: خُشُوعُ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ خُشُوعَ الْبَصَرِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 2]، قَالَ: «كَانُوا إِذَا قَامُوا فِي الصَّلَاةِ، أَقْبَلُوا عَلَى صَلَاتِهِمْ، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِمْ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ عَلَيْهِمْ فَلَا يَلْتَفِتُونَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا»<sup>(5)</sup>. «وَخَصَّ الْأَبْصَارَ بِالْخُشُوعِ؛ لِأَنَّهُ فِيهَا أَظْهَرُ مِنْهُ فِي سَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ مَا فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيَاءٍ أَوْ خَوْفٍ وَنَحْوِهِ إِنَّمَا يَظْهَرُ فِي

(1) فيض القدير، للمناوي: 5 / 319.

(2) أَصْلُ النُّسْكِ الْعِبَادَةُ، وَالنَّاسِكُ الْعَابِدُ، وَقِيلَ النُّسْكُ: كُلُّ مَا يَقْرُبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صَلَاةٍ وَحَجٍّ وَذَبْحٍ وَعِبَادَةٍ، انظر: تفسير القرطبي: 7 / 152، فقد فسره بجميع أعمال البر، وكذلك تفسير ابن الجوزي: 3 / 161، بتصرف.

(3) دَمُ الْهَوَى، لابن الجوزي: 1 / 69، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم: 1 / 439.

(4) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي: 5 / 319، بتصرف.

(5) الدر المنثور، للسيوطي: 6 / 84.

البَصَرِ»<sup>(1)</sup>، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ: «سُكُونُ الْمَرْءِ فِي صَلَاتِهِ، لَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا»<sup>(2)</sup>، وَعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ هُوَ الْخَوْفُ، وَغَضُّ الْبَصَرِ فِي الصَّلَاةِ»<sup>(3)</sup>، وَسُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَخَفْضُ الْجَنَاحِ، وَلِينُ الْقَلْبِ، وَهُوَ الْحُزْنُ»<sup>(4)</sup>، وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ»<sup>(5)</sup>، «وَمِنْهُ يَنْشَأُ خُشُوعُ الْبَصَرِ وَخَفْضُهُ وَسُكُونُهُ عِنْدَ تَقْلِيلِهِ فِي الْجِهَاتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِيَ إِلَى شَيْءٍ نَكُرٍ \* خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِيَ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [الْقَمَر: 6-8]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: 43-44] وَفِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَصَفَ أَجْسَادَهُمْ

(1) روح البيان، لأبي الفداء الخلوتي: 9 / 270.

(2) تفسير عبد الرزاق: 2 / 412، وتفسير السمرقندي: 2 / 473، وتفسير الطبري: 19 / 8.

(3) تفسير القرطبي: 1 / 374، وتفسير ابن رجب الحنبلي: 2 / 9، والدر المنثور، للسيوطي:

6 / 84.

(4) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، للنيسابوري: 3 / 273.

(5) شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 2 / 359، وتفسير الطبري: 9 / 197.



بِالْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ، حَيْثُ لَمْ يَصِفْ بِالْخُشُوعِ إِلَّا أَبْصَارَهُمْ<sup>(1)</sup>، قَالَ أَبُو حَفْصٍ  
الْحَدَّادُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُسْنُ أَدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ أَدَبِ الْبَاطِنِ»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ ابْنُ  
الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ أَيُّ: الْخُشُوعُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ طُمَأْنِينَةُ الرَّجُلِ، بِحَيْثُ  
لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا»<sup>(3)</sup>، فَخُشُوعُ الْقَلْبِ فِي الْحَقِيقَةِ يَسْتَلْزِمُ  
خُشُوعَ الْبَصَرِ وَذَلِكَ<sup>(4)</sup>، قَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخُشُوعُ: خُشُوعُ الْقَلْبِ  
وَالطَّرْفِ»<sup>(5)</sup>، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «خُشُوعُ الْقَلْبِ قَيْدُ الْعُيُونِ عَنِ النَّظَرِ»<sup>(6)</sup>، وَعَنِ  
الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قَالَ:  
«كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَعُضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ وَخَفَضُوا لِذَلِكَ الْجَنَاحَ»<sup>(7)</sup>،  
وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي صَلَاتِهِمْ  
خَاشِعُونَ﴾ «أَيُّ: لَا تَطْمَحُ أَبْصَارُهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ»<sup>(8)</sup>، وَقَدْ وَصَّى أَبُو هُرَيْرَةَ

(1) القواعد النورانية الفقهية، لابن تيمية: 1 / 76، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية: 22 / 556،  
بتصرف.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 10 / 230.

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي الفاري: 2 / 666.

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية: 7 / 24.

(5) تفسير ابن رجب الحنبلي (روائع التفسير): 2 / 9.

(6) الرسالة القشيرية، للقسيري: 1 / 276.

(7) الزهد، لابن المبارك: 1 / 55، وتفسير ابن كثير: 10 / 107.

(8) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى: 2 / 55.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُلُّ مُصَلٍّ فَقَالَ: «فَلْيُقْبَلْ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ وَجَسَدِهِ، ثُمَّ لِيَرَمَ بِبَصَرِهِ قَصْدَ وَجْهِهِ خَاشِعًا، أَوْ لِيُخَفِّضْهُ، فَهُوَ أَقْلٌ لِسَهْوِهِ، وَلَا يَلْتَفِتْ وَلَا يُحَرِّكْ شَيْئًا بِيَدِهِ وَلَا بِرِجْلَيْهِ، وَلَا شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، وَلْيُشِيرْ مَنْ فَعَلَ هَذَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»<sup>(1)</sup>.

### ثَالِثًا: السَّبْقُ سَبْقُ الْقُلُوبِ لَا الْأَبْدَانِ

إِذَا خَلَا الْقَلْبُ وَصَفًا<sup>(2)</sup> مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُشَعِّتُهُ وَيُعِيقُهُ فِي سَبْرِهِ إِلَى رَبِّهِ، أَصْبَحَتْ كُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا فِي طَرِيقِهِ أَضْعَافَ الْخُطُواتِ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَيُدْرِكُ بِوَقْتِ يَسِيرِ الرُّقِيِّ الْكَبِيرِ، وَيَحُوزُ بِالْعَمَلِ الْقَلِيلِ الْأَجَرَ الْكَثِيرِ، «وَالْكَيْسُ يَقْطَعُ مِنَ الْمَسَافَةِ بِصِحَّةِ الْعَزِيمَةِ، وَعُلُوُّ الْهَمَّةِ، وَتَجْرِيدُ الْقَصْدِ، وَصِحَّةُ النِّيَّةِ مَعَ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ أَضْعَافَ أَضْعَافَ مَا يَقْطَعُهُ الْفَارِغُ مِنْ ذَلِكَ مَعَ التَّعَبِ الْكَثِيرِ»<sup>(3)</sup>، قَالَ عَلِيٌّ

(1) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 1 / 185، رقم: (133).

(2) «إن القلب إذا لَانَ ورقَّ وانجلَى، صار كالمرآة الصقيلة، فإذا أشرقت عليه أنوار الملكوت، أضاء الصدر وامتلأ من شعاعه، وهذا لا يكون إلى بالعلم حتى تبصر عينُ الفؤادِ باطنَ أمرِ الله في خلقه، فيؤدِّيهِ ذلك إلى ملاحظة نور الله تعالى، فإذا لَاحَظَهُ، فذلك قلبٌ استكمل الزينة والبهاء، بما رُزِقَ من الصفاء، فصار محلَّ نَظَرِ الله من بين خلقه، فكلما نظرَ إلى قلبه، زاده به فرحاً، وله حُبًّا وعِزًّا، واكْتَنَفَهُ بِالرَّحْمَةِ، وَأَرَاخَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَمَلَأَهُ مِنْ أَنْوَارِ الْعُلُومِ»، فيض القدير، للمناوي: 2 / 629، بتصرف.

(3) الفوائد، لابن قيم الجوزية: 1 / 142.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ سَبَقَ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ<sup>(1)</sup> أَقْوَامٌ، مَا كَانُوا بِأَكْثَرِ النَّاسِ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجًّا وَلَا اعْتِمَارًا، وَلَكِنَّهُمْ عَقَلُوا عَنِ اللَّهِ **رَبَّكَ** مَوَاعِظُهُ، فَوَجَلَتْ<sup>(2)</sup> مِنْهُ قُلُوبُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النُّفُوسُ، وَخَشَعَتْ مِنْهُمْ الْجَوَارِحُ؛ فَفَاقُوا الْخَلِيقَةَ<sup>(3)</sup> بِطَيْبِ الْمَنْزِلَةِ بِحُسْنِ الدَّرَجَةِ عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَعِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ<sup>(4)</sup>». «تَاللَّهِ لَقَدْ سَبَقَ الْقَوْمُ السُّعَاةَ، وَهُمْ عَلَى ظُهُورِ الْفُرُشِ نَائِمُونَ، وَقَدْ تَقَدَّمُوا الرِّكْبَ بِمَرَّاحِلَ، وَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ وَاقِفُونَ»<sup>(5)</sup>.

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ الْمُدَّلِّلِ \*\*\* تَمْشِي رُؤَيْدًا وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ  
وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَهُ سَبَقَ غَيْرُهُ، فَالْمُصَلُّونَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ، وَمُقِيمٌ  
الصَّلَاةِ مِنْهُمْ أَقَلُّ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْحَاجُّ قَلِيلٌ، وَالرَّكْبُ كَثِيرٌ»<sup>(6)</sup>، وَكَانَ  
ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «مَا أَقَلُّ مَنْ يَعْمَلُ لِلَّهِ - تَعَالَى - خَالِصًا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(1) جَنَّاتُ عَدْنٍ: بَسَاتِينُ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ، وَالْعَدْنُ: اسْتِقْرَارٌ وَثَبَاتٌ وَإِقَامَةٌ، وَعَدَنَ بِمَكَانٍ كَذَا: اسْتَقَرَّ فِيهِ، انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: 1 / 553، والتفسير، للكواري: 8 / 98.  
(2) وَجَلَتْ: خَافَتْ، وَالْوَجَلُ: الْخَوْفُ، انظر: معجم العين، للخليل: 6 / 182.  
(3) الْخَلِيقَةُ: الْخَلْقُ، وَالْخَلِيقَةُ: الطَّبِيعَةُ، انظر: معجم العين، للخليل: 4 / 151.  
(4) التَّوْبَةُ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ، لابن شاهين: 1 / 83، وروضة المحبين، لابن قيم الجوزية: 1 / 11.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 3 / 9.

(6) مصنف عبد الرزاق، 5 / 19، برقم: (8837).

يُحِبُّونَ ظُهُورَ عِبَادَاتِهِمْ»<sup>(1)</sup>، «فَالْعَامِلُونَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الْمَأْمُورَ بِهَا عَلَى التَّوَرِيحِ تَحِلَّةِ الْقَسَمِ، وَيَقُولُونَ: يَكْفِينَا أَدْنَى مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْأَسْمُ، وَلَيْتَنَا نَأْتِي بِهِ، وَلَوْ عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ بِصَلَاتِهِمْ فَتَعْرِضُهَا عَلَى الرَّبِّ **جَلَّ جَلَالُهُ** بِمَنْزِلَةِ الْهَدَايَا الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا النَّاسُ إِلَى مُلُوكِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ، فَلَيْسَ مَنْ عَمَدَ إِلَى أَفْضَلِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَيَزِيئُهُ وَيُحَسِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ، ثُمَّ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى مَنْ يَرْجُوهُ وَيَخَافُهُ، كَمَنْ يَعْمَدُ إِلَى أَسْقَطِ مَا عِنْدَهُ وَأَهْوَنِهِ عَلَيْهِ، فَيَسْتَرِيحُ مِنْهُ، وَيَبْعَثُهُ إِلَى مَنْ لَا يَقَعُ عِنْدَهُ بِمَوْقِعٍ»<sup>(2)</sup>، وَالْعَجِيبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلَ وَيَعْلَمُ تَقْصِيرَهُ فِيهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُحْضِرُ قَلْبَهُ أَدْنَى خَوْفٍ مِنْ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَيَصِيرَ هَبَاءً، فَلْيَخْشَى هَذَا أَنْ يَزِيغَ الْقَلْبُ بِطَرْفَةِ عَيْنٍ، وَقَدْ يُسَلِّبُ دِينَهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَقَدْ أَصَابَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي هَذَا الْمَعْنَى حِينَ قَالَ: «وَلَا يَأْمَنُ كَرَاتِ الْقَدْرِ وَسَطَوْتَهُ إِلَّا أَهْلُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ تَعَالَى»<sup>(3)</sup>، «وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْفَقْهِ: أَنْ يَخَافَ الرَّجُلُ أَنْ تَخْذُلَهُ ذُنُوبُهُ»<sup>(4)</sup>، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّرْسُوسِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الْعَابِدَ -بِالْمَصِيصَةِ- يَقُولُ: «هَذِهِ الْأَعْمَارُ رُؤُوسُ أَمْوَالٍ يُعْطِيهَا اللَّهُ الْعِبَادَ فَيَتَجَرَّوْنَ فِيهَا؛ فَهُمْ بَيْنَ رَابِعٍ فِيهَا وَخَاسِرٍ»<sup>(5)</sup>.

(1) صيد الخاطر، لابن الجوزي: 1 / 264.

(2) الصلاة، لابن قيم الجوزية: 1 / 109.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 1 / 195.

(4) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية: 1 / 167.

(5) الغنية (فهرست شیوخ القاضي عیاض)، لأبي الفضل البستي: 1 / 108، بتصرف.

وَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ وَوَفَرْتِهَا، وَكَمِّيَّةِ الْعِبَادَةِ وَحَجْمِهَا، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِإِحْسَانِهَا وَإِتْقَانِهَا، بَلْ إِنَّ الْفَوْزَ فِي الْآخِرَةِ مُتَعَلِّقٌ بِهَا، وَمَدَارُ الْأَمْرِ كُلُّهُ وَمَلَكَهُ يَدُورُ حَوْلَ الْإِخْلَاصِ وَالْإِتْقَانِ، مُتَرَسِّمًا هَذِي النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «الْعَمَلُ بِغَيْرِ إِخْلَاصٍ وَلَا اقْتِدَاءٍ؛ كَالْمُسَافِرِ يَمْلَأُ جِرَابَهُ رَمْلًا يَنْقُلُهُ وَلَا يَنْفَعُهُ»<sup>(1)</sup>، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التُّرْمِذِيِّ **رَحْمَةُ اللَّهِ:** قَالَ: «لَيْسَ الْفَوْزُ هُنَاكَ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ، إِنَّمَا الْفَوْزُ هُنَاكَ بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَتَحْسِينِهِ»<sup>(2)</sup>، فَيَقْدِرُ مَا يُخَامِرُ قَلْبَ الْعَبْدِ مِنْ إِخْلَاصٍ أَثْنَاءَ مُعَامَلَتِهِ مَعَ خَالِقِهِ، وَمُتَابَعَتِهِ طَرِيقَةَ نَبِيِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سِيرِهِ، يَكُونُ مَدَدُ السَّمَاءِ لَهُ عَلَى قَدَرِ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، فَمَا أَكْثَرَ الْعُمَالِ فِي زَمَانِنَا، وَمَا أَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ لِلَّهِ مُخْلِصًا، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ -تَعَالَى- يَسْلَمْ مِنَ الرِّيَاءِ، وَابْتِغَاءِ غَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ -تَعَالَى- هُوَ عَيْنُ الرِّيَاءِ»<sup>(3)</sup>، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «مُحَالٌ أَنْ يَزُكَّوْا مِنَ الْأَعْمَالِ شَيْءٌ لَا يُرَادُّ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَفَقَّنَا اللَّهُ عَجَّلَ لِمَا يَرْضَاهُ، وَأَصْلَحَ سَرَائِرُنَا وَعَلَانِيَتَنَا بِرَحْمَتِهِ آمِينَ»<sup>(4)</sup>، وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ **رَحْمَةُ اللَّهِ:** قَالَ: «إِنَّ الْمَلَكَ لَيَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُبْتَهَجًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اجْعَلُوهُ فِي سَجِّينٍ، إِنِّي لَمْ أُرَدْ بِهَذَا الْعَمَلِ»<sup>(5)</sup>، وَقَالَ جَعْفَرُ **رَحْمَةُ اللَّهِ:**

(1) بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية: 1 / 67.

(2) شعب الإيمان، للبيهقي: 9 / 182.

(3) شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 3 / 410.

(4) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للقرطبي: 7 / 106.

(5) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 3 / 69.

سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**، يَقُولُ: «أُقْسِمُ لَكُمْ لَوْ نَبَتَ لِلْمُتَأَفِّقِينَ أَذْنَابٌ، مَا وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ أَرْضًا يَمْشُونَ عَلَيْهَا»<sup>(1)</sup>، فَمِعْيَارُ نَفْيِ النِّفَاقِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، وَكَذَا تَصْحِيحُ الْأَعْمَالِ وَقَبُولُهَا يَرْجِعُ إِلَى مَا فِي الْقُلُوبِ، فَهِيَ الَّتِي تَقْطَعُ الْمَسَافَاتِ إِلَى الْجَنَّاتِ، وَهِيَ الَّتِي تُرْدِي بِالْعَبْدِ إِلَى أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ الرَّازِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ** يَقُولُ: «مَفَاوِزُ الدُّنْيَا تُقْطَعُ بِالْأَقْدَامِ، وَمَفَاوِزُ الْآخِرَةِ تُقْطَعُ بِالْقُلُوبِ»، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ لَا يَزَالُ دِينُكَ مُتَمَرِّقًا مَا دَامَ الْقَلْبُ بِحُبِّ الدُّنْيَا مُتَعَلِّقًا»، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا لَزِمَهُ عَيْبُ الْقُلُوبِ، وَلَا مَكَنَّ الدُّنْيَا مِنْ نَفْسِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَعَ فِي بَحْرِ الدُّنُوبِ»<sup>(2)</sup>، فَمَا تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ بِالْأَعْمَالِ الطَّيِّبَاتِ الْمُبَارَكَاتِ إِلَى عَلَامِ الْغُيُوبِ، إِلَّا بَعْدَ مَا صَدَقَتْ قُلُوبُهُمْ، وَحَسُنَتْ نِيَّتُهُمْ، وَصَفَتْ قَرِيحَتُهُمْ، وَصَلَحَتْ صَلَاتُهُمْ وَخَشَعَتْ. قَالَ سُفْيَانُ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «أَفْضَلُ النَّاسِ أَحْشَعُهُمْ لِلَّهِ **سُبْحَانَهُ**»<sup>(3)</sup>، وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»<sup>(4)</sup>.

(1) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 2 / 376.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 10 / 52.

(3) أخرجه الدارمي في سننه: 1 / 81، برقم: (337).

(4) ذكره الثعالبي في تفسيره: 3 / 64 وعزاه لسهل التستري أيضاً، ومثله الفيروز آبادي في بصائر

ذوي التمييز، 1 / 722. وذكره ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين: 1 / 521-522.

فَمَنْ خَشَعَ فِي صَلَاتِهِ، وَأَخْضَرَ قَلْبَهُ، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ، أَرْضَى بِذَلِكَ رَبَّهُ، وَكَبَدَ عَدُوَّهُ، وَسَبَقَ غَيْرَهُ، إِذْ إِنَّ مِيعَارَ السَّبْقِ عِنْدَ اللَّهِ -تَعَالَى- بِمَا وَقَعَ فِي الْقُلُوبِ عِنْدَ الْأَعْمَالِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِمَنْ سَبَقَ، وَلَكِنَّ الْعِبْرَةَ بِمَنْ صَدَقَ، وَلَرُبَّمَا أَدْرَكَ صَادِقُ الْقَلْبِ مَنْ فَاتَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْأَوَّلِينَ أَوْ فَاتَ، وَالْمُسَدَّدُ لِلْخُشُوعِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْقُرْبَاتِ، مَنْ سَدَّدَهُ رَبُّ الْبَرِّيَّاتِ، وَالْمُوقِفُ مَنْ وَفَّقَهُ الْكَرِيمُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ زُمَرَةَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَقَلْبُهُ فِي صَلَاتِهِ غَافِلٌ عَنْ إِلَهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا سِوَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ، فَأَصْلُ الْخُشُوعِ وَمَنْبَعُهُ يَأْتِي مِنْ قِلِّ لَيْنِ الْقَلْبِ وَرِقَّتِهِ وَسُكُونِهِ، فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ، خَشَعَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالرَّأْسُ وَالْوَجْهُ وَسَائِرُ الْأَعْضَاءِ وَمَا يَنْشَأُ مِنْهَا حَتَّى الْكَلَامُ<sup>(1)</sup>.

## رَابِعًا: الْفَرْقُ بَيْنَ خُشُوعِ الْإِيمَانِ وَخُشُوعِ النِّفَاقِ

مَتَى تَكَلَّفَ الْإِنْسَانُ تَعَاطِيَّ الْخُشُوعِ فِي جَوَارِحِهِ وَأَطْرَافِهِ مَعَ فَرَاغِ قَلْبِهِ مِنَ الْخُشُوعِ وَخُلُوهِ مِنْهُ، كَانَ ذَلِكَ خُشُوعَ نِفَاقٍ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ السَّلَفُ يَسْتَعِيدُونَ مِنْهُ، كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قِيلَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا، وَالْقَلْبَ لَيْسَ

(1) تفسير ابن رجب الحنبلي (روائع التفسير): 2 / 8، بتصرف.

يَخَاشِعُ»<sup>(1)</sup>، وَنَظَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى شَابٍّ قَدْ نَكَسَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا! ارْفَعْ رَأْسَكَ؛ فَإِنَّ الْخُشُوعَ لَا يَزِيدُ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ، فَمَنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ خُشُوعًا فَوْقَ مَا فِي قَلْبِهِ فَإِنَّمَا هُوَ نَفَاقٌ عَلَى نَفَاقٍ»<sup>(2)</sup>.

وَأَصْلُ الْخُشُوعِ الْحَاصِلُ فِي الْقَلْبِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةِ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ لَهُ أَخْشَعُ، وَتَفَاوَتْ الْقُلُوبُ فِي الْخُشُوعِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ مَعْرِفَتِهَا لِمَنْ خَشَعَتْ، وَبِحَسَبِ تَفَاوُتِ مُشَاهَدَةِ الْقُلُوبِ لِلصِّفَاتِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْخُشُوعِ، فَمَا بَيْنَ خَاشِعٍ لِقُوَّةِ مُطَالَعَتِهِ قُرْبَ اللَّهِ مِنْ عَبْدِهِ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَى سِرِّهِ، وَضَمِيرِهِ، الْمُقْتَضِي لِلْإِسْتِحْيَاءِ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- وَمُرَاقَبَتِهِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ، وَمَا بَيْنَ خَاشِعٍ لِمُطَالَعَتِهِ لَجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ الْمُقْتَضِي لِهَيْبَتِهِ، وَمَا بَيْنَ خَاشِعٍ لِمُطَالَعَتِهِ لِكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ الْمُقْتَضِي لِلْإِسْتِغْرَاقِ فِي مَحَبَّتِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ وَرُؤُوسِهِ، وَمَا بَيْنَ خَاشِعٍ لِمُطَالَعَتِهِ شِدَّةَ بَطْشِهِ وَانْتِقَامِهِ وَعِقَابِهِ الْمُقْتَضِي لِلْخَوْفِ مِنْهُ، وَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَابِرُ الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ لِأَجْلِهِ فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَقَرَّبُ مِنَ الْقُلُوبِ الْخَاشِعَةِ لَهُ، كَمَا يَتَقَرَّبُ مِمَّنْ يُنَاجِيهِ فِي الصَّلَاةِ، وَمِمَّنْ يَعْمُرُ لَهُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ بِالسُّجُودِ»<sup>(3)</sup>.

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 7/ 243، رقم: (35711)، وشعب الإيمان، للبيهقي: 9/ 220، رقم: (6567).

(2) المجالسة وجواهر العلم، للدينوري: 4/ 474.

(3) تفسير ابن رجب الحنبلي، (روائع التفسير): 2/ 10-11، بتصرف.



«وَالْفَرْقُ بَيْنَ خُشُوعِ الْإِيمَانِ وَخُشُوعِ النِّفَاقِ، أَنَّ خُشُوعَ الْإِيمَانِ: هُوَ خُشُوعُ الْقَلْبِ لِلَّهِ بِالتَّعْظِيمِ، وَالْإِجْلَالِ، وَالْوَقَارِ، وَالْمَهَابَةِ، وَالْحَيَاءِ، فَيَنْكَسِرُ الْقَلْبُ لِلَّهِ كَسْرَةً مُلْتَمِئَةً مِنَ الْوَجَلِ، وَالْخَجَلِ، وَالْحُبِّ، وَالْحَيَاءِ، وَشُهُودِ نِعَمِ اللَّهِ وَجَنَائِيَّتِهِ، فَيَخْشَعُ الْقَلْبُ لَا مَحَالَةَ، فَيَتَّبِعُهُ خُشُوعُ الْجَوَارِحِ.

وَأَمَّا خُشُوعُ النِّفَاقِ: فَيَبْدُو عَلَى الْجَوَارِحِ تَصَنُّعًا وَتَكَلُّفًا، وَالْقَلْبُ غَيْرُ خَاشِعٍ، فَالْخَاشِعُ لِلَّهِ عَبْدٌ قَدْ خَمَدَتْ نِيرَانُ شَهْوَتِهِ، وَسَكَنَ دُخَانُهَا عَنْ صَدْرِهِ، فَانْجَلَى الصَّدْرُ، وَأَشْرَقَ فِيهِ نُورُ الْعِظَمَةِ، فَمَاتَتْ شَهَوَاتُ النَّفْسِ لِلْخَوْفِ وَالْوَقَارِ الَّذِي حُشِيَ بِهِ، وَخَمَدَتْ الْجَوَارِحُ، وَتَوَقَّرَ الْقَلْبُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَى اللَّهِ، وَذَكَرَهُ بِالسَّكِينَةِ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، فَصَارَ مُخْبِتًا لَهُ، وَالْمُخْبِتُ <sup>(1)</sup> الْمُطْمَئِنُّ، فَإِنَّ الْخُبْتَ مِنَ الْأَرْضِ مَا اطمأنَّ فَاسْتَنْقَعَ فِيهِ الْمَاءُ، وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ الْمُخْبِتُ قَدْ خَشَعَ وَاطْمَأَنَّ كَالْبُقْعَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا الْمَاءُ فَيَسْتَقِرُّ فِيهَا، وَعَلَامَتُهُ أَنْ يَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ -إِجْلَالًا، وَذُلًّا، وَانْكَسَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ- حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ عَلَى ذَلِكَ... فَهَذَا خُشُوعُ الْإِيمَانِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ الْمَنْدُوبُ.

أَمَّا التَّمَاوُتُ، وَخُشُوعُ النِّفَاقِ، فَهُوَ حَالٌ عَبْدٍ تَكَلَّفَ إِسْكَانَ الْجَوَارِحِ تَصَنُّعًا، وَمُرَاعَاةً، وَنَفْسُهُ فِي الْبَاطِنِ شَابَّةٌ طَرِيقُهَا ذَاتُ شَهَوَاتٍ، وَإِرَادَاتٍ، فَهُوَ يَتَخَشَعُ فِي الظَّاهِرِ، وَحَيَّةُ الْوَادِي، وَأَسَدُ الْغَابَةِ رَابِضٌ بَيْنَ جَنْبَيْهِ يَنْتَظِرُ الْفَرِيسَةَ <sup>(2)</sup>.

(1) انظر: مفردات غريب القرآن، للراغب: 1 / 141.

(2) كتاب الروح، لابن قيم الجوزية، تحقيق بسام العموش: 2 / 694-695.

وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْخُشُوعُ مَذْمُومًا، وَهُوَ الْمُتَكَلِّفُ أَمَامَ النَّاسِ بِمُطَاطَاةِ الرَّأْسِ وَالتَّبَاكِي كَمَا يَفْعَلُهُ الْجُهَالُ، لِيُرُوا بَعَيْنِ الْبِرِّ وَالْإِجْلَالِ، وَذَلِكَ خُدْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَتَسْوِيلٌ مِنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ<sup>(1)</sup>، وَلَمَّا رَأَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا طَاطَأَ رَقَبَتَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «يَا صَاحِبَ الرَّقَبَةِ ارْفَعْ رَقَبَتَكَ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرَّقَابِ إِنَّمَا الْخُشُوعُ فِي الْقُلُوبِ»<sup>(2)</sup>، «فَأَهْلُ الظَّاهِرِ يَحْفَظُونَ لِحَظَاتِ الْعُيُونِ عَنِ الْإِلْفَاتِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَجَوَارِحُهُمْ عَنِ الْحَرَكَاتِ فِي غَيْرِ مَا أُمِرُوا بِهِ، وَأَهْلُ الْبَاطِنِ قَدْ جَاوَزُوا ذَلِكَ وَحَفِظُوا لِحَظَاتِ الْقُلُوبِ لِيَلَّا تَلَحَّظَ أَحَدًا سِوَاهُ، فَتَكُونُ قُلُوبُهُمْ مُتَّصِبَةً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ -تَعَالَى- كَمَا انْتَصَبَتْ جَوَارِحُهُمْ فِي الظَّاهِرِ، وَذَلِكَ بِمَا وَلَجَ قُلُوبُهُمْ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَجَلَالِهِ فَهَابَتْ وَاسْتَقَرَّتْ فِي تِلْكَ الْهَيْبَةِ لِلَّهِ -تَعَالَى- فَانْتَقَى عَنْهُمْ وَسَاوِسُ نَفُوسِهِمْ»<sup>(3)</sup>.

### خَامِسًا: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ وَأَشَدِّهَا الَّتِي يُبْتَلَى بِهَا الْعَبْدُ فِي دَارِ الدُّنْيَا هِيَ: قَسْوَةُ قَلْبِهِ، وَيُبْسُهُ عَنْ كَلَامِ رَبِّهِ، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ ذَهَابُ اللَّيْنِ وَالرَّحْمَةِ وَالْخُشُوعِ مِنْهُ»<sup>(4)</sup>، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقَسْوَةُ الصَّلَابَةُ وَالشَّدَّةُ

(1) تفسير القرطبي: 1 / 375.

(2) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 559.

(3) نواذر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للحكيم الترمذي: 2 / 174.

(4) لسان العرب، لابن منظور: 15 / 181.

وَالْيُسُسُ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ خُلُوعِهَا مِنَ الْإِنَابَةِ، وَالْخُشُوعِ، وَالْإِذْعَانِ لِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(1)</sup>.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16]، عَلَّقَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ: «يَقُولُ -تَعَالَى- فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَمَّا أَنْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، أَيَّ تَلِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، فَتَفْهَمُهُ وَتَنْقَادُ لَهُ، وَتَسْمَعُ لَهُ وَتَطِيعُهُ»<sup>(2)</sup>، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللَّهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَاتَبَهُمْ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ نُزُولِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ .. الْآيَةُ»<sup>(3)</sup>، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ»<sup>(4)</sup>، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: قَالَ: «بَلَى يَا رَبِّ، بَلَى يَا رَبِّ»<sup>(5)</sup>.

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 2 / 204.

(2) تفسير ابن كثير: 13 / 421.

(3) تفسير ابن كثير: 13 / 421.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 2319، رقم: (3027).

(5) الدر المنثور، للسيوطي: 8 / 59.

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** قَدْ حَذَرَ الصَّحَابَةَ الْكَرَامَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَعَدَمِ خُشُوعِهِ، وَهُمْ مَنْ هُمْ: نُجُومُ الْمُهْتَدِينَ، وَرُجُومُ الْمُعْتَدِينَ، الَّذِينَ قَامُوا بِحَقِّ الرِّسَالَةِ وَالِدِّينِ، وَهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ كَمَا وَصَفَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وَهُمْ رُهْبَانُ اللَّيْلِ فِي الْقِيَامِ وَالْعِبَادَةِ، وَفُرْسَانُ النَّهَارِ فِي الصِّيَامِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَيُتْلَى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ غَضًّا طَرِيًّا يُجَسِّدُ وَاقِعَ حَيَاةٍ شَامِلَةٍ، فَكَيْفَ بَنَا الْيَوْمَ فِي هَذَا الزَّمَنِ، الَّذِي عَظُمَتْ غُرْبَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ فِتْنَتُهُ، وَعَلَا دُعَاؤُهُ عَلَى اخْتِيَارِهِ، وَبَغَى أَشْرَارُهُ عَلَى أَبْرَارِهِ، الَّذِي تَعَلَّقَتْ فِيهِ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا وَانْتَشَرَتِ الْفِتْنُ، وَتَكَاثَرَتِ الْمَحْنُ، وَأَصْبَحَ الْوَاحِدُ مِنَّا يَعِيشُ غُرْبَةً الدِّينِ بِحَقٍّ وَحَقِيقَةٍ!

فَجَدِيرٌ بِنَا أَنْ نَخْشَعَ لِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَطْمِئَنَ بِهَا، وَنَسْكُنَ إِلَيْهَا، وَنَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِفَهْمِهَا وَتَدَبُّرِهَا وَتَطْبِيقِهَا، «وَإِنَّ الظَّوَاهِرَ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَقَحْطِ الْعَيْنِ وَانْعِدَامِ التَّدَبُّرِ، وَعَدَمِ الْخُشُوعِ هِيَ بِسَبَبِ الانْشِغَالِ بِالدُّنْيَا الَّتِي طَعَتْ عَلَى قُلُوبِنَا فَأَصْبَحَتْ تُشَارِكُنَا فِي عِبَادَتِنَا، فَلَا يُمَكِّنُ لِلْقُلُوبِ أَنْ تَرْجِعَ لِحَالَتِهَا الصَّحِيحَةِ السَّلِيمَةِ حَتَّى تَتَطَهَّرَ مِنْ كُلِّ مَا عَلِقَ بِهَا مِنْ أَذْرَانٍ» <sup>(1)</sup>، حَتَّى نَبْتَعدَ كُلَّ الْبُعدِ عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ الَّتِي هِيَ أَشْرُّ شَيْءٍ فِي عِلَاقَةِ الْعَبْدِ مَعَ رَبِّهِ، قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ» <sup>(2)</sup>،

(1) هكذا كان الصالحون، لأبي عبد الملك الحسينان: 1 / 4، بتصرف.

(2) مختصر قيام الليل، للمروزي: 1 / 66، وجامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر: 1 / 700.

وَأَنَّ أَبْعَدَ الْقُلُوبِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي، وَخُلِقَتِ النَّارُ لِإِذَابَةِ هَذِهِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ»<sup>(1)</sup>، فَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ قَسْوَةَ الْقَلْبِ سَبَبٌ لِلضَّلَالِ، وَانْغِلَاقِ الْقَلْبِ، فَلَا يَخْشَعُ وَلَا يَعِي وَلَا يَفْهَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 22]، وَوَيْلٌ: أَيْ: عَذَابٌ وَنَكَالٌ لِقُلُوبٍ بَعُدَتْ وَقَسَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ إِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ بَعِيدٌ عَنِ اللَّهِ، مَحْرُومٌ مِنْ رَحْمَتِهِ، مُوعِدٌ بِعَذَابِهِ، مَا دَامَ مُسْتَرَسِلًا فِي بُعْدِهِ وَقَسْوَتِهِ، وَالْقَلْبُ الْخَاشِعُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا سَلِمَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَهُوَ الْمَحْجُوبُ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا صَارَ مُسْتَعْرِقًا بِغَيْرِ اللَّهِ، وَهُوَ الْمُخَاطَبُ وَالْمُعَاتَبُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْعَدُ بِالْخُشُوعِ وَالْإِنَابَةِ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، فَيَفْلَحُ صَاحِبُهُ إِذَا بِالْخُشُوعِ زَكَّاهُ، وَيَخِيبُ وَيَشْقَى إِذَا بِالْقَسْوَةِ دَسَّاهُ وَدَسَّاهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا: «إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(2)</sup>، الَّذِي هُوَ مَحَلُّ نَظَرِ الرَّبِّ، قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»<sup>(3)</sup>،

(1) انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية: 1 / 97.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 20، رقم: (52)، ومسلم: 3 / 1219، رقم: (1599).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 1987، رقم: (2564).

وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ»<sup>(1)</sup>،<sup>(2)</sup> «فَالْقَلْبُ هُوَ مَحَلُّ الْخُشُوعِ الَّذِي هُوَ مَحْطُّ نَظَرِ الْحَقِّ جَلَّالَهُ وَلَا عِبْرَةَ بِحُسْنِ الظَّاهِرِ وَزُخْرِفِ اللِّسَانِ مَعَ خُبْثِ الْجَنَانِ»<sup>(3)</sup>، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ الْقَلْبَ يَفْسُدُ بِأُمُورٍ: التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرُكُوبُ بَحْرِ التَّمَنِّي، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ، وَكَثْرَةُ الطَّعَامِ، وَالْمُفْسِدُ مِنْهُ نَوَعَانٍ: أَكْلُ الْحَرَامِ، وَالْإِسْرَافُ»<sup>(4)</sup>، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَسَوْءُ الْقَلْبِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ إِذَا جَاوَزَتْ قَدْرَ الْحَاجَةِ: الْأَكْلُ، وَالنَّوْمُ، وَالْكَلَامُ، وَالْمُخَالَطَةُ»<sup>(5)</sup>، فَكَانَ الصَّالِحُونَ يَتَوَاصَوْنَ بِرِعَايَةِ قُلُوبِهِمْ وَالْعِنَايَةِ بِهَا أَيْمًا عِنَايَةً، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ صَلَاحُ قُلُوبِهِمْ وَخُشُوعُهَا، قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ: «دَاوِ قَلْبَكَ فَإِنَّ حَاجَةَ اللَّهِ إِلَى الْعِبَادِ صَلَاحُ قُلُوبِهِمْ»<sup>(6)</sup>، وَإِذَا صَلَحَتِ الْقُلُوبُ، سَهَّلَ عَلَى الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ الْخُشُوعُ وَالِاسْتِقَامَةُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 1986، رقم: (6707).

(2) «وَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَلَّا يُقَطَعَ بِعَيْبٍ أَحَدٍ لِمَا يُرَى عَلَيْهِ مِنْ صُورِ أَعْمَالِ الطَّاعَةِ أَوْ الْمُخَالَفَةِ، فَلَعَلَّ مَنْ يُحَافِظُ عَلَى الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ وَصَفًا مَذْمُومًا لَا تَصِحُّ مَعَهُ تِلْكَ الْأَعْمَالُ» تفسير القرطبي: 16 / 326.

(3) فيض القدير، للمنาวى: 5 / 49، بتصرف.

(4) الفوائد الإيمانية من كتب ابن قيم الجوزية: 1 / 37-41.

(5) فوائد الفوائد (مرتبة ميوّبة)، لابن قيم الجوزية: 1 / 262، تخريج علي بن حسن عبد الحميد.

(6) روائع التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي: 2 / 54.

دِينِ اللَّهِ بِأَيْسَرِ بَيَانٍ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا صَارَتِ الْمُعَامَلَةُ إِلَى الْقَلْبِ اسْتَرَاحَتِ الْجَوَارِحُ» (1).

وَالْخُشُوعُ مِنَ الْإِيمَانِ؛ الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ، وَإِنَّمَا يَزِيدُ الْإِيمَانَ بِحَيَاةِ الْقَلْبِ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِغْغَالِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا أَنَّهُ يَنْقُصُ بِمَرَضِ الْقَلْبِ، وَيَذْهَبُ بِمَوْتِهِ، وَذَلِكَ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، «فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ السَّالِمُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ كُلِّهَا، الَّتِي يُبْثِّئُهَا إِبْلِيسُ وَيَبْذُرُهَا وَيَسْقِيهَا بِكَيْدِهِ وَخُبَيْثِهِ، فَالْقَلْبُ الْخَاشِعُ يَنْفِي هَذِهِ الْآفَاتِ وَيَطْرُدُ خَبْثَهَا كَمَا يَنْفِي الْكَيْرُ الْخَبْثَ، فَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ سِوَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَخَشْيَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَخَشْيَةُ مَا يَبْعَدُ عَنْهُ» (2).

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ قَلْبُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ لِيَدْفَعَ عَنْهُ الْقَسْوَةَ؛ فَإِنَّهَا إِذَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ مَنَعَتْهُ الْخُشُوعَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ التَّرَقِّيَ فِي سُلَمِ الْإِيمَانِ، وَدَرَجاتِ الْيَقِينِ، وَلِذَا: عَاتَبَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَلْغُوا قِمَّةَ الْخُشُوعِ؛ حَيْثُ تَدُلُّ حَرَكَتُهُمُ الْبَطِيئَةَ عَلَى ضَعْفٍ لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ لِلْعُصْبَةِ الْمُؤْمِنَةِ حَامِلَةِ الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ، لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ كَافَّةً؛ عَاتَبَهُمْ فَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16]، وَفِي الْآيَةِ تَلْوِيحٌ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ قَسْوَةِ

(1) حلية الأولياء، وطبقات الأصفاء، لأبي نعيم: 281 / 9.

(2) جامع العلوم والحكم، لابن رجب: 1 / 211، بتصرف شديد.

أَوْرَثَتْهُمْ الْفِسْقَ فِي الْأَعْمَالِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ التَّحْذِيرُ الشَّدِيدُ مِنْ مَالِهِمْ، حَيْثُ طَالَ عَلَيْهِمُ الزَّمَانُ، وَاسْتَمَرَّتْ بِهِمُ الْعَقْلَةُ، فَاضْمَحَلَّ إِيْمَانُهُمْ، وَذَهَبَ إِيْقَانُهُمْ» (1)، «وَإِنَّ الْقَلْبَ الْبَشْرِيَّ سَرِيعُ التَّقَلُّبِ، سَرِيعُ النِّسْيَانِ، وَهُوَ يَشْفُ وَيُشْرِقُ فَيَفِيضُ بِالنُّورِ... فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ بِلَا تَذْكِيرٍ وَلَا تَذَكُّرٍ، تَبَلَّدَ وَقَسَا، وَانْطَمَسَتْ إِشْرَاقَتُهُ، وَأَظْلَمَ وَأَعْتَمَ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَذْكِيرِ هَذَا الْقَلْبِ...، وَلَا بُدَّ مِنَ الْيَقَظَةِ الدَّائِمَةِ كَيْ لَا يُصِيبَهُ التَّبَلُّدُ وَالْقَسَاوَةُ» (2).

### سَادِسًا: الْإِلْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ وَضَدَهُ

إِنَّ الْمُصَلِّيَّ الْخَاشِعَ فِي صَلَاتِهِ كَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا، إِذَا كَانَ بِجَمِيعِ قَلْبِهِ، وَجَمِيعِ بَدَنِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَكَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا أَنْ تُثْقَلَ بَدَنُهُ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُنَاجِي الْمَلِكَ الْأَكْبَرَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُطَ مُنَاجَاةَ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ بِغَيْرِهَا، وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ لِمَنْ صَدَقَ بِأَنَّ اللَّهَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، أَنْ يَلْتَفِتَ، أَوْ يَغِيبَ، أَوْ يَتَفَكَّرَ، أَوْ يَتَحَرَّكَ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ الْمُقْبِلُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، لِأَنَّ اشْتِغَالَهُ فِي صَلَاتِهِ بِغَيْرِهَا، مِنْ الْإِلْتِفَاتِ أَوْ الْعَبَثِ أَوْ التَّفَكُّرِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا هُوَ إِعْرَاضٌ عَمَّنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ» (3)، وَذُكِرَ فِي حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ

(1) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، لمحمد نصر الدين عويضة: 8 / 425.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب: 6 / 3489.

(3) انظر: تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 1 / 172.



بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ<sup>(1)</sup>، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»<sup>(2)</sup>، وَيَخْشَى الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِذَا تَلَفَّتْ فِي صَلَاتِهِ، أَنْ يَكُونَ مَمْقُوتًا بَعِيدًا عَنِ اللَّهِ ﷻ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْإِلْتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِلْمُلْتَفِتِ»<sup>(3)</sup>،<sup>(4)</sup> وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ ﷻ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ، انْصَرَفَ عَنْهُ»<sup>(5)</sup>، «فَمَنْ خَطَرَتِ الدُّنْيَا بِبَالِهِ لَغَيْرِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ حُجِبَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(6)</sup>، قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا يَأْمَنُ هَذَا الَّذِي يَلْتَفِتُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يَقْلِبَ اللَّهُ وَجْهَهُ، اللَّهُ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ وَهُوَ مُلْتَفِتٌ

(1) أخرجه الترمذي: 5 / 148، رقم: (2863)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 150، رقم: (751)، وغيره.

(3) قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجُمُوهُورُ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّ الْإِلْتِفَاتَ لَا يُفْسِدُ الصَّلَاةَ إِذَا كَانَ يَسِيرًا»، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر: 21 / 103.

(4) مصنف ابن أبي شيبة: 1 / 395، رقم: (4535).

(5) أخرجه أحمد: 35 / 400، رقم: (21508)، وأبو داود: 1 / 239، رقم: (909)،

والنسائي: 1 / 286، رقم: (532)، والحاكم: 1 / 361، رقم: (862)، وصححه، وقال

الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(6) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 9 / 313.

عَنْهُ<sup>(1)</sup>، وَعَنِ الْحَكَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «إِنَّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ أَنْ لَا تَعْرِفَ مَنْ عَنْ يَمِينِكَ وَلَا مَنْ عَنْ شِمَالِكَ»<sup>(2)</sup>، «فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ غَنِمَ بِصَلَاتِهِ، وَأَقْبَلَ فِيهَا إِلَى رَبِّهِ خَاشِعًا خَاضِعًا دَلِيلًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(3)</sup>، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ رَبُّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبْلَتِهِ»<sup>(4)</sup>، وَقَالَ عَطَاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلَا يَلْتَفِتْ، إِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، إِنَّ رَبَّهُ أَمَامُهُ، وَإِنَّهُ يُنَاجِيهِ» قَالَ: «وَبَلَّغْنَا أَنَّ الرَّبَّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ؟ أَنَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ»<sup>(5)</sup>، وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: 23]: «الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ»<sup>(6)</sup>، وَإِنْ عَدَمَ التَّلَفُّتُ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءً بِالْقَلْبِ أَوِ الْبَصَرِ مَدْعَاةٌ لِلْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ أَنْ تُلِينَ كَنَفَكَ لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، وَأَنْ لَا تَلْتَفِتَ فِي الصَّلَاةِ»<sup>(7)</sup>.

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 1 / 395، رقم: (4539).

(2) شرح سنن أبي داود، لبدر الدين العيني: 4 / 134.

(3) هذا كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رسالة الصلاة: 1 / 61.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 91، رقم: (417).

(5) مصنف عبد الرزاق الصنعاني: 2 / 256، ومصنف ابن أبي شيبة: 1 / 395، وتعظيم قدر

الصلاة، للمروزي: 1 / 190.

(6) مصنف ابن أبي شيبة: 1 / 396، رقم: (4546).

(7) الزهد، للإمام وكيع بن الجراح: 2 / 599.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْاِتِّفَاتُ الْمَنْهِي عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: اِتِّفَاتُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ ﷻ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالثَّانِي: اِتِّفَاتُ الْبَصَرِ، وَكِلَاهُمَا مَنْهِي عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى عَبْدِهِ مَا

دَامَ الْعَبْدُ مُقْبِلًا عَلَى صَلَاتِهِ، فَإِذَا اِتَّفَتَ بِقَلْبِهِ أَوْ بَصَرِهِ، أَعْرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

وَمِثْلُ مَنْ يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ بِبَصَرِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ مِثْلُ رَجُلٍ قَدْ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ،

فَأَوْقَفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَقْبَلَ يَدَايِهِ وَيُخَاطِبُهُ، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ عَنِ السُّلْطَانِ

يَمِينًا وَشِمَالًا، وَقَدْ انْصَرَفَ قَلْبُهُ عَنِ السُّلْطَانِ، فَلَا يَفْهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ

لَيْسَ حَاضِرًا مَعَهُ، فَمَا ظَنُّ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ السُّلْطَانُ، أَفَلَيْسَ أَقَلَّ الْمَرَاتِبِ

فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَمْقُوتًا مُبْعَدًا، قَدْ سَقَطَ مِنْ عَيْنَيْهِ؟ فَهَذَا الْمُصَلِّي

لَا يَسْتَوِي مَعَ الْحَاضِرِ الْقَلْبِ الْمُقْبِلِ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- فِي صَلَاتِهِ، الَّذِي قَدْ أَشْعَرَ

قَلْبَهُ عَظَمَةَ مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاِمْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَتِهِ، وَذَلَّ عُنُقُهُ لَهُ، وَاسْتَحْيَى

مِنْ رَبِّهِ -تَعَالَى- أَنْ يُقْبَلَ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ يَلْتَفِتَ عَنْهُ، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا قَالَ

حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةِ، وَإِنْ مَا بَيْنَهُمَا

فِي الْفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ ﷻ،

وَالْآخَرُ سَاهٍ غَافِلٌ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ لَمْ يَكُنْ

إِقْبَالًا وَلَا تَقَرُّبًا، فَمَا الظَّنُّ بِالْخَالِقِ ﷻ، وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْخَالِقِ ﷻ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

حِجَابُ الشَّهَوَاتِ، وَالْوَسَاوِسِ، وَالنَّفْسِ مَشْغُوفَةٌ بِهَا، مَلَأَتْ مِنْهَا، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِقْبَالًا، وَقَدْ أَلْهَتْهُ الْوَسَاوِسُ، وَالْأَفْكَارُ، وَذَهَبَتْ بِهِ كُلُّ مَذْهَبٍ<sup>(1)</sup>.

### نَمَازِجُ مِنَ الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ لَا يَلْتَفِتُونَ فِي صَلَاتِهِمْ:

إِنَّ رَأْسَ الْخَاشِعِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتِمَةِ، وَسَيِّدُهُمْ هُوَ نَبِيُّهُمْ ﷺ، إِذْ كَانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ، نَقِيَ الْفُؤَادِ، بَلَغَ بُكَاءُؤُهُ فِي الصَّلَاةِ مَبْلَغًا أَنْ بَلَّتْ حَقْوِيهِ، وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَبْكِي بِشَهِيْقٍ وَرَفَعَ صَوْتٍ، وَلَكِنْ كَانَتْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّى تَهْمُلَ، وَيُسْمَعُ لَصْدَرِهِ أَزِيْرٌ، وَكَانَ بُكَاءُؤُهُ تَارَةً رَحْمَةً لِلْمَيِّتِ، وَتَارَةً خَوْفًا عَلَى أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهَا، وَتَارَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَارَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَهُوَ بُكَاءُ اشْتِيَاقٍ وَمَحَبَّةٍ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ فِيمَا مَضَى إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ فِي الصَّلَاةِ يَهَابُ الرَّحْمَنَ أَنْ يَشُدَّ بَصْرَهُ، أَوْ يَلْتَفِتَ، أَوْ يَعْبَثَ بِشَيْءٍ، أَوْ يُقَلِّبَ الْحَصَى، أَوْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا إِلَّا نَسِيًّا»<sup>(2)</sup>، وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقُمْ قَانِتًا كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، وَإِيَّاكَ وَالسَّهْوَ وَالِإِلْتِفَاتَ، أَنْ يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَتَنْظُرَ إِلَى غَيْرِهِ، تَسْأَلُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَتَعُوْذُ بِهِ مِنَ النَّارِ،

(1) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن قيم: 1/ 35-36، ببعض التصرف، وانظره:

أيضًا الوابل الصيب: 14-37، ومدارج السالكين، لابن قيم: 1/ 112، وفي موضع آخر: 1/

525-530.

(2) انظر: شعب الإيمان، للبيهقي: 4/ 506، رقم: (2883).

وَقَلْبُكَ سَاهٍ وَلَا تَدْرِي مَا تَقُولُ بِلسَانِكَ» <sup>(1)</sup>، وَسُئِلَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «إِجْمَاعُ الْهَمِّ فِي الصَّلَاةِ لِلصَّلَاةِ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ شُغْلٌ سِوَاهُ» <sup>(2)</sup>، فَأَلَيْكَ بَعْضُ أَخْبَارِ الْخَاشِعِينَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَلَاتِهِمْ بَدْنًا بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ :

\*. عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ الْمِقْدَادِ «وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ» <sup>(3)</sup>.

(1) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة: 1 / 189 / 140.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: 3 / 151، رقم: (3168).

(3) أخرجه أحمد: 2 / 299، رقم: (1022)، وابن خزيمة: 2 / 52، رقم: (899)، وابن حبان: 6 / 32، رقم: (2257)، وصححه أحمد شاكر، والألباني، والأرنؤوط.

\*. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْمَسْجِدَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيْرِ الْمِرْجَلِ (1) مِنْ الْبُكَاءِ» (2)، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَأَزِيْرِ الرَّحَى مِنْ الْبُكَاءِ» (3).

\*. وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ، أَوْ تَتَفَنَخَ قَدَمَاهُ، [وَفِي رِوَايَةٍ: قَامَ حَتَّى تَفْطَرَّ رِجْلَاهُ] (4)، فَيَقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» (5).

(1) «أَزِيْرِ الْمِرْجَلِ» بِكَسْرِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْجِيمِ: أَيِ الْقَدْرِ إِذَا عَلَى، قَالَ الطَّيْبِيُّ: أَزِيْرُ الْمِرْجَلِ صَوْتُ غَلْيَانِهِ، وَمِنْهُ الْأَزُّ وَهُوَ الْإِزْعَاجُ، مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ، لَعَلِي الْقَارِي: 2 / 791.

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ: 26 / 242، رَقْمُ: (16317)، وَابْنُ خَزِيمَةَ: 2 / 53، رَقْمُ: (900)، وَابْنُ حَبَانَ: 2 / 439، رَقْمُ: (665)، وَالْحَاكِمُ: 1 / 396، رَقْمُ: (971)، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: إِسْنَادُهُ قَوِي، وَصَحِّحَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ، وَابْنُ حَبَانَ، وَالْحَاكِمُ، وَكَذَا صَحِّحَهُ النَّوَوِيُّ، وَالْأَلْبَانِيُّ، وَالْأَرْنَؤُوطُ.

(3) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ: 1 / 238، رَقْمُ: (904)، وَصَحِّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَالْأَرْنَؤُوطُ.

(4) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: 4 / 2172، رَقْمُ: (2820).

(5) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 8 / 99، رَقْمُ: (6471)، وَمُسْلِمٌ: 4 / 2171، رَقْمُ:

(2819).

\*. وَعَنْ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ، بَكَى قَائِمًا حَتَّى تَجْرِيَ دُمُوعُهُ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَرْكَعُ، فَيَبْكِي رَاكِعًا حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِذَا سَجَدَ هَكَذَا..» (1).

\*. قَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ» (2)، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا بَكَاءٌ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ إِذَا صَلَّى بِهِمْ» (3).

\*. وَصَلَّى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّاسِ يَوْمًا وَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، فَسَمِعَ نَشِيجَهُ مِنْ آخِرِ الصُّفُوفِ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: 18] (4).

(1) الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا: 1 / 243.

(2) أخرجه عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة: 1 / 207، رقم: (229).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 144، رقم: (713)، ومسلم: 1 / 313، رقم: (418).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 144.

\*. وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ <sup>(1)</sup>، فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةً رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ <sup>(2)</sup>، فَحَلَفَ أَنْ لَا يَنْتَهِي حَتَّى يُهْرِقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، «فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْزِلًا، فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَكُلُونَا؟» <sup>(3)</sup> فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ <sup>(4)</sup>، فَقَالَ ﷺ: «كُونَا بِقَمِ الشَّعْبِ» قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى قَمِ الشَّعْبِ، اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرُ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَاتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَهُ، عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيبُهُ <sup>(5)</sup> لِلْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَفَزَعَهُ، حَتَّى رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ

(1) كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ، قَالَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ، وَفِي تَسْمِيَةِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ بِذَاتِ الرِّقَاعِ وَجُوهٍ، وَالْأَصَحُّ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَقْرُبُنَا بَعِيرَ نَعْتَقَبُهُ، فَتَقَبَّتْ أَفْدَامَنَا، وَتَقَبَّتْ قَدَمَائِي وَسَقَطَتْ أَطْفَارِي، فَكُنَّا نُلْفَى عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ، فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا. عون المعبود، للآبادي: 1 / 225.

(2) أَي: قَتَلَهَا.

(3) أَي: يسأل أصحابه من يقوم على حراستنا الليلة.

(4) عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، انظر: عون المعبود، للآبادي: 1 / 225.

(5) «رَبِيبَةٌ لِلْقَوْمِ» هُوَ الرَقِيبُ وَالْعَيْنُ الْحَارِسَةُ الَّتِي يَحْفَظُ الْقَوْمَ، وَيَكُونُ عَلَى الْمَرْقَبِ أَوْ الْمُرْصَدِ يَنْظُرُ الْعَدُوَّ وَيَتَطَّلَعُ لَهُمْ خَبْرَهُ، مِنْ أَيِّ جِهَةٍ يَأْتِي فَيَنْذِرُ أَصْحَابَهُ، لِئَلَّا يَهْجُمَ عَلَيْهِمْ وَيُذَاهِمَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ.



قَدْ نَذَرُوا بِهِ، هَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرُ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَلَا أَنْبَهْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَى؟، قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةِ أَقْرُؤُهَا، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أَنْفِذَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمِي، رَكَعْتُ فَأَرَيْتُكَ، وَإِئِمُّ اللَّهُ، لَوْلَا أَنْ أُضِيعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أَنْفِذَهَا» (1).

\*. عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «لَوْ رَأَيْتَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ غُصْنُ شَجَرَةٍ يَصْفُقُهَا الرِّيحُ، وَحَجَرَ الْمُنْجَنِقِ يَقَعُ هَهُنَا، وَهَهُنَا مَا يَلْتَفِتُ»، قَالَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَأَنَّهُ لَا يُبَالِي» (2).

\*. وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَدَخَلَ سَيْلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَمَا أَنْكَرَ النَّاسُ مِنْ صَلَاتِهِ شَيْئًا حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا» (3).

(1) أخرجه ابن المبارك في الجهاد: 1 / 149، رقم: (189)، وأحمد في المسند: 23 / 51، رقم: (14704)، وأبو داود في السنن: 1 / 50، رقم: (198)، وابن خزيمة في الصحيح: 1 / 24، رقم: (36)، وابن حبان في الصحيح: 3 / 375، رقم: (1096)، والدارقطني في السنن: 1 / 415، رقم: (869)، والحاكم في المستدرک: 1 / 258، رقم: (557)، والبيهقي في السنن الكبرى: 1 / 219، رقم: (663)، وقد صحح الحديث ابن خزيمة، وابن حبان، وحسنه الألباني، والأرنؤوط، والأعظمي.

(2) الزهد، لأحمد بن حنبل: 1 / 120، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 3 / 369، شعب الإيمان، للبيهقي: 4 / 507، رقم: (2885).

(3) شرح صحيح البخاري، لابن بطال: 2 / 365.

\*. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أُمِّهِ، أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْتَهُ، فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي، فَسَقَطَتْ حَيَّةٌ عَلَى ابْنِهِ هَاشِمٍ، فَصَاحُوا: الْحَيَّةُ الْحَيَّةُ، ثُمَّ رَمَوْهَا، فَمَا قَطَعَ صَلَاتَهُ» (1).

\*. وَعَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: رَأَيْتُ سَالِمًا، وَالْقَاسِمَ، «لَا يَلْتَفَتَانِ فِي صَلَاتِهِمَا» (2)، وَقَالَ عَاصِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا رَأَيْتُ أَبَا وَائِلٍ مُلْتَفِتًا فِي صَلَاتِهِ قَطُّ» (3).

\*. قَالَ أَبُو نُوحٍ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَعَ حَرِيقٌ فِي بَيْتٍ فِيهِ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! النَّارُ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! النَّارُ، فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى أُطْفِئَتْ، فَقِيلَ لَهُ: مَا الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْهَا؟ فَقَالَ: أَلْهَيْتَنِي عَنْهَا النَّارُ الْآخَرَى» (4).

\*. قَالَ مَيْمُونُ بْنُ جَابَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا رَأَيْتُ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، مُلْتَفِتًا فِي صَلَاةٍ قَطُّ خَفِيفَةً، وَلَا طَوِيلَةً»، قَالَ: «وَلَقَدْ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَفَزِعَ أَهْلُ الشُّوقِ لِهَدَّتِهَا، وَأَنَّهُ لَفِيَ الْمَسْجِدُ فِي الصَّلَاةِ فَمَا التَفَتَ» وَذَكَرَ لِمُسْلِمِ بْنِ

(1) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: 3/ 370.

(2) مصنف ابن أبي شيبة: 1/ 395، رقم: (4542).

(3) مصنف ابن أبي شيبة: 1/ 396، رقم: (4547).

(4) تاريخ دمشق، لابن عساكر: 41/ 377. والكنى والأسماء، للدولابي: 3/ 1105، وصفة

الصفوة، لابن الجوزي: 1/ 354.

يَسَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَلَّةُ التِّفَاتِهِ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكُمْ أَيْنَ قَلْبِي؟»<sup>(1)</sup>، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا صَلَّى كَأَنَّهُ وَتَدُّ لَا يَتَحَرَّكَ أَبَدًا، وَقِيلَ: إِذَا قَامَ يُصَلِّي كَأَنَّهُ تَوْبٌ مُلْقَى»<sup>(2)</sup>، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ وَهُوَ فِي سُجُودِهِ: «مَتَى أَلْقَاكَ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ، وَيَذْهَبُ فِي الدُّعَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَتَى أَلْقَاكَ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ»<sup>(3)</sup>.

\*. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْقُوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ صَلَاةٍ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ الذُّبَابُ يَقَعُ عَلَى أُذُنِهِ فَيَسِيلُ الدَّمَ، وَلَا يَذْبُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِ صَلَاتِهِ وَخُشُوعِهِ وَهَيِّئَةِ لِلصَّلَاةِ، كَانَ يَضَعُ ذَقْنَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَيَنْتَصِبُ كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ مَنْصُوبَةٌ»<sup>(4)</sup>.

\*. عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «كَانَ ابْنُ عُقْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ جِذْمٌ حَائِطٌ، وَكَانَ إِذَا سَجَدَ وَقَعَتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ طَوْلِ سُجُودِهِ»<sup>(5)</sup>.

(1) الزهد والرقائق لابن المبارك، والزهد لنعيم ابن حماد: 1: 383، والزهد، لأحمد: 1/ 203.

(2) شعب الإيمان، للبيهقي: 4/ 508، رقم: (2889)، بتصرف.

(3) الزهد، لأحمد بن حنبل: 1/ 201، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 2/ 291.

(4) شعب الإيمان، للبيهقي: 4/ 514.

(5) شعب الإيمان، للبيهقي: 4/ 509.

\*. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ وَتَدٌ» (1).

\*. عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: سَمِعَهُمْ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ أَمْرِ الضَّيْعَةِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «أَتَجِدُونَهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «وَاللَّهِ! لَأَنَّ تَخْتَلِفَ الْأَسِنَّةُ فِي جَوْفِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنِّي فِي صَلَاتِي» (2).

\*. قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ الْمُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمًا يُصَلِّي فَوْقَ عَلَى رَأْسِهِ كُورُ الزَّنَابِيرِ فَمَا التَفَتَ، وَمَا انْفَتَلَ حَتَّى أَتَمَّ صَلَاتَهُ، فَنَظَرُوا فَإِذَا رَأْسُهُ قَدْ صَارَ هَكَذَا مِنْ شِدَّةِ الْإِنْتِفَاحِ» (3).

فَهَذَا كُلُّهُ وَضَعْفُهُ مِنَ الْخُشُوعِ، إِذْ لَهُ أَثَرٌ عَجِيبٌ فِي تَسْكِينِ الْجَوَارِحِ وَلِسِنِهَا، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَهُوَ خَصِيصَةٌ لِلْخَاشِعِينَ.

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] أَيْ إِنَّهَا لَثَقِيلَةٌ وَشَاقَّةٌ وَصَعْبَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاضِعِينَ لِبَطَاعَتِهِ، الْخَائِفِينَ سَطَوَاتِهِ، الْمُصَدِّقِينَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ (4)، الَّذِينَ خَشَعَتْ قُلُوبُهُمْ وَجَوَارِحُهُمْ، وَانْقَادَتْ لِأَوَامِرِ اللَّهِ، وَعَظَّمُوا

(1) شعب الإيمان، للبيهقي: 4 / 508.

(2) انظر: الزهد والرقائق لابن المبارك: 1 / 294، وحلية الأولياء، لأبي نعيم: 2 / 92.

(3) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: 13 / 191، والتبصرة، لابن الجوزي: 1 / 385.

(4) تفسير الطبري: 1 / 622.

اللَّهُ، وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ وَنَهَيْهِ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يَقُولُ: «الْمُصَدِّقِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى» (1).

\*. عَنْ بَكْرِ بْنِ مُبِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُصَلِّي ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَسَعَهُ الزُّبُورُ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، قَالَ: انْظُرُوا أَيُّشَ آذَانِي» (2).

\*. قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْهَذَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَعْتُوبُ الْحَضْرَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يُرْ فِي زَمَانِهِ مِثْلُهُ، كَانَ وَرِعًا زَاهِدًا بَلَغَ مِنْ زُهْدِهِ أَنَّهُ سَرَقَ رِدَاؤُهُ عَنْ كَتِفِهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَشْعُرْ، وَرَدَّ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَشْعُرْ لِشُغْلِهِ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ» (3).

\*. قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُجَاشِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قِيلَ لِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَتَحَدِّثُ نَفْسَكَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: أَحَدْتُهَا بِالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، وَمُنْصَرَفِي» (4).

\*. قَالَ ابْنُ أَبِي الْوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: صَلَّى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّاجِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمًا بِأَهْلِ طَرَسُوسَ فَصِيحَ بِالنَّفِيرِ فَلَمْ يُخَفِّفِ الصَّلَاةَ، فَلَمَّا فَرَعُوا قَالُوا: أَنْتَ جَاسُوسٌ، قَالَ: «وَلِمَ؟» قَالُوا: صِيحَ بِالنَّاسِ النَّفِيرُ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ تُخَفِّفْ، فَقَالَ: «إِنَّمَا

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: 1 / 103.

(2) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: 2 / 322، وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى: 1 / 276،

وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 10 / 104.

(3) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: 10 / 173.

(4) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: 4 / 17.

سُمِّيَتِ الصَّلَاةُ لِأَنَّهَا اتَّصَلَ بِاللَّهِ، وَمَا حَسِبْتُ أَنْ أَحَدًا يَكُونُ فِي الصَّلَاةِ فَيَقْعُ فِي سَمْعِهِ غَيْرُ مَا كَانَ يُخَاطِبُهُ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** <sup>(1)</sup>.

\*. وَعَنْ حَمَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ زَيْدٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**، قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ **رَحِمَهُ اللَّهُ** أَخْبَرَهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي غَزَاةٍ إِلَى كَابُلَ وَفِي الْجَيْشِ صَلََّةٌ بَنُ أَشِيمَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**، قَالَ: فَتَرَكَ النَّاسَ عِنْدَ الْعَتَمَةِ، فَقُلْتُ: لَا زَمَنَ عَمَلَةٍ، فَأَنْظُرْ مَا يَذْكُرُ النَّاسُ مِنْ عِبَادَتِهِ، فَصَلَّى -أَرَاهُ الْعَتَمَةَ- ثُمَّ اضْطَجَعَ، فَالْتَمَسَ غَفْلَةَ النَّاسِ حَتَّى إِذَا قُلْتُ: هَدَأَتِ الْعُيُونُ، وَتَبَّ، فَدَخَلَ غَيْصَةً قَرِيبًا مِنِّي، فَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: وَجَاءَ أَسَدٌ حَتَّى دَنَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدْتُ إِلَى شَجَرَةٍ، قَالَ: أَفْتَرَاهُ التَّفَتَّ إِلَيْهِ أَوْ عَذَبَهُ، حَتَّى سَجَدَ فَقُلْتُ: الْآنَ يَفْتَرِسُهُ فَلَا شَيْءَ، فَجَلَسَ ثُمَّ سَلَّمَ فَقَالَ: «أَيُّهَا السَّبْعُ اطْلُبِ الرِّزْقَ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ» فَوَلَّى وَإِنَّ لَهُ لَزَيْبَرًا أَقُولُ: تَصَدَّعَتْ مِنْهُ الْجِبَالُ فَمَا زَالَ كَذَلِكَ يُصَلِّي حَتَّى لَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ جَلَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ بِمَحَامِدَ لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ، أَوْ مِثْلِي يَجْتَرِي أَنْ يَسْأَلَكَ الْجَنَّةَ» <sup>(2)</sup>.

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 9 / 317، وبغية الطلب، لابن العديم: 9 /

4284، وتاريخ دمشق، لابن عساكر: 21 / 19، وصفة الصفوة، لابن الجوزي: 2 / 419.

(2) الزهد والرفائق، لابن المبارك: 1 / 295، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم:

2 / 240، وشعب الإيمان، للبيهقي: 4 / 526.

\* قَالَ عُوَيْدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَتْ أُمِّي تُقُومُ مِنَ اللَّيْلِ تُصَلِّي حَتَّى تَعْصَبَ سَاقَيْهَا بِالْخِرْقِ، فَيَقُولُ لَهَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: دُونَ هَذَا يَا هَذِهِ، فَتَقُولُ: هَذَا عِنْدَ طُولِ الْقِيَامِ فِي الْمَوْقِفِ قَلِيلٌ، فَيَسْكُتُ عَنْهَا» (1).

\* وَعَنْ أَبِي خُلْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ وَلَا امْرَأَةً أَقْوَى وَلَا أَصْبَرَ عَلَى طُولِ الْقِيَامِ مِنْ أُمِّ حَيَّانَ السُّلَمِيَّةِ، إِنْ كَانَتْ لَتَقُومُ فِي مَسْجِدِ الْحَيِّ كَأَنَّهَا نَخْلَةٌ تَصْفِقُهَا الرِّيَّاحُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَقِيلَ: «كَانَتْ أُمُّ حَيَّانَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَكَانَتْ لَا تَتَكَلَّمُ إِلَّا بَعْدَ الْعَصْرِ فَإِنَّهَا تَأْمُرُ بِالْحَاجَةِ وَالشَّيْءِ تُرِيدُهُ» (2).

\* وَعَنْ يُونُسَ بْنِ بَهْلُولٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «كَانَتْ امْرَأَةٌ بِالْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهَا غَنْصَكَةُ الْعَابِدَةِ تُصَلِّي اللَّيْلَ عَامَةً، ثُمَّ تَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَلَائِكَةٍ غَلَظَ شَدَادُهَا لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، فَإِذَا قَضَتْ صَلَاتَهَا قَالَتْ: هَذَا الْجُهْدُ مِنِّي وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ» (3).

\* وَنَحْنُ نَمَازِجُ الْخَاشِعِينَ مِنْ غَيْرِ حَصْرِ لَهُمْ، بِخُشُوعِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي صَلَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ (4)، فَقَدْ كَانَ عُرْوَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَخْشَعُ فِي صَلَاتِهِ خُشُوعًا عَظِيمًا، وَذَكَرَ

(1) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 255 / 2.

(2) انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي: 251 / 2.

(3) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 254 / 2.

(4) عروة بن الزبير بن العوام، التابعي الجليل أحد الفقهاء السبعة، وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين يرجع إليهم عمر بن عبد العزيز في زمن ولايته، أمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان يقرأ كل يوم ربع القرآن، ويقوم به في الليل، وكان أيام الرطب يثلم

عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ مُتَوَجِّهًا إِلَى دِمَشْقَ لِيَجْتَمَعَ بِالْوَلِيدِ، وَعِنْدَمَا كَانَ فِي وَادٍ قُرْبَ الْمَدِينَةِ أَصَابَهُ أَكْلَةٌ فِي رِجْلِهِ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى دِمَشْقَ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَتِ الْأَكْلَةُ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ، وَدَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ، فَجَمَعَ لَهُ الْأَطِبَّاءُ، فَاجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَقْطَعُهَا وَإِلَّا أَكَلَتْ رِجْلَهُ كُلَّهَا إِلَى وَرِكِهِ، وَرَبَّمَا تَرَقَّتْ إِلَى الْجَسَدِ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِقَطْعِهَا، وَقَالُوا لَهُ: أَلَا نَسْقِيكَ مُرَقَّدًا؟ فَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَحَدًا يَشْرَبُ شَرَابًا، أَوْ يَأْكُلُ شَيْئًا يُذْهِبُ عَقْلَهُ حَتَّى لَا يَعْرِفَ رَبَّهُ، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعِلِينَ فَافْعَلُوا ذَلِكَ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنِّي لَا أَحِسُّ بِذَلِكَ، وَلَا أَشْعُرُ بِهِ، فَشَرُّوا رِجْلَهُ مِنْ فَوْقِ الْأَكْلَةِ مِنَ الْمَكَانِ الْحَيِّ احْتِيَاظًا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَمَا تَأَلَّمَ وَلَا اضْطَرَبَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ عَزَاهُ الْوَلِيدُ فِي رِجْلِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، كَانَ لِي أَطْرَافُ أَرْبَعَةٍ، فَأَخَذْتُ وَاحِدًا، وَأَبْقَيْتُ ثَلَاثَةً، فَلَمَّا كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُ فَقَدْ أَبْقَيْتُ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ ابْتَلَيْتُ فَلَطَّالَمَا عَافَيْتُ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَخَذْتُ، وَعَلَى مَا عَافَيْتُ، وَكَانَ قَدْ صَحِبَهُ بَعْضُ أَوْلَادِهِ... فَمَاتَ أَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ فَعَزَّوهُ فِيهِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كَانُوا سَبْعَةً، فَأَخَذْتُ مِنْهُمْ وَاحِدًا وَأَبْقَيْتُ سِتَّةً، فَلَمَّا كُنْتُ قَدْ ابْتَلَيْتُ، فَلَطَّالَمَا عَافَيْتُ، وَلَمَّا كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُ، فَلَطَّالَمَا أُعْطِيتُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَا شَكَا ذَلِكَ إِلَّا أَحَدًا، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ، أَنَاهُ النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ

---

حائطه للناس، فيدخلون ويأكلون، فإذا ذهب الرطب أعاد الحائط، ولد في سنة ثلاث وعشرين بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفي 93 هـ على المشهور، والله أعلم. البداية والنهاية، لابن كثير:



وَيُعْزُّونَهُ فِي رِجْلِهِ وَوَلَدِهِ، فَبَلَغَهُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَالَ: إِنَّمَا أَصَابَهُ هَذَا بِذَنْبٍ عَظِيمٍ أَحَدْتُهُ، وَذَكَرَ أَنَّ عُرْوَةَ لَمَّا نُشِرَتْ سَاقُهُ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَمْشِ بِهَا إِلَى سُوءٍ قَطُّ، وَأَنْشَدَ عُرْوَةَ فِي ذَلِكَ:

لَعَمْرُكَ مَا أَهْوَيْتُ كَفْيِي لِرَبِيبَةٍ \*\*\* وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةِ رَجُلِي

وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا \*\*\* وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي <sup>(1)</sup>.

وغير هؤلاء من السلف الصالح كثير، ولكن المقام لا يتسع لحشد كل أخبارهم في خشوعهم أثناء صلاتهم، فقد كان الصالحون الذين هم في صلاتهم خاشعون في كل زمان «إذا دخلوا في الصلاة كانت أجسادهم ليس فيها أرواح» <sup>(2)</sup>، أو إن شئت قل أرواح ليس لها مستراح على الأرض، إنما تخلق وتحوم حول العرش.

قال النووي رحمه الله: «إن جماعة من السلف كان يردد أحدهم الآية جميع ليلته أو معظمها، وصنع جماعة من السلف عند القراءة، ومات جماعة منهم بسبب القراءة، فقد كانوا يقرءون القرآن ويقفون عند آيات الله - سبحانه وتعالى - يتدبرونها، وقد كان بعضهم يقرأ الآية ويرددها مرة ومرتين وثلاث مرات وأكثر؛ مما يجعل في قلبه من الخوف من الله سبحانه، وبعضهم مات من شدة خوفه من الله سبحانه تبارك وتعالى، وبعضهم غشي وأغمي عليه، ولكن أكثرهم لم تكن

(1) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير: 9 / 102-103.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني: 3 / 282.

هَذِهِ عَادَتُهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ بُكَاءُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَكَانُوا يَخَافُونَ مِنَ اللَّهِ **عَجَلًا** خَوْفًا عَظِيمًا» (1).

### الإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ جَلَّالُهُ فِي الصَّلَاةِ:

إِنَّ سِرَّ الصَّلَاةِ وَرُوحَهَا وَلُبُّهَا هُوَ إِقْبَالُ الْعَبْدِ عَلَى اللَّهِ بِكُلِّيَّتِهِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْرِفَ وَجْهَهُ عَنْ قِبْلَةِ اللَّهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْرِفَ قَلْبَهُ عَنْ رَبِّهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَالْكُعْبَةُ الَّتِي هِيَ بَيْتُ اللَّهِ قِبْلُهُ وَجْهُهُ وَبَدَنِهِ، وَرَبُّ الْبَيْتِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - هُوَ قِبْلَةُ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ، وَعَلَى حَسَبِ إِقْبَالِ الْعَبْدِ عَلَى اللَّهِ فِي صَلَاتِهِ يَكُونُ إِقْبَالُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِذَا أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلِلْإِقْبَالِ فِي الصَّلَاةِ ثَلَاثُ مَنَازِلَ:

**الأَوَّلُ:** إِقْبَالُ عَلَى قَلْبِهِ فَيَحْفَظُهُ مِنَ الْوَسَاوِسِ، وَالْخَطَرَاتِ الْمُبْطِلَةِ لِثَوَابِ صَلَاتِهِ، أَوْ الْمُنْقِصَةِ لَهُ.

**الثَّانِي:** وَإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ بِمُرَاقَبَتِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ.

**الثَّالِثُ:** وَإِقْبَالُ عَلَى مَعَانِي كَلَامِهِ وَتَفَاصِيلِ عِبَادَتِهِ الصَّلَاةِ لِيُعْطِيَهَا حَقَّهَا.

فَبِاسْتِكْمَالِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ تَكُونُ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ حَقًّا وَيَكُونُ إِقْبَالُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، فَإِذَا انْتَصَبَ الْعَبْدُ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِقْبَالُهُ عَلَى قِيُومِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَإِذَا كَبَّرَ فَإِقْبَالُهُ عَلَى كِبَرِيَّائِهِ، فَإِذَا سَبَّحَهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، فَإِقْبَالُهُ عَلَى سُبْحَاتِ وَجْهِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِأَوْصَافِ جَمَالِهِ» (2).

(1) انظر: شرح كتاب الجامع لأحكام الصيام وأعمال رمضان، لأحمد حطية: 26 / 5.

(2) ذوق الصلاة، لابن قيم الجوزية: 1 / 47.

وَقَالَ الْخَزَّازُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِيَكُنْ إِقْبَالُكَ عَلَى الصَّلَاةِ كإِقْبَالِكَ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوُفُوفُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تُنَاجِيهِ»<sup>(1)</sup>.

### وَصِفَةُ قَلْبِيَّةِ ابْنِ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ: «يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يُحْضِرَ قَلْبَهُ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الصَّلَاةِ.

فَإِذَا سَمِعَ نِدَاءَ الْمُؤَذِّنِ؛ فَلْيَمَثِلِ النِّدَاءَ لِلْقِيَامَةِ وَلْيُسَمِّرْ لِلْإِجَابَةِ، وَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يُجِيبُ، وَبِأَيِّ بَدَنٍ يَحْضُرُ.

وَإِذَا سَتَرَ عَوْرَتَهُ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ تَغْطِيَةُ فُضَائِحَ بَدَنِهِ عَنِ الْخَلْقِ؛ فَلْيَذْكُرْ عَوْرَاتِ بَاطِنِهِ وَفُضَائِحَ سِرِّهِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا الْخَالِقُ، وَلْيَسْرِ لَهَا عَنْهُ سَاتِرٌ، وَأَنَّهَا يُكْفَرُهَا النَّدَمُ وَالْحَيَاءُ وَالتَّوْبَةُ.

وَإِذَا اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَدْ صَرَفَ وَجْهَهُ عَنِ الْجِهَاتِ إِلَى جِهَةِ بَيْتِ اللَّهِ ﷺ، فَصَرَفُ قَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ أَوْلَى مِنْ ذَلِكَ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةِ الْبَيْتِ إِلَّا بِالنَّصْرِافِ عَنْ غَيْرِهَا؛ كَذَلِكَ الْقَلْبُ لَا يَنْصَرِفُ إِلَى اللَّهِ ﷻ إِلَّا بِالنَّصْرِافِ عَمَّا سِوَاهُ.

وَإِذَا كَبَّرَتْ أَيْهَا الْمُصَلِّي، فَلَا يُكَذِّبَنَّ قَلْبُكَ لِسَانَكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَقَدْ كَذَبْتَ، فَاحْذَرْ أَنْ يَكُونَ الْهَوَى عِنْدَكَ أَكْبَرَ، بِدَلِيلِ إِيْثَارِكَ مُوَافَقَةَ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا اسْتَعَذْتَ، فَاعْلَمْ أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ هِيَ لُجُوءٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِذَا لَمْ تَلْجَأْ بِقَلْبِكَ؛ كَانَ كَلَامُكَ لَعْوًا.

(1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني: 2 / 76.

وَتَقَهُمْ مَعْنَى مَا تَتْلُو، وَأَحَرَّ التَّقَهُمْ بِقَلْبِكَ، عِنْدَ قَوْلِكَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، وَاسْتَحْضِرْ لُطْفَهُ عِنْدَ قَوْلِكَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: 3]،  
 وَعَظَمَتُهُ عِنْدَ قَوْلِكَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، وَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ مَا تَتْلُو.  
 وَاسْتَشْعِرْ فِي رُكُوعِكَ التَّوَاضُّعَ، وَفِي سُجُودِكَ زِيَادَةَ الذُّلِّ؛ لِأَنَّكَ وَضَعْتَ  
 النَّفْسَ مَوْضِعَهَا، وَرَدَدْتَ الْفَرْعَ إِلَى أَصْلِهِ بِالسُّجُودِ عَلَى التُّرَابِ الَّذِي خُلِقَتْ مِنْهُ،  
 وَتَقَهُمْ مَعْنَى الْأَذْكَارِ بِالذَّوْقِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَدَاءَ الصَّلَاةِ بِهَذِهِ الشُّرُوطِ الْبَاطِنَةِ سَبَبٌ لِحَلَاءِ الْقُلُوبِ مِنَ الصَّدَا،  
 وَحُصُولِ الْأَنْوَارِ فِيهِ، الَّتِي بِهَا تَتَلَمَّحُ عَظَمَةُ الْمَعْبُودِ، وَتَطْلُعُ عَلَى أَسْرَارِهِ، وَمَا  
 يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ، فَأَمَّا مَنْ هُوَ قَائِمٌ بِصُورَةِ الصَّلَاةِ دُونَ مَعَانِيهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَطْلُعُ  
 عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ يُنْكِرُ وَجُودَهُ<sup>(1)</sup>.



(1) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي: 1 / 31-32.



## الْفَضْلُ الثَّالِثُ

طَرْدُ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ، وَبَعْثُ الْيَقَظَةِ فِي

طَرِيقِ الرَّحْمَنِ



## أَوَّلًا: أسباب طرد الوسوسة

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْوَسْوَسةَ كُلَّمَا قَلَّتْ فِي الصَّلَاةِ، كَانَتْ الصَّلَاةُ أَكْمَلَ وَأَعْظَمَ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَنْ مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(1)</sup>، وَمَا زَالَ فِي الْمُصَلِّينَ مَنْ هُوَ كَذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْجُدُ، فَاتَى الْمَنْجَنِيْقُ فَأَخَذَ طَائِفَةً مِنْ ثَوْبِهِ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ»<sup>(2)</sup>، وَكَانَ مَسْلَمَةُ بْنُ بَشَّارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَانْهَدَمَ طَائِفَةٌ مِنْهُ وَقَامَ النَّاسُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَشْعُرْ»<sup>(3)</sup>، وَقَالُوا لِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ: أَتَحَدِّثُ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: أَوْشِيءُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ أَحَدَّثُ بِهِ نَفْسِي؟ قَالُوا: إِنَّا لَنَحَدِّثُ أَنْفُسَنَا فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: أَبِالْجَنَّةِ وَالْحُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: لَا وَلَكِنْ بِأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، فَقَالَ: لِأَنَّ تَخْتَلِفَ الْأَسِنَّةُ فِي أَحَبُّ إِلَيَّ، وَأَمْثَالُ هَذَا مُتَعَدِّدٌ»<sup>(4)</sup>، وَلَنَا فِي السَّلَفِ الصَّالِحِ أُسُوءَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْاِقْتِدَاءِ، قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 43، رقم: (159)، ومسلم: 1 / 204، رقم: (226).

(2) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، للأصبهاني: 1 / 200.

(3) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية: 2 / 222، ومجموع الفتاوى له: 22 / 605.

(4) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين دون عزوه لأحد: 1 / 281، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، 22 / 605، وقد ذكر ابن المبارك في الزهد جزءاً منه: 1 / 294، ومثله في تاريخ دمشق، لابن عساكر: 26 / 23.

ثَلَاثُ خِصَالٍ لَوْ كُنْتُ فِي سَائِرِ أَحْوَالِي أَكُونُ فِيهِنَّ: كُنْتُ أَنَا أَنَا؛ إِذَا كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ لَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِغَيْرِ مَا أَنَا فِيهِ، وَإِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا، لَا يَقَعُ فِي قَلْبِي رَيْبٌ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَإِذَا كُنْتُ فِي جِنَازَةٍ لَمْ أُحَدِّثْ نَفْسِي بِغَيْرِ مَا تَقُولُ، وَيُقَالُ لَهَا» (1).

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْوَسْوَاسَ كُلَّمَا قَلَّ فِي الصَّلَاةِ كَانَ أَكْمَلَ، وَالَّذِي يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئَانِ: قُوَّةُ الْمُقْتَضِي، وَضَعْفُ الشَّاعِلِ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَاجْتِهَادُ الْعَبْدِ فِي أَنْ يَعْقِلَ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ، وَيَتَذَكَّرَ الْقِرَاءَةَ وَالذِّكْرَ وَالِدُعَاءَ، وَيَسْتَحْضِرَ أَنَّهُ مُنَاجٍ لِلَّهِ تَعَالَى، كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنَّ الْمُصَلِّي إِذَا كَانَ قَائِمًا فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ، وَالْإِحْسَانَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، ثُمَّ كُلَّمَا ذَاقَ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الصَّلَاةِ كَانَ انْجِدَابُهُ إِلَيْهَا أَوْكَدَ، وَهَذَا يَكُونُ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ.

وَالْأَسْبَابُ الْمُقْوِيَّةُ لِلإِيمَانِ كَثِيرَةٌ؛ فَإِنَّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالتَّصَدِّيقِ بِأَخْبَارِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يَتَبَيَّنُ النَّاسُ فِيهِ، وَيَتَفَاضَلُونَ تَفَاضُلًا عَظِيمًا، وَيُقَوِّي ذَلِكَ، كُلَّمَا ارْتَدَادَ الْعَبْدُ تَذَكُّرًا لِلْقُرْآنِ، وَفَهْمًا، وَمَعْرِفَةً بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَتَفَقُّرَهُ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ وَاشْتِغَالِهِ بِهِ، بِحَيْثُ يَجِدُ اضْطِرَّارَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ تَعَالَى مَعْبُودَهُ وَمُسْتَغَاثَهُ أَعْظَمَ مِنْ

(1) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب: 2 / 605، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا متصلًا، وفي

جامع بيان العلم وفضله، 2 / 370، وابن عدي في الكامل: 3 / 234، والطبراني في الكبير: 6 /

5 / رقم: (5321).

اضْطَرَّاهُ إِلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَإِنَّهُ لَا صَلَاحَ لَهُ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَعْبُودَهُ الَّذِي يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَيَأْنَسُ بِهِ، وَيَلْتَذُّ بِذِكْرِهِ، وَيَسْتَرِيحُ بِهِ، وَلَا حُصُولَ لِهَذَا إِلَّا بِإِعَانَةِ اللَّهِ، وَمَتَى كَانَ لِلْقَلْبِ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ فَسَدَ وَهَلَكَ هَلَاكًا لَا صَلَاحَ مَعَهُ، وَمَتَى لَمْ يُعِنَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يُصْلِحْهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَلَا مَلْجَأَ، وَلَا مُنْجَا مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ.

**وَأَمَّا الثَّانِي:** زَوَالُ الْعَارِضِ: فَهُوَ الْاجْتِهَادُ فِي دَفْعِ مَا يَشْغُلُ الْقَلْبَ مِنْ تَفَكُّرِ الْإِنْسَانِ فِيَمَا لَا يَعْنِيهِ، وَتَدَبُّرِ الْجَوَاذِبِ الَّتِي تَجْذِبُ الْقَلْبَ عَنْ مَقْصُودِ الصَّلَاةِ، وَهَذَا فِي كُلِّ عِنْدٍ بِحَسْبِهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْوَسْوَاسِ بِحَسَبِ كَثْرَةِ الشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَتَعْلِيقِ الْقَلْبِ بِالْمَحْبُوبَاتِ الَّتِي يَنْصَرِفُ الْقَلْبُ إِلَى طَلِبِهَا، وَالْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي يَنْصَرِفُ الْقَلْبُ إِلَى دَفْعِهَا، وَكُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ تَوَجُّهًا إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - بِقَلْبِهِ جَاءَ مِنَ الْوَسْوَاسِ أُمُورٌ أُخْرَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ بِمَنْزِلَةِ قَاطِعِ الطَّرِيقِ، كُلَّمَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرَادَ قَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ: لَا نُوسُوسُ، فَقَالَ: صَدَقُوا، وَمَا يَصْنَعُ الشَّيْطَانُ بِالْبَيْتِ الْخَرَابِ، وَتَفَاصِيلُ مَا يَعْرِضُ لِلْسَّالِكِينَ طَوِيلٌ مَوْضِعُهُ، لَكِنَّ الْعَبْدَ الْكَيِّسَ يَجْتَهِدُ فِي كَمَالِ الْحُضُورِ، مَعَ كَمَالِ فِعْلِ بَقِيَّةِ الْمَأْمُورِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ <sup>(1)</sup>.

(1) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية: 2 / 222-223-234، بتصرف.



## ثَانِيًا: دَفْعُ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ

الْوَسْوَسةُ بِمَعْنَى حَدِيثِ النَّفْسِ: وَحَدِيثُ النَّفْسِ أَقْوَى مِنَ الْهَاجِسِ وَالْخَاطِرِ، وَأَقْوَى مِنْهُ الْهَمُّ وَالْعَزْمُ، وَحُكْمُ هَذَا النَّوعِ وَمَا كَانَ أَوْعَفَ مِنْهُ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ عَنْ هَذِهِ الْأَمَّةِ، فَلَا إِنْهُمْ فِيهِ إِنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ عَمَلٌ أَوْ قَوْلٌ، كَمَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ أَنْ يَسْرِقَ أَوْ يَخُونَ<sup>(1)</sup>، وَيَكُونُ دَفْعُ الْوَسْوَسةِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أَيُّ: عِقَابَ اللَّهِ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ؛ فَتَابُوا وَأَتَابُوا وَاسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ<sup>(2)</sup>.  
قَالَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْوَسْوَاسُ أَصْنَافٌ:

**الْأَوَّلُ:** يَكُونُ مِنْ جِهَةِ التَّلَاسِيسِ بِالْحَقِّ، كَأَنْ يَقُولَ: أَتَتْرُكُ التَّعَمُّمَ بِاللَّذَاتِ؟ فَإِنَّ الْعُمَرَ طَوِيلٌ، وَالصَّبْرَ عَنْهَا طَوَّلَ الْعُمَرِ أَلَمُهُ عَظِيمٌ.  
فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ عَظِيمَ حَقِّ اللَّهِ، وَعَظِيمَ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: الصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ شَدِيدٌ، لَكِنَّ الصَّبْرَ عَلَى النَّارِ أَشَدُّ مِنْهُ وَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ وَعْدَ اللَّهِ -تَعَالَى- وَوَعِيدَهُ، وَجَدَّادَ إِيمَانِهِ وَيَقِينَهُ، خَنَسَ الشَّيْطَانُ.

(1) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي: 3 / 27-28، وكتاب الروح، لابن قيم الجوزية: 1 /

(2) تفسير ابن كثير: 2 / 279.

**الثاني:** أَنْ يَكُونَ بِتَحْرِيكِ الشَّهْوَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَدَفْعِهَا بِالْعِلْمِ بِأَنَّهَا مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى.

**الثالث:** أَنْ تَكُونَ الْوَسْوسَةُ بِمُجَرَّدِ الْخَوَاطِرِ وَالْفِكَرِ فِي أَمْرِ غَيْرِ الصَّلَاةِ. فَإِنْ أَقْبَلَ الْإِنْسَانُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ أَنْدَفَعَتْ، ثُمَّ تَعُودُ، وَيُتَصَوَّرُ أَنْ يَجْتَمِعَ الْوَسْوسَةُ مِنْ هَذَا النَّوعِ مَعَ الذِّكْرِ، كَأَنَّهُمَا فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْقَلْبِ»<sup>(1)</sup>. وَإِنْ دَفَعَ وَسْوسَةَ الشَّيْطَانِ فِي الصَّلَاةِ، وَطَرَدَهَا عَنِ الْقَلْبِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بَعْدَ مُجَاهَدَةٍ صَادِقَةٍ، وَمُصَابَرَةٍ وَمُرَابَطَةٍ تُبْرِهنُ صِدْقَ الْعَبْدِ فِي إِقْبَالِهِ عَلَى رَبِّهِ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- إِذَا رَأَى مِنْ عَبْدِهِ مُجَاهَدَةً، وَصِدْقًا، وَصَبْرًا عَلَى مُدَافَعَةِ الْوَسَاوِسِ وَالْخَطَرَاتِ، قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجْهَهُ؛ تَأَذَّنَ اللَّهُ لَهُ مِنْ فَوْقِ عَلَيْهِ بِخُشُوعٍ يَجْعَلُهُ يُصِيبُ بِهِ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

### ثالثاً: مُجَاهَدَةُ وَسْوسَةِ الصَّلَاةِ، مِمَّا حَادِثٌ لِلذَّنُوبِ:

مُدَافَعَةُ حَدِيثِ النَّفْسِ فِي الصَّلَاةِ مَشْرُوعَةٌ مَنْدُوبَةٌ؛ فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ» وَفِي رَوَايَةٍ: «صَلَّى سَجْدَتَيْنِ»<sup>(2)</sup>، لَا يَسْهُو فِيهِمَا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(3)</sup>، وَفِي

(1) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي: 44 / 3.

(2) أخرجه أحمد: 21 / 36، رقم: (21691) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 43 / 1، رقم: (159)، ومسلم: 1 / 204، رقم: (226)،

وأبو داود: 1 / 238، رقم: (905)، وأحمد: 28 / 289، رقم: (17054)، واللفظ له،

وصححه الأرناؤوط.

حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَفْظٍ: «ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(1)</sup>.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: «لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ» الْمُرَادُ بِهِ مَا تَسْتَرْسِلُ النَّفْسُ مَعَهُ، وَيُمْكِنُ لِلْمَرْءِ قَطْعُهُ، فَأَمَّا مَا يَهْجُمُ مِنَ الْخَطَرَاتِ وَالْوَسَاوِسِ وَيَتَعَذَّرُ دَفْعُهُ فَذَلِكَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ حَدِيثُ النَّفْسِ أَصْلًا وَرَأْسًا، «وَهَذِهِ الْفَضِيلَةُ تَحْصُلُ مَعَ طَرَيَانِ الْخَوَاطِرِ الْعَارِضَةِ غَيْرِ الْمُسْتَقَرَّةِ، وَمَنْ حَصَلَ لَهُ عَدَمُ حَدِيثِ النَّفْسِ أَصْلًا فَهَذَا أَعْلَى دَرَجَةٍ بِلَا رَيْبٍ، وَإِنْ كَانَ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى التَّرْغِ الْقَلِيلِ، وَلَا يَثْبُتُ لِأَحَدٍ عَلَى الدَّوَامِ»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ «لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ» أَيُّ لَا يُحَدِّثُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّلَاةِ وَلَوْ عَرِضَ لَهُ حَدِيثٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ لِمَجَرَّدِ عُرُوضِهِ عُنْفِي عَنْهُ ذَلِكَ، وَحَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ وَقَدْ عُنْفِي لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تُعْرَضُ وَلَا تَسْتَقِرُّ»<sup>(4)</sup>، فَمَنْ خَشَعَ فِي صَلَاتِهِ، وَمَا غَفَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ، لَا شِغَالٍ قَلْبِهِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا، بَلْ يَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى مُنَاجَاةِ رَبِّهِ، مُنْقَطِعًا عَنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ فِي

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: 1/ 43، رقم: (159)، ومسلم: 1/ 204، رقم: (226).

(2) انظر: الإحياء، للغزالي: 3/ 43، وشرح مسلم، للنووي: 3/ 108، وفتح الباري، لابن

حجر: 1/ 260

(3) الموسوعة الفقهية الكويتية، لمجموعة من المؤلفين: 43/ 149، بتصرف.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم: 3/ 108.

صَلَاتِهِ كُلِّهَا، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(1)</sup>، وَقَالَ مَنْ تَسَلَّمَ لَهُ صَلَاتُهُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْوَسَاوِسِ وَالْخَطَرَاتِ، وَالْمُسَدَّدُ مَنْ سَدَّدَهُ اللَّهُ، وَالْمُوفَّقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ.

### رَابِعًا: الْخَنَاسُ جَائِمٌ عَلَى صُدُورِ النَّاسِ

فَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: «يُولَدُ الْإِنْسَانُ وَالْوَسْوَاسُ عَلَى قَلْبِهِ، فَإِذَا عَقَلَ وَذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَنَسَ، وَإِذَا سَكَتَ وَسْوَاسٌ، فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَاسُ»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْوَسْوَاسُ الْخَنَاسُ﴾ [النَّاسِ: 4]، «أَيُّ: الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَى وَعَقَلَ وَسْوَاسٌ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ»<sup>(3)</sup>.

وَذَكَرَ الْجَزْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْحِصْنِ بَلْفُظٍ: «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَلِقَلْبِهِ بَيَّتَانِ فِي أَحَدِهِمَا الْمَلَكُ، وَفِي الْآخَرِ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ وَضَعَ الشَّيْطَانُ مِنْقَارَهُ فِي قَلْبِهِ وَوَسْوَاسَ لَهُ»<sup>(4)</sup>، فَالشَّيْطَانُ رَاقِدٌ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَاضِعٌ خُرْطُومَهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ نَشَبَ فِيهِ، يُوسُوسُ لَهُ وَيُحَدِّثُهُ بِالْأَفْكَارِ الرَّدِيئَةِ الْمُرْدِيَةِ، لِأَنَّهُ

(1) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، لمحمود خطاب الشُّبَكِيِّ: 5 / 354.

(2) اعتلال القلوب، للخراطي: 1 / 31، والأحاديث المختارة: 10 / 175، رقم: (172)، بلفظ آخر، وهو صحيح لغيره.

(3) أخرجه ابن أبي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ: 7 / 135، رقم: (34774)، وأبو داود فِي الرَّهْدِ: 1 / 295، رقم: (337)، وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(4) مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ، لِعَلِيِّ الْقَارِي: 4 / 1559.

يَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الدَّمِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: 5]. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ خَسَسَ، وَإِنْ نَسِيَ اللَّهُ التَّقَمَّ قَلْبُهُ» (1)، قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْوَسْوَاسَ لَهُ بَابٌ فِي صُدُورِ ابْنِ آدَمَ يُوسُّوسُ مِنْهُ» (2)، وَأُورِدَهُ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «الشَّرِيعَةِ»: عَنْ عُرْوَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَعَا رَبَّهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرْنِي مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَجَلَلِي لَهُ ذَلِكَ، فَإِذَا لَهُ رَأْسٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ، وَاضِعٌ رَأْسُهُ عَلَى ثَمَرَةِ الْقَلْبِ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ خَسَسَ، وَإِنْ تَرَكَ الذِّكْرَ مَنَاهُ وَحَدَّثَهُ قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: 4]» (3).

قَالَ قَتَادَةُ وَالبَغَوِيُّ: «لِلشَّيْطَانِ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الْكَلْبِ فِي صَدْرِ الْإِنْسَانِ» (4)، وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ مُتَبَطَّنٌ

(1) أخرجه أبو يعلى في مسنده: 7 / 278-279، والهيثمي في المجمع: 7 / 311، وضعفه الألباني.

(2) مكائد الشيطان، لابن أبي الدنيا: 1 / 91.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 6 / 123، حسن مقطوع.

(4) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره: 2 / 335، رقم: (3755).

فَقَارَ ظَهْرَهُ، لَا وَعُنُقَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، فَاعْرِضْ فَاهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسَّوَسَ» (1).

يُعْلَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَخَذَ عَلَى عَاتِقِهِ أَنْ يُغْوِيَ أَبْنَاءَ آدَمَ وَيُسْقِطَهُمْ وَيُهْلِكَهُمْ، وَيُفْسِدَ صَلَاتَهُمْ، وَيُوبِقَ آخِرَتَهُمْ، إِلَّا طَائِفَةً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِحِمَايَتِهِمْ وَكِفَايَتِهِمْ إِذَا ذَكَرُوهُ وَلَمْ يَنْسُوهُ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بَرِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإِسْرَاءُ: 65]، وَإِنَّ الَّذِي أَعْطَاهُ الْوَسْوَاسَةَ، وَجَعَلَهُ يُبْتُ سُمُومَةٍ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، لِقَادِرٌ عَلَى قَمْعِ هَذَا اللَّعِينِ شَرِيطَةً أَنْ يَقْبَلَ الْعَبْدُ أَوَّلًا، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَى- عَنْ عَبْدِهِ: «وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» (2)، يُسْتَدَلُّ مِنْ هَذَا أَنَّ حِمَايَةَ اللَّهِ وَرِعَايَتَهُ وَحِصْنَهُ لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ لِلشَّيَاطِينِ سُلْطَانٌ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ أَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَلَا شَيْءٌ أَشْهَىٰ عِنْدَهُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَيَتَّبِعُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَيَكُونُ جُنْدِيًّا مُطِيعًا تَبَعًا لِمَلِكِهِ وَسَيِّدِهِ الْقَلْبِ، فَيَتَوَاطَأُ اللِّسَانُ مَعَ الْقَلْبِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُخْنَسُ الْوَسْوَاسُ وَيَرُدُّهُ اللَّهُ حَسِيرًا كَسِيرًا ضَعِيفًا مَهْزُولًا.

(1) مكائد الشَّيْطَان، لابن أبي الدُّنْيَا: 1/ 44، حلية الأولياء، لأبي نعيم: 5/ 213، صحيح

مقطوع.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 9/ 121، رقم: (7405)، ومسلم: 4/ 2061، رقم:

(2675).

فَإِنَّ الذِّكْرَ الَّذِي يُوَاطِّئُهُ الْقَلْبُ وَيُلَاحِظُهُ، يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ كَالْقَامِعِ الَّذِي يَقْمَعُ الْمُفْسِدَ، وَهُوَ شَدِيدُ النُّفُورِ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانَ شَيْطَانُ الْمُؤْمِنِ هَزِيلًا فَإِذَا خَسَّ الشَّيْطَانُ وَانْدَحَرَ خَاسِئًا حَسِيرًا، اطمَنَّ الْقَلْبُ وَهَدَأَ رُوعَهُ وَارْتَاحَ بِذِكْرِ رَبِّهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ وَأَنْفَعُهُ مَا وَاطَّأَ فِيهِ الْقَلْبُ اللِّسَانَ وَكَانَ مِنَ الْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَشَهِدَ الذَّاكِرُ مَعَانِيهِ وَمَقَاصِدَهُ»<sup>(1)</sup>، فِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، أَفْضَلُهُ: «مَا تَوَاطَّأَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الَّذِي يُثْمِرُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَمَحَبَّتَهُ، وَكَثْرَةَ ثَوَابِهِ، وَالذِّكْرُ هُوَ رَأْسُ الشُّكْرِ»<sup>(2)</sup>.

وَقَدْ عَلَّقَ سَيِّدُ قُطْبٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ** عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعْدُ: 28]. قَائِلًا: «تَطْمَئِنُّ بِإِحْسَاسِهَا بِالصَّلَاةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَنْسِ بِجَوَارِهِ، وَالْأَمْنِ فِي جَانِبِهِ، وَفِي حِمَاةِ تَطْمَئِنُّ مِنْ قَلْقِ الْوَحْدَةِ، وَحَيْرَةِ الطَّرِيقِ، وَبِإِدْرَاكِ الْحِكْمَةِ فِي الْخَلْقِ وَالْمَبْدَأِ وَالْمَصِيرِ، وَتَطْمَئِنُّ بِالشُّعُورِ بِالْحِمَايَةِ مِنْ كُلِّ اعْتِدَاءٍ، وَمِنْ كُلِّ ضَرَرٍ وَمِنْ كُلِّ شَرٍّ...» ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(3)</sup>، وَذَلِكَ الْاِطْمِئْنَانُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، حَقِيقَةٌ عَمِيقَةٌ يَعْرِفُهَا الَّذِينَ خَاطَلَتْ بَشَاشَةُ الْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ، فَاتَّصَلَتْ بِاللَّهِ، يَعْرِفُونَهَا وَلَا يَمْلِكُونَ بِالْكَلِمَاتِ أَنْ يَنْقَلِبُوهَا إِلَى الْآخَرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوهَا، لِأَنَّهَا لَا تُنْقَلُ بِالْكَلِمَاتِ، إِنَّمَا تَسْرِي

(1) الفوائد، لابن القيم الجوزية: 1 / 192.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: 1 / 74.

فِي الْقَلْبِ فَيَسْتَرْوِحُهَا وَيَهْشُ لَهَا وَيَنْدِي بِهَا وَيَسْتَرْيَحُ إِلَيْهَا، وَيَسْتَشْعُرُ الطَّمَأْنِينَةَ وَالسَّلَامَ»<sup>(1)</sup>.

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْمٌ اطمأنَّت قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِهِمُ اللَّهَ تَعَالَى، وَفِي الذِّكْرِ وَجَدُوا سَلَوَتَهُمْ، وَبِالذِّكْرِ وَصَلُوا إِلَى صَفَوَتِهِمْ، وَقَوْمٌ اطمأنَّت قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ ﷻ بِطُفْهِهِ، وَأَثْبَتَ الطَّمَأْنِينَةَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّخْصِصِ لَهُمْ»<sup>(2)</sup>.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: سَمِعْتُ ذَا النُّونَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «وَيَحْكُ، مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عَلَى حَقِيقَةِ ذِكْرِهِ نَسِيَ فِي جَنْبِ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ نَسِيَ فِي جَنْبِ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ، حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ لَهُ عَوْضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» وَقَالَ: سَمِعْتُ ذَا النُّونَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ الْعَارِفُ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الْفَقْرِ وَالْفَخْرِ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ افْتَخَرَ، وَإِذَا ذَكَرَ نَفْسَهُ افْتَقَرَ، وَزَادَ الْبِيهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رِوَايَتِهِ، قَائِلًا: بِاللَّهِ فَخَرْنَا، وَإِلَى اللَّهِ فَقَرْنَا»<sup>(3)</sup>، فَإِنَّ دَوَامَ ذِكْرِ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ، بِحُضُورِ قَلْبِهِ وَفَهْمِ إِخْلَاصٍ، وَبِالْأَخْصِ مَا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِ فِي الصَّلَاةِ، الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَاءِ الْقَلْبِ، لَهُوَ سَبَبٌ عَظِيمٌ فِي اسْتِجْلَابِ الْخُشُوعِ وَاسْتِدْعَائِهِ، بَلْ لَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي طَرْدِ الْأَعْدَاءِ وَقَمْعِهِمْ وَإِخْنَانِهِمْ، وَيَسْكُنُ الْقَلْبُ بِهَذَا الذِّكْرِ سَوَاءً كَانَ فِي صَلَاةٍ أَوْ فِي غَيْرِهَا، وَيَنْشَرِحُ الصَّدْرُ وَيَنْدَاحُ،

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب: 94 / 5.

(2) لطائف الإشارات، للقشيري: 230-229 / 2.

(3) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 181، رقم: (695).



وَلِلْغَفْلَةِ الْقَلْبِيَّةِ عَنِ الذِّكْرِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي ضَيْقِ الصَّدْرِ وَحَبْسِهِ وَعَذَابِهِ وَاجْتِمَاعِ  
عَدُوِّهِ عَلَيْهِ بِالْوَسَاوِسِ الْمُهْلِكَةِ، وَلَا سَبِيلَ لِإِخْرَاسِ وَإِخْنَاسِ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ  
إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ رَبِّ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ.

### خَامِسًا: وَسْوَسةُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

الْوَسْوَسةُ الشَّيْطَانِيَّةُ هِيَ الْخَوَاطِرُ الْمُحَرِّكَةُ لِلرَّغْبَةِ فِي الشَّرِّ، وَالْأَمْرِ  
بِالْفَحْشَاءِ، وَالتَّخْوِيفِ عِنْدَ الْهَمِّ بِالْخَيْرِ<sup>(1)</sup>، وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينٌ مِنَ  
الْجِنِّ، وَهَذَا مَعْلُومٌ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينٌ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ  
الْمَلَائِكَةِ»، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «وَإِيَّايَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ  
فَأَسْلَمَ<sup>(2)</sup> فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ<sup>(3)</sup>»، وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي: 3 / 27-29.

(2) مَعْنَاهُ: أَنَّ الْقَرِينَ أَسْلَمَ، وَصَارَ مُؤْمِنًا، لَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى  
عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي جِسْمِهِ وَخَاطِرِهِ وَلِسَانِهِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِشَارَةٌ إِلَى  
التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَرِينِ وَوَسْوَستِهِ وَإِغْوَائِهِ، فَأَعْلَمْنَا بِأَنَّهُ مَعَنَا لِيَحْتَرِزَ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ. شرح  
مسلم، للنووي: 9 / 195.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 2167، رقم: (2814).

لِلشَّيْطَانِ لَمَّةٌ<sup>(1)</sup>، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةٌ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَيُعَادُ بِالشَّرِّ، وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ<sup>(2)</sup>، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَيُعَادُ بِالْخَيْرِ وَنَصْدِيقُ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ<sup>(3)</sup>، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَى، فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268]<sup>(4)</sup>، فَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِقَلْبِهِ أَعَانَهُ اللَّهُ، وَيَسَّرَ لَهُ مَلَكًا يُلْهِمُهُ الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَمَّا إِذَا اسْتَرَسَلَ قَلْبُ الْعَبْدِ فِي غِيَّهِ، وَبُعِدَ عَنْ رَبِّهِ، وَاسْتَبَدَلَ وَلَايَةَ الرَّحْمَنِ بِوَلَايَةِ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ كَمَنْ اسْتَبَدَلَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ كُفْرًا، بِاسْتِرْسَالِهِ مَعَ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ، وَتَرْكِهِ لِرِصِيَّةِ الرَّحْمَنِ، «وَمَنْ لَمْ يَطْلُبِ الْإِهْدَاءَ مِنْ مَطْلَئِهِ يُعَاقَبَ بِالْحَرَمَانِ»<sup>(5)</sup>، وَيَخَسِرُ أَشَدَّ الْخُسْرَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ

(1) الْمُرَادُ بِاللَمَّةِ: مَا يَتَّعُ فِي الْقَلْبِ بِوَاسِطَةِ الشَّيْطَانِ أَوْ الْمَلِكِ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ تُسَمَّى وَسْوَسةً، وَلَمَّةُ الْمَلِكِ تُسَمَّى إِلْهَامًا. تحفة الأخوذِي، للمباركفوري: 7 / 308، بتصرف.

(2) يُعَادُ بِالشَّرِّ: كَالْكُفْرِ وَالْفِسْقِ وَالظُّلْمِ. وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ، أَيُّ: تَكْذِيبُ بِالْأَمْرِ الثَّابِتِ، كَالْتَوْحِيدِ، وَالنَّبُوَّةِ، وَالبُعْثِ، وَالْقِيَامَةِ، وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. تحفة الأخوذِي، للمباركفوري: 7 / 308، بتصرف.

(3) أَيُّ: عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمِنَّةِ الْجَسِيمَةِ، الْوَاصِلَةُ إِلَيْهِ، وَالنَّازِلَةُ عَلَيْهِ، إِذَا أَمَرَ الْمَلِكُ بِأَنْ يُلْهِمَهُ، وَحَيْثُ أَهْلُهُ لِهَدَايَةِ الْمَلِكِ، وَدَلَالَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ. تحفة الأخوذِي: 7 / 308، بتصرف.

(4) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانَ: 3 / 278، رَقْم: (997)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(5) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ، لِابْنِ أَبِي الْعَزِّ الْحَنْفِيِّ، ط دَارُ السَّلَامِ: 1 / 293.

دُونَ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿[النَّسَاء: 119]، «فَحِينَ أَنْسَلَحُوا مِنْ وَلَايَةِ الرَّحْمَنِ، وَاسْتَحَبُّوا وَلَايَةَ الشَّيْطَانِ، حَصَلَ لَهُمُ النَّصِيبُ الْوَافِرُ مِنَ الْخُذْلَانِ، وَكُلُّوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَخَسِرُوا أَشَدَّ الْخُسْرَانِ»<sup>(1)</sup>، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ سَيِّدُ سَيِّئَاتِ نَفْسِهِمْ وَيُفْسِدُهَا بِوَسَاوِسِهِ الْمُرْدِيَةِ، وَيَحْرِمُهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْهِدَايَةِ، وَبَرَكَةِ الصَّلَاةِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَرْمِي بِهِمْ فِي الصَّلَالَاتِ وَالشُّبُهَاتِ؛ لِيُبْعِدَهُمْ عَنْ تَزَكِيَةِ نَفْسِهِمْ وَصَلَاحَتِهَا»<sup>(2)</sup>، وَمَنْ بَقِيَ مُسْتَرْسِلًا مَعَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ مُؤَهَّلٌ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ وَتَحْتَ رَايَتِهِ، فَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ -يَعْنِي مِنْ بَيْتِهِ- إِلَّا بِيَدِهِ<sup>(3)</sup> رَايَتَانِ، رَايَةٌ بِيَدِ مَلِكٍ وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللَّهُ ﻋَﻠَيْهِ، اتَّبَعَهُ الْمَلِكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْمَلِكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللَّهُ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ»<sup>(4)</sup>.

وَمَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَّا وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَطْلُعُ فِيهَا عَلَى قُلُوبِ عِبَادِهِ، فَأَيَّمَا قَلْبٍ وَجَدَهُ مُخْلِصًا مُقْبِلًا مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ؛ أَسْلَكَ لَهُ سَبِيلَهُ، وَأَعَانَهُ عَلَى شَيْطَانِهِ، وَأَهْلَكَ

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: 1 / 286.

(2) انظر: عالم الجن والشياطين، لعمر الأشقر: 1 / 65.

(3) عند الطبراني: «بِيَدِهِ»، وَهَذَا الْخُرُوجُ عَامٌّ فِي كُلِّ خَيْرٍ يَشْمَلُ الصَّلَاةُ وَغَيْرَهَا.

(4) أخرجه أحمد في مسنده: 14 / 41، رقم: (8286)، والطبراني في الأوسط: 5 / 99،

رقم: (4786)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

عَدُوَّهُ وَأَخْسَأَهُ، فَالْعَبْدُ إِذَا أَسْلَمَ وَجْهَهُ وَقَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تَوَلَّى اللَّهُ قَلْبَهُ وَقَالَ لَهُ وَبَثَّ الصَّلَاحَ فِي جَوَارِحِهِ وَأَرْكَانِهِ، فَتَطَهَّرَ كُلُّ جَارِحَةٍ، وَتَبَثَّتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «لَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا نَعِيمَ إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ رَغْبَتُهُ إِلَى اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** وَحَدَهُ، فَيَكُونُ هُوَ وَحْدَهُ مَرْغُوبُهُ وَمَطْلُوبُهُ وَمُرَادُهُ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مُهِمٍّ، وَتَوَلَّاهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَدَفَعَ عَنْهُ مَا لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَوَقَاهُ وَقَايَةَ الْوَلِيدِ، وَصَانَهُ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ اللَّهُ لَهُ، حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ» <sup>(1)</sup>، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَلْبُ مَصْرُوفًا عَنْ رَبِّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**، تَارَكَهُ وَهُوَ مُسْتَرَسِّلٌ فِي بُعْدِهِ، مُتَوَجِّهًا مَعَ الشَّيْطَانِ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَاللَّهُ -تَعَالَى- يَنْظُرُ إِلَى تَقَلُّبَاتِ هَذَا الْقَلْبِ، وَسُكُونِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَيَجِدُهُ سَادِرًا فِي غِيٍّ، مُمَعِنًا فِي مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، سَاهِيًا لَاهِيًا غَافِلًا عَنْ صَلَاتِهِ أَوْ فِيهَا، وَهُوَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ مُصِرٌّ عَلَى عَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَى خَالِقِهِ، فَهَذَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَمْكُرَ اللَّهُ بِهِ، وَيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، وَيَقْلَبَ قُودَهُ عَلَى الطُّغْيَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقْلَبُ أَقْدَانَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا...﴾ [البقرة: 5]، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا: 26]، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117]. فَلَا يُبَالِي اللَّهُ بِقُلُوبٍ انْصَرَفَتْ عَنْهُ لِغَيْرِهِ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَتْ، وَرُبَّمَا سَلَطَ عَلَيْهَا

(1) روضة المحبين، لابن قيم الجوزية: 1 / 408، بتصرف.

الشَّيَاطِينِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83].

عَنْ ثَابِتٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: قَالَ مُطَرِّفٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَظَرْتُ فَإِذَا ابْنُ آدَمَ مُلْقَى بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَعِصِمَهُ عَصَمَهُ، وَإِنْ تَرَكَهُ ذَهَبَ بِهِ إِبْلِيسُ» (1)، وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَّا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَطَّلِعُ فِيهَا عَلَى قُلُوبِ الْعِبَادِ فَأَيُّ قَلْبٍ رَأَى فِيهِ غَيْرُهُ سَلَّطَ عَلَيْهِ إِبْلِيسَ!» (2).

فَالْقُلُوبُ إِذَا اتَّجَهَتْ إِلَى اللَّهِ، وَاشْتَغَلَتْ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَنَصَبَتْ الْعِدَاوَةَ لِعَدُوِّ اللَّهِ الشَّيْطَانِ، وَجَاهَدَتْ وَسَاوِسَهُ جِهَادًا أَشَدَّ ضَرَاوَةً مِنْ جِهَادِ السَّنَانِ، أَفْلَحَتْ وَاللَّهُ وَأَنْجَحَتْ، وَتَهَيَّأتْ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَمَّا إِذَا اشْتَغَلَتْ عَنِ الرَّحْمَنِ، وَاسْتَغْرَقَتْ فِي وَسَاوِسِهَا مَعَ الشَّيْطَانِ خَابَتْ وَخَسِرَتْ.

وَإِنَّ تَفْرِيعَ الْقَلْبِ مِمَّا سِوَى الرَّحْمَنِ، مِنْ أَنْفَعِ مَا يَكُونُ لِدَفْعِ وَسْوَاسَةِ الشَّيْطَانِ، بَلْ هُوَ شَرْطٌ لِلِاسْتِقَامَةِ، وَسَبَبٌ فِي الْكَرَامَةِ، قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ: لَا عَلَّمَنَّكَ كَلِمَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: «وَاللَّهُ لَئِنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْكَ إِخْرَاجَ الْآدَمِيِّينَ مِنْ قَلْبِكَ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِكَ مَكَانٌ لِغَيْرِهِ، لَمْ تَسْأَلْهُ شَيْئًا

(1) مكائد الشيطان، لابن أبي الدنيا: 1 / 45.

(2) ذم الهوى، لابن الجوزي: 1 / 69، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية:

إِلَّا أَعْطَاكَ»، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا أَحْسَنَ حَالٍ مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى<sup>(1)</sup>، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا انْقَطَعَ إِلَى رَجُلٍ، لَعَرَفَ ذَلِكَ لَهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ الْعَطَاءُ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ»<sup>(2)</sup>، «فَإِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ لَمْ يَكُنْ إِقْبَالًا وَلَا تَقَرُّبًا، فَمَا الظَّنُّ بِالْخَالِقِ ﷻ؟ فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْخَالِقِ ﷻ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابُ الشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسِ، وَالنَّفْسُ مُشْغُوفَةٌ بِهَا مَلَأَى مِنْهَا، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ إِقْبَالًا وَقَدْ أَلْهَتُهُ الْوَسَاوِسُ وَالْأَفْكَارُ وَذَهَبَتْ بِهِ كُلُّ مَذْهَبٍ؟ وَالْعَبْدُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ وَأَقْرَبِهِ وَأَغْيَظِهِ لِلشَّيْطَانِ وَأَشَدَّهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ يَحْرِصُ وَيَجْتَهِدُ أَنْ لَا يَقِيمَهُ فِيهِ، بَلْ لَا يَزَالُ بِهِ يَعِدُّهُ وَيَمْنِيهِ، وَيَنْسِيهِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ حَقِّ اللَّهِ ﷻ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ، وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ حَتَّى يَهُونَ عَلَيْهِ شَأْنُ الصَّلَاةِ فَيَتَهَاوَنُ بِهَا فَيَتْرُكُهَا.

فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ مِنْهُ وَعَصَاهُ الْعَبْدُ وَقَامَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، فَيَذْكُرُهُ فِي الصَّلَاةِ مَا لَمْ يَذْكُرْ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيهَا، حَتَّى رُبَّمَا كَانَ قَدْ نَسِيَ سَيِّئًا أَوْ حَاجَةً وَأَيْسَ مِنْهَا؛ فَيَذْكُرُهُ إِيَّاهَا فِي الصَّلَاةِ لِيَشْغَلَ قَلْبُهُ بِهَا، وَيَأْخُذَهُ عَنِ اللَّهِ ﷻ، فَيَقُومُ فِيهَا بِلَا قَلْبٍ، فَلَا يَنَالُ مِنْ إِقْبَالِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَكَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ مَا يَنَالُهُ الْمُقْبِلُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ، الْحَاضِرُ بِقَلْبِهِ فِي صَلَاتِهِ، فَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ مِثْلَ مَا دَخَلَ فِيهَا بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ وَأَثْقَالِهِ لَمْ تُخَفَّفْ

(1) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2 / 546.

(2) القناعة والتعفف، لابن أبي الدنيا: 1 / 50، بتصرف.

عَنْهُ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ سَيِّئَاتٍ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا، وَأَكْمَلَ خُشُوعَهَا، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ -تَعَالَى- بِقَلْبِهِ وَقَالِهِ»<sup>(1)</sup>، وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ -تَعَالَى- امْتِحَانًا وَاخْتِبَارًا وَإِكْرَامًا لِعِبَادِهِ الْمُجَاهِدِينَ، أَنَّ لِلصَّلَاةِ شَيْطَانًا خَاصًّا، يُفْسِدُ عَلَى النَّاسِ صَلَاتَهُمْ وَيُنْقِلُهَا عَلَيْهِمْ، وَيَعْوِقُ السَّالِكِينَ وَالْمُرِيدِينَ صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمَ، فَيَرْتَقِي الصَّادِقُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ إِلَى دَرَجَاتٍ، مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يُدْرِكُوهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الْمُجَاهَدَاتِ الطَّيِّبَاتِ الْمُبَارَكَاتِ، وَلِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ مِنَّا وَالْمُجَاهِدِينَ، وَهَذَا لَا يُسْتَشْنَى مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، إِذْ هُمْ رَأْسُ الْخَاشِعِينَ.

فَعَنْ أَبِي الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ<sup>(2)</sup>، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِلْ<sup>(3)</sup> عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي<sup>(4)</sup>.

(1) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1 / 21.

(2) أي: نغصها علي، وَمَنْعَنِي لَدَتْهَا، وَالْفَرَاغُ لِلْخُشُوعِ فِيهَا، وَهُوَ يَخْلُطُهَا وَيُشَكِّكُنِي فِيهَا. شرح النووي على مسلم: 7 / 342، بتصرف.

(3) النفث: شبيهة بالنفخ، وأما التَّقِلُّ: فلا يكون إلا ومعه شيء يسير من الرِّيق. غريب الحديث

لأبي عبيد: 1 / 298.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 1728، رقم: (2203).

## دُعَاءُ اسْتِعَاذَةٍ:

كَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ سَلَّطْتَ عَلَيْنَا عَدُوًّا بَصِيرًا بَعِيُونَنَا، يَرَانَا هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا نَرَاهُمْ، اللَّهُمَّ فَأَيُّسُهُ مِنَّا كَمَا آيَسْتَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَقَنْطُهُ مِنَّا كَمَا قَنْطَهُ مِنْ عَفْوِكَ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، قَالَ: فَتَمَثَّلَ لَهُ إِبْلِيسُ يَوْمًا فِي طَرِيقِ الْمَسْجِدِ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ وَاسِعٍ، هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا إِبْلِيسُ؛ فَقَالَ: وَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ لَا تُعَلِّمَ أَحَدًا هَذِهِ الاسْتِعَاذَةَ، وَلَا أَتَعَرَّضَ لَكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَمْنَعُهَا مِمَّنْ أَرَادَ؛ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»<sup>(1)</sup>.

## سَادِسًا: الْعَزْمُ الصَّادِقُ فِي التَّحَصُّنِ مِنَ مَطْمَعِ الْعَدُوِّ

فَلَيْسَ فِي الْإِدْمِي صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ إِلَّا وَهِيَ سِلَاحٌ لِلشَّيْطَانِ، وَمَدْخَلٌ مِنْ مَدَاحِلِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ عِلَاجَ الْقَلْبِ فِي ذَلِكَ سَدُّ هَذِهِ الْمَدَاحِلِ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ، فَتَمَثَّلَ الشَّيْطَانُ كَمَثَلِ كَلْبٍ جَائِعٍ يَقْرُبُ مِنْكَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْكَ خُبْزٌ أَوْ لَحْمٌ؛ فَإِنَّهُ يَنْزِجُ بِأَنْ تَقُولَ لَهُ اخْسَأْ؛ فَمُجَرَّدُ الصَّوْتِ يَدْفَعُهُ، فَإِنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْكَ لَحْمٌ وَهُوَ جَائِعٌ؛ فَإِنَّهُ يَهْجُمُ عَلَى اللَّحْمِ وَلَا يَنْدَفِعُ بِمُجَرَّدِ الْكَلَامِ، فَالْقَلْبُ الْخَالِي عَنْ قُوَّةِ الشَّيْطَانِ يَنْزِجُ عَنْهُ بِمُجَرَّدِ الذِّكْرِ، فَأَمَّا الشَّهْوَةُ إِذَا غَلَبَتْ عَلَى الْقَلْبِ دَفَعَتْ حَقِيقَةَ الذِّكْرِ إِلَى حَوَاشِي الْقَلْبِ فَلَمْ يَتِمَّكَّنْ مِنْ سُوَيْدَائِهِ؛ فَيَسْتَقِرُّ الشَّيْطَانُ فِي سُوَيْدَاءِ الْقَلْبِ، وَأَمَّا قُلُوبُ الْمُتَّقِينَ الْخَالِيَةِ مِنَ الْهَوَى

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي: 1 / 37.



وَالصَّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ؛ فَإِنَّهُ يَطْرُقُهَا الشَّيْطَانُ لَا لِلشَّهَوَاتِ بَلْ لِحُكُومِهَا بِالْغَفْلَةِ عَنِ الذِّكْرِ، فَإِذَا عَادَ إِلَى الذِّكْرِ خَسَّ الشَّيْطَانُ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، وَسَائِرُ الْأَخْبَارِ وَالآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الذِّكْرِ سَوَاءً فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا لَا تُقَالُ هَذَا هَذَا، وَالْقَلْبُ غَافِلٌ سَاهٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُصِرٌّ عَلَى عَدَمِ إِحْسَانٍ وَتَصَحُّحِ صَلَاتِهِ، أَوْ مُصِرٌّ عَلَى الْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ سَبَبُ هَلَاكِهِ، فَالشَّيْطَانُ يَضْحَكُ مِنْ اسْتِعَاذَتِهِ كَمَا يَضْحَكُ عَلَى مَنْ يَقْصُدُهُ سَبْعٌ ضَارٍ فِي صَحْرَاءٍ، وَوَرَاءَهُ حِصْنٌ فَإِذَا رَأَى أَنْيَابَ السَّبْعِ وَصَوْلَتَهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَالَ بِلِسَانِهِ: أَعُوذُ بِهَذَا الْحِصْنِ الْحَصِينِ، وَأَسْتَعِينُ بِشِدَّةِ بُنْيَانِهِ، وَإِحْكَامِ أَرْكَانِهِ، فَيَقُولُ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي مَكَانِهِ، فَأَنْتَى يُغْنِي عَنْهُ ذَلِكَ مِنَ السَّبْعِ، بَلْ لَا يُعِيدُهُ إِلَّا تَبْدِيلُ الْمَكَانِ، فَكَذَلِكَ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّهَوَاتِ الَّتِي هِيَ مَحَابُّ الشَّيْطَانِ، وَمَكَارِهِ الرَّحْمَنِ، فَلَا يُغْنِيهِ مُجَرَّدُ الْقَوْلِ؛ فَلْيَقْتَرِنْ قَوْلُهُ بِالْعَزْمِ عَلَى التَّعَوُّذِ بِحِصْنِ اللَّهِ ﷻ مِنْ شَرِّ عَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ، وَحِيلِهِ، فَأَمَّا ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الباقية: 23]، فَهُوَ فِي مَيْدَانِ الشَّيْطَانِ<sup>(1)</sup>.

«وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ عَلَى شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ، وَكَثْرَةِ وَسَاوِسِهِمْ، قَدْ احْتَوَشَتْ بَنِي آدَمَ وَأَحَاطُوا بِهِمْ إِحَاطَةَ السَّوَارِ بِالْمِعْصَمِ، فَمَا ظَنُّكَ بِرَجُلٍ قَدْ احْتَوَشَهُ أَعْدَاؤُهُ الْمُحَنِقُونَ عَلَيْهِ غَيْظًا وَكَمَدًا، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَنَالُهُ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ وَالْأَذَى، وَلَا

(1) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي: 4 / 525.

سَبِيلَ إِلَى تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ عَنْهُ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** <sup>(1)</sup>، أَتَرَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْرَحُ فِي صَلَاتِهِ، أَوْ يَعْقُلُ فِي وَاجِبَاتِهِ عَنْ مَكْرِ عَدُوِّهِ الْمَاكِرِ، بِدَعْوَةٍ أَنَّهُ لَا يُطِيقُ مُجَاهَدَتَهُ، أَوْ بِدَعْوَةٍ أَنَّهُ مَغْلُوبٌ بِهُجُومِ الْوَارِدَاتِ عَلَيْهِ وَعَلَيْتِهِ، مَعَ أَنَّهُ يَمْتَلِكُ سِلَاحًا فَتَاكًا يَفْتِكُ بَعْدُوَّهُ، وَيَنْكُزُ الْجِرَاحَ فِي شَيْطَانِهِ، شَرِيطَةً أَنْ تَصَحَّ مُعَامَلَتُهُ لِسِلَاحِهِ الْمُؤَيَّدِ مِنْ رَبِّهِ.

### سَابِعًا: الْقَلْبُ حِصْنٌ، وَحِمَايَتُهُ فَرَضٌ عَيْنٌ

اعْلَمْ أَنَّ مِثَالَ الْقَلْبِ مِثَالُ حِصْنٍ، وَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْحِصْنَ فَيَمْلِكُهُ وَيَفْتِكَ بِهِ، وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ، وَلَا يُقْدِرُ عَلَى حِفْظِ الْحِصْنِ مِنَ الْعَدُوِّ إِلَّا بِحِرَاسَةِ أَبْوَابِ الْحِصْنِ، وَمَدَاحِلِهِ، وَمَوَاضِعِ ثُلَمِهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى حِرَاسَةِ أَبْوَابِهِ مَنْ لَا يَدْرِي مَنَافِذَ أَبْوَابِهِ، وَإِنَّ حِمَايَةَ الْقَلْبِ عَنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ وَاجِبَةٌ، وَفَرَضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُكَلَّفٍ، وَمَا لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى الْوَاجِبِ إِلَّا بِهِ، فَهُوَ أَيْضًا وَاجِبٌ، وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَى دَفْعِ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَدَاحِلِهِ؛ فَصَارَتْ مَعْرِفَةُ مَدَاحِلِ الشَّيْطَانِ وَأَبْوَابِهِ وَاجِبَةً <sup>(2)</sup>، قَالَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وَمَعْرِفَةُ مَا يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ فِي حَالِ وَقُوعِهَا، وَيُبْطِلُهَا وَيُخْبِطُهَا بَعْدَ وَقُوعِهَا مِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُفَتِّشَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَيَخْرِصَ عَلَى عَمَلِهِ وَيَحْذَرُهُ» <sup>(3)</sup>.

(1) الوابل الصَّيْبُ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، لابن القَيْمِ الْجَوْزِيَّة: 82 / 1.

(2) إحياء علوم الدين، للغزالي: 23 / 3، بتصرف.

(3) الوابل الصَّيْبُ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، لابن قَيْمِ الْجَوْزِيَّة: 11 / 1.

## ثَامِنًا: أَلْفَاظُ ذَاتِ صَلَةٍ:

### 1. الْخُضُوعُ:

لُغَةً: هُوَ التَّوَاضُّعُ، خَضَعَ يَخْضَعُ خُضُوعًا، وَيُقَالُ اخْتَضَعَ: ذَلَّ وَاسْتَكَانَ، وَأَخْضَعَهُ الْفَقْرُ: أَيَّ أَذَلَّهُ وَأَوْضَعَهُ، وَالْخُضُوعُ: الْإِنْقِيَادُ وَالْمُطَاوَعَةُ، وَيُقَالُ: خَضَعَ الْإِنْسَانُ خَضْعًا، أَمَالَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ، أَوْ دَنَا مِنْهَا، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿فَطَلَتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: 4]، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ الْخُشُوعُ فِي الصَّوْتِ، وَالْخُضُوعُ فِي الْأَعْنَاقِ، وَذَكَرَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ الْخُضُوعَ قَدْ يَكُونُ بِتَكْلُفٍ، أَمَّا الْخُشُوعُ فَلَا يَكُونُ تَكْلُفًا، وَإِنَّمَا بِخَوْفِ الْمَخْشُوعِ لَهُ»<sup>(1)</sup>، وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَمَامُ الْخُضُوعِ فِي الرُّكُوعِ: وَهُوَ أَنْ يَخْضَعَ الْقَلْبُ لِلَّهِ وَيَذِلَّ لَهُ، فَيَتِمُّ بِذَلِكَ خُضُوعُ الْعَبْدِ بِبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ لِلَّهِ تَعَالَى»<sup>(2)</sup>.

### الْفَرْقُ بَيْنَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ:

بِاخْتِصَارِ الْخُشُوعِ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ الْخُضُوعِ، إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ يَكُونُ فِي الْبَدَنِ، وَالْخُشُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالْبَصْرِ وَالصَّوْتِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: 108]، أَيَّ: انْخَفَضَتْ»<sup>(3)</sup>.

(1) لسان العرب، لابن منظور: 72 / 8، والمصباح، للفيومي: 172 / 1، والفروق، للعسكري:

248 / 1.

(2) تفسير ابن رجب الحنبلي (روائع التفسير): 23 / 2.

(3) شرح السنة، للبغوي: 259 / 3.

## 2. الْخَشْيَةُ:

الْخَشْيَةُ لُغَةً: هِيَ مَصْدَرُ خَشِيَ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ «خ ش ي» الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ وَذُعْرٍ، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: الْخَشْيَةُ: الْخَوْفُ، وَيُقَالُ خَشِيَ الرَّجُلُ يَخْشَى خَشْيَةً أَوْ خَافَ، وَيُقَالُ: خَشِيَهُ يَخْشَاهُ خَشْيًا كِلَاهُمَا خَافَهُ، وَالْخَاشِي: فَاعِلٌ مِنَ الْخَشْيَةِ»<sup>(1)</sup>.

أَمَّا الْخَشْيَةُ اصْطِلَاحًا: فَهِيَ: الْخَوْفُ الْمَبْنِي عَلَى الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يَخْشَاهُ وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]»<sup>(2)</sup>.  
وَقِيلَ: الْخَشْيَةُ الْمَقْصُودَةُ: هِيَ خُضُوعُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لِلَّهِ -تَعَالَى- طَاعَةً وَخُشُوعًا وَخَوْفًا مِنْ مَقَامِهِ وَوَعِيدِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّعَبُّدِ لِلَّهِ تَعَالَى، «وَاللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَا يَخْشَاهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَكُونُ عَالِمًا إِلَّا مَنْ يَخْشَاهُ، وَمَا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِي إِلَّا وَهُوَ يَخْشَاهُ، وَالْعِلْمُ وَالْخَشْيَةُ مُتَلَازِمَانِ، فَإِذَا انْتَفَى الْعِلْمُ انْتَفَتِ الْخَشْيَةُ، وَإِذَا انْتَفَتِ الْخَشْيَةُ دَلَّتْ عَلَى انْتِفَاءِ الْعِلْمِ»<sup>(3)</sup>، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لَيْسَ

(1) انظر: الصحاح، للجوهري: 6 / 2327، ولسان العرب، لابن منظور: 14 / 228-229،

ومقاييس اللغة، لابن فارس: 2 / 184.

(2) شرح ثلاثة الأصول، للعثيمين: 1 / 60.

(3) موسوعة فقه القلوب، للتويجيري: 2 / 2043.

الْعِلْمُ لِلْمَرْءِ، بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشِيعُ»<sup>(1)</sup>، وَكَانَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: «إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ الْخَشِيعَةُ، وَأَسْكَتَتْهُ الْخَشِيعَةُ، إِنْ قَالَ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَفَ عِنْدَهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ»<sup>(2)</sup>.

وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «إِنَّا لَنُجَالِسُ الرَّجُلَ فَتَرَى أَنَّ بِهِ عِيًّا وَمَا بِهِ عِيٌّ، وَإِنَّهُ لَفَقِيهُ مُسْلِمٌ، قَالَ وَكَيْعٌ: أَسْكَتَتْهُ الْخَشِيعَةُ»<sup>(3)</sup>.

وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَهُ بِالْفَوْزِ وَالْأَجْرِ الْكَبِيرِ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52] وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمُ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المالك: 12] وَقَدْ بَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ يَتَّصِفُ بِالْخَشِيعَةِ، وَقَرَنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُجَاهِدِ فَقَالَ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ [وَفِي رِوَايَةٍ] «لَا يَرِيَانِ النَّارَ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشِيعَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(4)</sup>، وَجَاءَ بِلَفْظٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى

(1) الورع، لأحمد بن حنبل رواية المروزي: 1 / 90، والزهد، لأبي داود السجستاني: 1 /

170، جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: 1 / 758، وحلية الأولياء، لأبي نعيم: 1 / 131.

(2) إبطال الحيل، لابن بطة: 1 / 31.

(3) إبطال الحيل، لابن بطة: 1 / 32.

(4) أخرجه الترمذي: 4 / 175، رقم: (1639) وحسنه، وصححه الألباني.

مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يُعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَطْعَمُ النَّارُ رَجُلًا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَبَدًا»<sup>(3)</sup>، وَإِنَّ الْبُكَاءَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ سَبَبٌ لِلِاسْتِظْلَالِ بِظُلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ [وَذَكَرَ مِنْهُمْ]: رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»<sup>(4)</sup>: مِنَ الدَّمْعِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، أَيْ مِنْ خَوْفِهِ وَعَظَمَتِهِ الْمُورِثَةِ لِقُرْبِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَعَزِيزٌ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- أَنْ يُعَذِّبَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَتِهِ، بَلْ جَاءَ أَنَّ الْبُكَاءَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ رَجُلًا، مِنْ أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»<sup>(5)</sup>، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبًا

(1) هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ بِالْمُحَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40].

تحفة الأحوذى، للمباركفوري: 4 / 306.

(2) أخرجه أحمد: 16 / 330، رقم: (10560)، والترمذي: 4 / 171، رقم: (1633)، وقال:

حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، والأرناؤوط.

(3) مصنف ابن أبي شيبة: 7 / 127، رقم: (34708).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 133، رقم: (660)، ومسلم: 2 / 715، رقم: (1031).

(5) أخرجه الترمذي: 4 / 190، رقم: (1669) وقال: حسن غريب، والطبراني: 8 / 235،

رقم: (7918)، وحسنه الألباني.

**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، يَقُولُ: «لَأَنْ أَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعِي عَلَى وَجْهَتِي، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِوَرْنِي ذَهَبًا، وَالَّذِي نَفْسُ كَعْبٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى تَقْطُرَ قَطْرَةً مِنْ دُمُوعِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَتَمْسُهُ النَّارُ أَبَدًا، حَتَّى يَعُودَ قَطْرُ السَّمَاءِ الَّذِي وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ وَلَنْ يَعُودَ أَبَدًا»<sup>(1)</sup>، وَعَنْهُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: وَجَدْتُ فِي التَّوْرَةِ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلُ الذُّبَابِ مِنَ الدَّمْعِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مَيْسَرَةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، فَذَاكَ الَّذِي تُطْفِئُ الدَّمْعَةَ مِنْهُ مِثْلَ أَمْثَالِ الْبُحُورِ مِنَ النَّارِ»<sup>(3)</sup>، وَعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**، قَالَ: جَلَسْنَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ: «ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا بُكَاءً فَتَبَاكُوا، لَوْ تَعْلَمُونَ الْعِلْمَ لَصَلَّى أَحَدُكُمْ حَتَّى يَنْكَسِرَ ظَهْرُهُ، وَلَبَكَى حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتُهُ»<sup>(4)</sup>، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْكِيَ فَلْيَبْكْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَتَبَاكَ»<sup>(5)</sup>.

وَجَاءَ أَنَّ الْخَشْيَةَ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- وَالْخَوْفَ مِنْهُ، سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَتَكْفِيرِهَا، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَلَمَّا يَسَّ مِنَ

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 7 / 226، رقم: (35544)، والزهد، لأبي داود: 1 / 184، رقم:

(190). وصححه ابن حجر.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 5 / 370.

(3) الزهد لأبي داود: 1 / 393.

(4) أخرجه الحاكم: 4 / 622، رقم: (8723)، وصححه، وقال الألباني: صحيح موقوف.

(5) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 239، رقم: (785).

الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ؛ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصْتُ إِلَى عَظْمِي، فَاْمْتَحِشْتُ، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا، فَادْرُوهُ فِي الْيَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ» قَالَ عَقْبَةُ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَاكَ. وَكَانَ نَبَاشًا<sup>(1)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ، لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ فَحَرَّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ»<sup>(2)</sup>.

وَعَنْ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَخْبِرْهُمْ عَنْ كَلَامِ الْفَتَى الَّذِي كَلَّمَ بِهِ أَيُّوبَ وَهُوَ فِي حَالِهِ، قَالَ وَهْبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَقُلْتُ: قَالَ الْفَتَى: يَا أَيُّوبُ أَمَا كَانَ فِي عَظْمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَذِكْرِ الْمَوْتِ مَا يُكِلُّ لِسَانَكَ، وَيَقْطَعُ قَلْبَكَ، وَيَكْسِرُ حُجَّتَكَ، يَا أَيُّوبُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - عِبَادًا أَسْكَنَتْهُمْ خَشْيَةُ اللَّهِ ﷻ مِنْ غَيْرِ عِيٍّ وَلَا بُكْمٍ، وَإِنَّهُمْ لَهُمُ النَّبَلَاءُ، الْفُصَحَاءُ، الطُّلُقَاءُ، الْأَلْيَاءُ،

(1) أخرجه البخاري: 4 / 169، رقم: (3452)، واللفظ له، ومسلم: 4 / 2109، رقم:

(2756).

(2) أخرجه البخاري: 4 / 169، رقم: (3452)، ومسلم: 4 / 2109، رقم: (2756)، واللفظ



الْعَالَمُونَ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَآيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ فَرَقًا مِنَ اللَّهِ، وَهَيْبَةً لَهُ، وَإِذَا اسْتَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ؛ اسْتَبَقُوا إِلَى اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ، لَا يَسْتَكْثِرُونَ لِلَّهِ الْكَثِيرَ، وَلَا يَرْضَوْنَ لِلَّهِ بِالْقَلِيلِ، يُعَدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ الظَّالِمِينَ الْخَاطِئِينَ، وَإِنَّهُمْ لَأَنْزَاهُ، أَبْرَارُ، أَخْيَارُ، وَمَعَ الْمُضْغِعِينَ الْمُفْرَطِينَ، وَإِنَّهُمْ لَأَكْيَاسُ أَقْوِيَاءَ، نَاحِلُونَ ذَائِبُونَ، يَرَاهُمُ الْجَاهِلُ فَيَقُولُ: مَرَضَى، وَلَيْسُوا بِمَرَضَى، وَقَدْ خَوِلَطُوا، وَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمُ أَمْرًا عَظِيمًا<sup>(1)</sup>.

### 3. الْخَوْفُ:

الْخَوْفُ خِلَافُ الطُّمَأْنِينَةِ وَهُوَ تَوَقُّعُ الضَّرَرِ، أَوْ مَكْرُوهٍ مَشْكُوكٍ فِي وَقُوعِهِ<sup>(2)</sup>، وَقِيلَ: تَوَقُّعُ حُلُولِ مَكْرُوهٍ لِفَوَاتٍ مَحْبُوبٍ<sup>(3)</sup>، قَالَ مَعْمَرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿خَاشِعُونَ﴾ «أَيُّ: خَائِفُونَ»، وَقِيلَ: «الْخَوْفُ الدَّائِمُ فِي الْقَلْبِ»<sup>(4)</sup>، وَقِيلَ: هُوَ اضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَحَرَكَتُهُ مِنْ تَذَكُّرِ الْمَخُوفِ<sup>(5)</sup>. وَإِنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ ﷻ مِنْ أَجْلِ مَقَامَاتِ الدِّينِ وَأَفْضَلِهَا، وَهُوَ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَجِبُ إِخْلَاصُهَا لِلَّهِ تَعَالَى، قَالَ -تَعَالَى- عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا

(1) الزهد والرفائق لابن المبارك، والزهد لنعيم بن حماد: 1 / 526-527.

(2) الفروق اللغوية، للعسكري: 1 / 240، بتصرف.

(3) التعريفات الفقهية، للبركتي: 1 / 90.

(4) الزهد، لابن المبارك: 1 / 55، وتفسير ابن كثير: 10 / 107.

(5) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 512.

قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ<sup>(1)</sup> فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿[الطور: 26-27]﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 46]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 40-41]، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ذَكَرَ مِنْهُمْ: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»<sup>(2)</sup>، قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَوْفُ مَا حَبَزَكَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ»<sup>(3)</sup>؛ وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقَدَرُ الْوَاجِبُ مِنَ الْخَوْفِ؛ مَا حَمَلَ عَلَىٰ آدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ، فَإِنْ زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِحَيْثُ صَارَ بَاعِثًا لِلنُّفُوسِ عَلَى التَّشْمِيرِ فِي تَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَالْانْتِكَافِ عَنْ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ، وَالتَّبَسُّطِ فِي فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ؛ كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مَحْمُودًا»<sup>(4)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57-61]، قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَكَرَ -تَعَالَى-

(1) أي: خائفين.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 133، رقم: (660)، ومسلم: 2 / 715، رقم:

(1031).

(3) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 551.

(4) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب: 1 / 28.

الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِحْسَانِ وَالْخَوْفِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(1)</sup> أَي: وَجِلُّونَ، مُشْفِقَةٌ قُلُوبُهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ؛ خَوْفًا أَنْ يَضَعَ عَلَيْهِمْ عَذْلَهُ، فَلَا يُبْقِي لَهُمْ حَسَنَةً، وَسُوءَ ظَنٍّ بِنَفْسِهِمْ، أَنْ لَا يَكُونُوا قَدْ قَامُوا بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَوْفًا عَلَى إِيْمَانِهِمْ مِنَ الزَّوَالِ، وَمَعْرِفَةً مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَخَوْفُهُمْ وَإِسْفَافُهُمْ يُوجِبُ لَهُمُ الْكَفَّ عَمَّا يُوجِبُ الْأَمْرَ الْمَخُوفُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالتَّقْصِيرُ فِي الْوَاجِبَاتِ<sup>(2)</sup>، وَإِنَّ صِفَةَ الصَّالِحِينَ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيُبَادِرُونَ إِلَيْهَا أَيَّمَا مُبَادَرَةٍ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، فَلِلَّهِ دَرُهُمْ كَمْ جَاهَدَتْ نُفُوسُهُمْ، وَضَنَيْتْ أَبْدَانُهُمْ، وَهَزَلَتْ أَجْسَامُهُمْ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَهُمْ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْقُرْبَةِ قُلُوبُهُمْ وَجِلَّةٌ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ، كَمَا جَاءَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]؛ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»<sup>(2)</sup>.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: 1 / 554.

(2) أخرجه الترمذي: 5 / 327، رقم: (3175)، وابن ماجه: 2 / 1404، رقم: (4198)،

وَلَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ اجْتِهَادِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَخْشَوْنَ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ، وَأَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُمْ لِرُسُوحِ عِلْمِهِمْ، وَعَمِيقِ إِيْمَانِهِمْ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي رَكَعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]»، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي صَوْمَ يَوْمٍ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي صَلَاةً، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي حَسَنَةً، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]» (1).

وَعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، قَالَ: «كَانُوا يَعْمَلُونَ مَا عَمِلُوا مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ، وَهُمْ مُشْفِقُونَ أَنْ لَا يُنْجِيَهُمْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى» (2)، لَمَّا سَمِعَ أَبُو جَهْرٍ مَسْعُودَ الضَّرِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ، هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]، صَاحَ صَيْحَةً، ثُمَّ انْكَبَّ لَوَجْهِهِ، وَانْكَشَفَ بَعْضَ جَسَدِهِ، فَجَعَلَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّورُ، ثُمَّ هَدَأَ، فَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ خَشَبَةٌ (3)، وَكَذَلِكَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ نَصْرِ الْعَبْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ قَالَ: «نَادَى مُنَادٍ فِي مَجْلِسِ صَالِحِ الْمُرِّي، لِيَقُمَ الْبَاكُونَ الْمُشْتَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَامَ أَبُو جَهْثٍ

(1) الإبانة الكبرى، لابن بطّة: 2 / 759.

(2) الزهد، لو كيع بن الجراح: 1 / 390، والزهد، لأحمد بن حنبل: 1 / 232.

(3) تاريخ دمشق، لابن عساکر: 56 / 147، وصفة الصفوة، لابن الجوزي: 2 / 197.

فَقَالَ: اقْرَأْ يَا صَالِحُ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: 24] فَقَالَ أَبُو جَهْثٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَرَدِدَهَا يَا صَالِحُ، فَمَا فَرَعُ مِنَ الْآيَةِ حَتَّى مَاتَ أَبُو جَهْثٍ<sup>(1)</sup>.

وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ وَعْدًا وَأَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ أَنَّ مَنْ خَافَهُ فِي الدُّنْيَا أَمِنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَعَدَ اللَّهُ مُنْجَزٌ وَمُحَقَّقٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمِنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا بَنَ آدَمَ خَفْ مِمَّا خَوَّفَكَ اللَّهُ -تَعَالَى- يَكْفِيكَ مَا خَوَّفَكَ النَّاسُ»<sup>(3)</sup>، قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَوْفُ أَفْضَلُ مِنَ الرَّجَاءِ مَا كَانَ الرَّجُلُ صَاحِحًا، فَإِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ فَإِنَّ الرَّجَاءَ أَفْضَلُ»<sup>(4)</sup>، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ: مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَحِدُّكَ؟» قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ دُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا

(1) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 294.

(2) أخرجه البزار: 14 / 342، رقم: (8028)، وابن حبان: 2 / 406، رقم: (640)، وحسنه

الأرنؤوط، وقال الألباني: حسن صحيح.

(3) القناعة والتعفف، لابن أبي الدنيا: 1 / 50.

(4) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي: 4 / 95.

أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»<sup>(1)</sup>، وَاعْلَمْ أَنَّ «الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ هُمَا كَجَنَاحَيْ الطَّيْرِ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيْرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا وَقَعَ مِنْهُ النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا جَمِيعًا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ»، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِدَلِيلِكَ قِيلَ: «لَوْ وَزَنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَاعْتَدَلَا»<sup>(2)</sup>؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90] أَيْ: مُتَوَاضِعِينَ مُتَدَلِّلِينَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، قَالَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ الْحُزْنُ الدَّائِمُ فِي الْقَلْبِ»<sup>(3)</sup>، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا، لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»، وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا طُعِنَ: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ»<sup>(4)</sup>، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: «رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كِفَافًا [رَأْسًا بِرَأْسٍ]، لَا لِي، وَلَا عَلَيَّ، لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا»<sup>(5)</sup>. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ

(1) أخرجه الترمذي: 3 / 302، رقم: (983)، وقال: حديث حسن غريب، واللفظ له، وابن

ماجة: 2 / 1423، رقم: (4261)، وقال النووي: إسناده حسن، وحسنه الألباني.

(2) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 328.

(3) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب: 7 / 4810.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: 5 / 12، رقم: (3692).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه: 9 / 81، رقم: (7218).

كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(1)</sup>؛ وَقَالَ عَطَاءٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ يُهْلِكَنِي فِيمَنْ يَهْلِكُ»<sup>(2)</sup>، وَقِيلَ لِلْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَرَاكَ طَوِيلَ الْبُكَاءِ، فَقَالَ: «أَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي فِي النَّارِ وَلَا يُبَالِي»<sup>(3)</sup>، وَقَالَ: إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ فَضَحَ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَدَعْ لِدُنْيَا لُبٍّ [أَي: عَقْلٍ] فِيهَا فَرَحًا»<sup>(4)</sup>، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «عَلَى قَدْرِ حُبِّكَ لِلَّهِ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ شُغْلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ يُشْغَلُ فِي أَمْرِكَ الْخَلْقُ»<sup>(5)</sup>، وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا يَهَابُكَ الْخَلْقُ عَلَى قَدْرِ هَيْبَتِكَ لِلَّهِ»<sup>(6)</sup>، لِذَا كَانَ الصَّالِحُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الثُّبَلَاءِ مُهَابُونَ، أَمْثَالُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ حَتَّى قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَوْفُ يَمْنَعُنِي مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَمَا أَشْتَهِيهِ»<sup>(7)</sup>، وَقَالَ لَهُ الْمُرُوزِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمًا: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَحْمَدُ؟ قَالَ: كَيْفَ

(1) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 304.

(2) انظر: الوجيز، للواحدي: 1 / 443، وتفسير الثعلبي: 4 / 366، وتفسير البغوي: 3 /

366.

(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية: 1 / 28.

(4) الزهد، لأحمد بن حنبل 1 / 209، والزهد الكبير، للبيهقي 1 / 217، وإبراز المعاني من

حرز الأمان: 1 / 203.

(5) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 306، والفوائد والأخبار، لابن حنبل: 1 / 149.

(6) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 8 / 110.

(7) التبصرة، لابن الجوزي: 1 / 398.

أَصْبَحَ مَنْ رَبُّهُ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَنَبِيُّهُ يُطَالِبُهُ بِأَدَاءِ السُّنَنِ، وَالْمَلَكَانِ يُطَالِبَانِهِ بِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ، وَنَفْسُهُ تُطَالِبُهُ بِهَوَاهَا، وَإِبْلِيسُ يُطَالِبُهُ بِالْفَحْشَاءِ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ يُرَاقِبُ قَبْضَ رُوحِهِ، وَعِيَالُهُ يُطَالِبُونَهُ بِالنَّفَقَةِ<sup>(1)</sup>، فَالْخَوْفُ سَوْطُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي الْأَرْضِ يُصْلِحُ بِهِ قُلُوبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُهَذِّبُهُمْ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُزْنٌ خَرِبَ»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا غَفَلَ قَلْبِي عَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةً فَسَدَ»، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ أَكْرَمَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: تَعْجِيلِ التَّوْبَةِ، وَفَنَاءَةِ الْقَلْبِ، وَنَشَاطِ الْعِبَادَةِ، وَمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ عُوقِبَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: تَسْوِيفِ التَّوْبَةِ، وَتَرْكِ الرِّضَا بِالْكَفَافِ، وَالتَّكَاسُلِ فِي الْعِبَادَةِ»<sup>(3)</sup>، لِأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ شَدِيدٌ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ كُلِّ خَطَرَةٍ وَحَرَكَةٍ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(4)</sup>: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ

(1) سير أعلام النبلاء، للذهبي: 11 / 226-227.

(2) اعتلال القلوب، للخرائطي: 1 / 18.

(3) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، للسمرقندي: 1 / 41.

(4) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَاسْمُ ابْنِ مُلَيْكَةَ بِضَمِّ الْمِيمِ زُهَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ، كَانَ قَاضِيًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ وَمُؤَدِّنًا، سَمِعَ الْعِبَادِلَةَ الْأَرْبَعَةَ، وَعَائِشَةَ وَأُخْتَهَا أَسْمَاءَ وَأُمَّ سَلَمَةَ وَأَبَا هُرَيْرَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ وَالْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَدْرَكَ بِالسِّنِّ جَمَاعَةً، وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُمْ كَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ وَمِائَةً، وَرَوَى لَهُ الْجَمَاعَةُ.

عمدة القاري، للعيني: 1 / 275.



عَلَى نَفْسِهِ»<sup>(1)</sup>، وَيَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَا أَحَدٌ آمَنَ عَلَى إِيْمَانِهِ إِلَّا يُسَلِّبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا سُلْبُهُ»<sup>(2)</sup>، وَجَاءَ قَرِيبًا مِنْهُ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**، أَنَّهُ قَالَ: «مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ بَشَرٍ لَا يَخَافُ عَلَى إِيْمَانِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَّا ذَهَبَ»<sup>(3)</sup>، فَالْعَبْدُ مَهْمَا بَلَغَتْ مَنْزِلَتُهُ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ الْفِتْنَةَ، وَيَخْشَى أَنْ تَعْصِفَ بِهِ رِيَّاحُ الْأَهْوَاءِ وَالْفِتَنِ، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ **ﷺ**: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»<sup>(4)</sup>.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَقْوَالٍ عَنِ السَّلَفِ وَخَوْفِهِمْ، فَإِنَّمَا مَرَدُّهَا إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَمُقِّتُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَهْضُمُونَهَا وَيَحْتَقِرُّونَهَا، وَيَتَوَاضِعُونَ لِلَّهِ **ﷻ** بِذَلِكَ خَوْفًا وَطَمَعًا مِمَّا عِنْدَهُ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الْمُؤْمِنِ النَّقِيِّ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ **ﷻ** غَدًا مَقْبُولًا مَرْضِيًّا.

### الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ:

ذَكَرَ الْمُحَقِّقُ الطُّوسِي **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي بَعْضِ مُؤَلَّفَاتِهِ مَا حَاصِلُهُ: «أَنَّ الْخَوْفَ وَالْخَشْيَةَ وَإِنْ كَانَا فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ إِلَّا أَنَّ بَيْنَ خَوْفِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَفِي عُرْفِ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ فَرْقًا، وَهُوَ أَنَّ الْخَوْفَ: تَأَلُّمُ النَّفْسِ مِنَ الْعِقَابِ الْمُتَوَقَّعِ، بِسَبَبِ

- 
- (1) أخرجه البخاري في الإيمان: 1 / 109، تعليقًا بصيغة الجزم، وساق سنده في التاريخ الكبير: 5 / 137، رقم: (412)، ووصله الحافظ ابن حجر في تليق التعليق: 2 / 52.
- (2) شعب الإيمان، للبيهقي: 2 / 259، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة: 1 / 391.
- (3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 5 / 125.
- (4) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 2045، رقم: (2654).

ازْتِكَابِ الْمَنْهِيَّاتِ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَاتِ، وَهُوَ يَحْصُلُ لِأَكْثَرِ الْخَلْقِ، وَإِنْ كَانَتْ مَرَاتِبُهُ مُتَفَاوِتَةً جِدًّا، وَالْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا مِنْهُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا لِلْقَلِيلِ.

وَالْخَشْيَةُ: حَالَةٌ تَحْصُلُ عِنْدَ الشُّعُورِ بِعَظَمَةِ الْخَالِقِ وَهَيْبَتِهِ، وَخَوْفِ الْحَجَبِ عَنْهُ، وَهَذِهِ حَالَةٌ لَا تَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ اِطَّلَعَ عَلَى حَالِ الْكِبَرِيَاءِ، وَذَاقَ لَذَّةَ الْقُرْبِ، وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] فَالْخَشْيَةُ: خَوْفٌ خَاصٌّ، وَقَدْ يُطْلَقُونَ عَلَيْهَا الْخَوْفُ<sup>(1)</sup>.

قَالَ الْفَيْرُوزْ أَبَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَشْيَةُ أَخْصَصُ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَتَقَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمُ لَهُ»<sup>(2)</sup>. فَالْخَوْفُ حَرَكَةٌ، وَالْخَشْيَةُ انْجِمَاعٌ وَانْقِبَاضٌ وَسُكُونٌ، وَالْخَوْفُ يَكُونُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَالْهَيْبَةُ لِلْمُحِجِّينَ، وَالْوَجَلُ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ تَكُونُ الْخَشْيَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي

(1) معجم الفروق اللغوية، للعسكري: 1 / 219، والكليات، لأبي البقاء: 2 / 301-302.

والمفردات، للأصفهاني: الخوف رقم: (209)، والخشية رقم: (213)، والتعريفات للجرجاني: الخوف رقم: (107)، والخشية رقم: (294).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: 2 / 779، رقم: (1108).

نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا (1)، (2) وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرَشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ (3) تَجَاوُونَ (4) إِلَى اللَّهِ (5)، قَالَ: «فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطُّوا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينَ» (6).

فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِئُ إِلَى الْهَرَبِ وَالْإِمْسَاكِ، وَصَاحِبُ الْخَشْيَةِ يَلْتَجِئُ إِلَى الْاِعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ، وَمَثْلُهُمَا كَمَثَلِ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالطَّبِّ، وَمَثَلُ الطَّيِّبِ الْحَادِقِ، فَلَا أَوَّلَ يَلْتَجِئُ إِلَى الْاِحْتِمَاءِ وَالْهَرَبِ، وَالطَّيِّبُ يَلْتَجِئُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِالْأَدْوِيَةِ

(1) مَعْنَاهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مِنْ عَظَمِ اِثْتِقَامِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَهْلِ الْجَرَائِمِ وَشِدَّةِ عِقَابِهِ وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَمَا بَعْدَهَا كَمَا عَلِمْتُ وَتَرَوْنَ النَّارَ كَمَا رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَقَلَّ ضَحِكُكُمْ لِفِكْرِكُمْ فِيمَا عَلِمْتُمُوهُ، شرح مسلم، للنووي: 6 / 201.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 8 / 130، رَقْم: (6637). مِنْ عِنْدَ قَوْلِهِ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ...»

(3) الصُّعَدَاتُ: الطُّرُق.

(4) جَارٌ يَجَارُ جَارًا، وَجُورًا: رَفَعَ صَوْتَهُ مَعَ تَضَرُّعٍ وَاسْتِعَانَةٍ، وَجَارَ الرَّجُلُ إِلَى اللَّهِ ﷻ إِذَا تَضَرَّعَ بِالْأَدْعَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى لَهُ جُورًا إِلَى رَبِّهِ بِالتَّوْبَةِ. لِسَانُ الْعَرَبِ، لابن منظور: 5 / 181.

(5) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ: 35 / 405، رَقْم: (21515)، وَالتِّرْمِذِيُّ: 4 / 556، رَقْم: (2312)، وَقَالَ حَسَنٌ، وَالحَاكِمُ: 2 / 554، رَقْم: (3883)، وَقَالَ: صَحِيحٌ، وَحَسَنُهُ الْأَبْيَانُ.

(6) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 6 / 54، رَقْم: (4621)، وَمُسْلِمٌ: 4 / 1832، رَقْم: (2359).

وَالْأَدْوَاءَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ إِذَا خِفْتُهُ هَرَبْتُ مِنْهُ، إِلَّا اللَّهَ، فَإِنَّكَ إِذَا خِفْتُهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ، فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ» (1).

#### 4. الْقُنُوتُ؛

الرَّجُلُ يُقْنِعُ يَدَهُ فِي الْقُنُوتِ أَيَّ يَمُدُّهَا فَيَسْتَرَحِمُ رَبَّهُ» (2)، وَقَتَ: وَفَتَتُوا اللَّهَ أَيَّ أَطَاعُوهُ، وَمِنْهُ الْقُنُوتُ أَيَّ الطَّاعَةِ، وَقَانِتُونَ أَيَّ مُطِيعُونَ، وَالْقُنُوتُ: الدُّعَاءُ فِي آخِرِ الْوِتْرِ قَائِمًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238] (3)، وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ قَالَ مِنَ الْقُنُوتِ: «الرُّكُوعُ، وَالْخُشُوعُ، وَغَضُّ الْبَصَرِ، وَخَفْضُ الْجَنَاحِ مِنْ رَهْبَةِ اللَّهِ ﷻ» (4)، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ -تَعَالَى- الْخَاشِعِينَ فِي طَاعَتِهِ، وَالْقَانِتِينَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، وَوَصَفَهُمْ بِالْعِلْمِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]، وَالْقُنُوتُ هُنَا هُوَ الْخُشُوعُ فِي الطَّاعَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «..الْقُنُوتُ يَرُدُّ فِي الْقُرْآنِ عَلَى قِسْمَيْنِ: قُنُوتٌ عَامٌّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانِتُونَ﴾ [الروم: 26] أَيَّ

(1) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي: 2 / 544-546، ودليل الفالحين، لابن علان: 2 / 367.

(2) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: 1 / 170.

(3) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: 5 / 129.

(4) التفسير من سنن سعيد بن منصور: 3 / 921، وتعظيم قدر الصلاة، للمروزي: 1 / 188.

الْكُلَّ عَبِيدٌ خَاضِعُونَ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَتَدْبِيرِهِ، وَالنَّوعُ الثَّانِي: وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِي الْقُرْآنِ: الْقُنُوتُ الْخَاصُّ، وَهُوَ دَوَامُ الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ الْخُشُوعِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانًا﴾ [الزمر: 9]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي﴾ [آل عمران: 43]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب: 35]، وَنَحْوَهَا<sup>(1)</sup>.

وَقَدْ قَالَ الرَّائِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقُنُوتُ لَزُومُ الطَّاعَةِ مَعَ الْخُضُوعِ، وَفُسَّرَ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾، قِيلَ: خَاضِعُونَ، وَقِيلَ: طَائِعُونَ، وَقِيلَ: سَاكِتُونَ، وَلَمْ يُعْنَ بِهِ كُلُّ السُّكُوتِ، وَإِنَّمَا عُيِّنَ بِهِ مَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»<sup>(2)</sup>، وَعَلَى هَذَا لَمَّا: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ»<sup>(3)</sup>، أَيْ الْإِشْتَغَالُ بِالْعِبَادَةِ، وَرَفُضُ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: 120]، وَقَالَ: ﴿وَكُنْتُ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحریم: 12]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَنْتِ

(1) انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للسعدي: 1 / 311.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 381، رقم: (537).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 520، رقم: (756).

مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿[الأحزاب: 31]، وَقَالَ ﷺ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَاتِتَاتٌ﴾ [النساء: 34]»<sup>(1)</sup>،  
وَالْقُنُوتُ فِي الْحَدِيثِ يُرَوَّى بِمَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فَيُطْلَقُ عَلَى: الْخُشُوعِ، وَالطَّاعَةِ،  
وَالصَّلَاةِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالْقِيَامِ، وَطُولِ الْقِيَامِ، وَالسُّكُوتِ، وَالسُّكُونِ،  
وإِقَامَةِ الطَّاعَةِ، وَالْخُضُوعِ»<sup>(2)</sup>،<sup>(3)</sup>.

## 5. الإِنَابَةُ:

أَنَابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: أَيُّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَى مَا يُحِبُّهُ رَبُّهُ مِنْهُ»<sup>(4)</sup>، وَالْإِنَابَةُ مِنَ  
الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ -تَعَالَى- بِهَا أَنْبِيَائَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ،  
أَثْنَى اللَّهُ عَلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تَصَافِيهِ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ  
أَمْرٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: 75]، وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْ نَبِيِّهِ  
شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، وَقَالَ ﷺ  
عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَضَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: 24].  
وَقَالَ ﷺ عَنْ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ

(1) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: 1 / 684.

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: 4 / 111، ومشارك الأنوار على  
الصحيح والآثار، للقاضي عياض: 2 / 162، وهدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر:  
1 / 176.

(3) صلاة المؤمن، لسعيد القحطاني: 1 / 267-268.

(4) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري: 10 / 6803.

جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿[ص: 34]، وَقَالَ -تَعَالَى- عَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10]، وَالصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنُوبُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4]، وَأَمَرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ فَقَالَ: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ [الزمر: 54]، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَامَةُ الْمُنِيبِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا لِحُرْمَتِهِ، وَمُؤَالِيًا لَهُ، مُتَوَاضِعًا لِجَلَالِهِ، تَارِكًا لِهَوَىٰ نَفْسِهِ»<sup>(1)</sup>، وَقِيلَ: «الْمُنِيبُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِسِرِيرَةٍ مُرْضِيَةٍ وَعَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ»<sup>(2)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْإِنَابَةُ: الْإِسْرَاعُ فِي مَرَضَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَالتَّقَدُّمُ إِلَىٰ مَحَابِّهِ، مَعَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيُّضًا: وَالْإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ إِنَابَتَانِ: الْأُولَى: إِنَابَةُ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهِيَ إِنَابَةُ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: 33]، فَهَذَا عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ دَاعٍ أَصَابَهُ ضُرٌّ، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ، وَهَذِهِ الْإِنَابَةُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْإِسْلَامَ، بَلْ تَجَامِعُ الشُّرْكَ وَالْكُفْرَ، وَالْإِنَابَةُ الثَّانِيَةُ: إِنَابَةُ أَوْلِيَائِهِ، وَهِيَ إِنَابَةُ لِإِلَهِيَّتِهِ، إِنَابَةُ عَبْدِيَّةٍ وَمَحَبَّةٍ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ: مَحَبَّةً،

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للشعلبي: 9 / 105.

(2) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): 3 / 368.

وَالْخُضُوعَ لَهُ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ، فَلَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْمُنِيبِ إِلَّا مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَرْبَعُ، وَتَفْسِيرُ السَّلَفِ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ يَدُورُ عَلَى ذَلِكَ<sup>(1)</sup>.  
وَالْإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- هِيَ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ، وَالْهِدَايَةِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ [الرعد: 27]. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَمْنُوا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوَلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ»<sup>(2)</sup>، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ»<sup>(3)</sup>، أَيِ: التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يَكْثُرُ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَيَتَزَوَّدُ مِنَ الْقُرْبَاتِ»<sup>(4)</sup>، وَيَتَنَوَّعُ فِي ادِّخَارِ الْحَسَنَاتِ»<sup>(5)</sup>.

(1) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 1 / 434.

(2) قوله: «فَإِنَّ هَوَلَ الْمُطَّلَعِ»، أَيِ: مَكَانُ الْإِطْلَاعِ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ، يُقَالُ: مُطَّلِعٌ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا، أَيِ: مَا تَأْتَاهُ وَمَصْعَدُهُ، يُرِيدُ بِهِ: مَا يُشْرِفُ عَلَيْهِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشِدَائِدِهِ، فَشَبَّهَ بِالْمُطَّلَعِ، وَعَلَّلَ النَّهْيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَنَّى لِقَلَّةِ صَبْرِهِ وَضَجْرِهِ، فَإِذَا جَاءَ مُتَمَنِّئُهُ، ازْدَادَ ضَجْرًا عَلَى ضَجْرٍ، وَيَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ مَزِيدَ سَخَطٍ، وَلِأَنَّ السَّعَادَةَ فِي طُولِ الْعُمُرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِاِكْتِسَابِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَرَأْسُ مَالِهِ الْعُمُرُ. هَلْ رَأَيْتَ تَاجِرًا يُضَيِّعُ رَأْسَ مَالِهِ؟! انظر: شرح المشكاة، للطبري: 4 / 1370.

(3) أخرجه أحمد: 22 / 426، رقم: (14564)، والحاكم: 4 / 268، رقم: (7602)، وصححه، وحسنه الهيثمي، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(4) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي: 1 / 350.

(5) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني: 4 / 132.



وَجَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِكُمْ؟»، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خَيْرُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا» <sup>(1)</sup>؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ كُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَّنَ عَمَلَهُ، يَغْتَنِمُ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَيُرَاعِي الْأَوْقَاتِ، فَيَتَزَوَّدُ مِنْهَا لِلْآخِرَةِ، وَيَكْثُرُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُوجِبَةِ لِلْسَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ <sup>(2)</sup>، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْبَشَرَى لَأَهْلِ الْإِنَابَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: 17]، وَأَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ ثَوَابَهُ، وَجَنَّتَهُ لَأَهْلِ الْخُشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 31-33].

وَمِنْ صِفَاتِ الْعَبْدِ الْمُنِيبِ: الْاِعْتِبَارُ بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَزَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ \* وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* تُبْصَرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 6-8]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ

(1) أخرجه أحمد: 12 / 146، رقم: (7212)، وابن حبان: 7 / 247، رقم: (2981)،

والحاكم: 1 / 489، رقم: (1255)، وصححه أحمد شاكر والألباني، وقال الأرناؤوط: إسناده

قوي.

(2) فيض القدير، للمناوي: 3 / 467.

إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿ غافر: 13 ﴾، وَالْإِنَابَةُ إِلَى اللَّهِ مَانِعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [الزمر: 54].<sup>(1)</sup>

## 6. الإِخْبَاتُ:

قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَبْتُ: الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ... ثُمَّ اسْتَعْمَلَ الْإِخْبَاتُ اسْتِعْمَالَ اللَّيْنِ وَالتَّوَاضُّعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: 23]. وَالْإِخْبَاتُ: «الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُّعُ»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَجْعَلْنِي.. لَكَ مُخْبِتًا»<sup>(3)</sup>، أَيَّ خَاشِعًا مُطِيعًا، وَالْإِخْبَاتُ: الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُّعُ، وَقَدْ أَخْبَتَ اللَّهُ: يُخْبِتُ.. وَأَصْلُهَا مِنَ الْخَبْتُ: الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ»<sup>(4)</sup>، وَذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الْمَعَانِي السَّابِقَةَ، ثُمَّ قَالَ: «وَالْخَبْتُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ: الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ...»، ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّحْجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُصَلُّونَ الْمُخْلِصُونَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُمْ الرَّقِيقَةُ قُلُوبُهُمْ...، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ تَدُورُ عَلَىٰ مَعْنَيْنِ: التَّوَاضُّعُ، وَالسُّكُونُ إِلَى اللَّهِ

(1) انظر: الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، لأمين الشقاوي: 7 / 650.

(2) لسان العرب، لابن منظور: 2 / 27.

(3) جزء من حديث أخرجه أحمد: 3 / 452، رقم: (1997)، وابن ماجه: 2 / 1259، رقم:

(3830)، وأبو داود: 2 / 83، رقم: (1510)، والترمذي: 5 / 554، رقم: (3551)، وصححه

الألباني والأرنؤوط.

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «خبت»: 2 / 4.

﴿عَلَيْكَ...﴾<sup>(1)</sup>، وَالْإِخْبَاتُ: التَّوَاضُّعُ وَالْخُشُوعُ، وَاللَّيْنُ، وَالسَّكُونُ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ مَقَامَاتِ الطُّمَأْنِينَةِ: كَالسَّكِينَةِ، وَالْيَقِينِ، وَالثَّقَّةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَنَحْوِهَا، فَهُوَ مُقَدِّمَاتُهَا، وَمَبْدُؤُهَا، وَالْإِخْبَاتُ أَوَّلُ مَقَامٍ يَتَخَلَّصُ فِيهِ الْعَبْدُ مِنَ التَّرَدُّدِ، الَّذِي هُوَ نَوْعٌ غَفْلَةٍ وَإِعْرَاضٍ<sup>(2)</sup>.

## 7. الطُّمَأْنِينَةُ:

الطُّمَأْنِينَةُ: السُّكُونُ، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ اطمأنَّ إِذَا سَكَنَ<sup>(3)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27-30]، وَالطُّمَأْنِينَةُ سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ، وَعَدَمُ اضْطِرَابِهِ وَقَلْقِهِ، وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَهْوَنَ مِنَ الْوَرَعِ، دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيْبُكَ»<sup>(4)</sup>، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَعْرُوفِ: «دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَىٰ مَا لَا

(1) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 2 / 3.

(2) انظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 2 / 3-8.

(3) التعريفات الفقهية، للبركتي: 1 / 1370.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: 3 / 53.

يَرِيْبُكَ (1)، فَإِنَّ الصَّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ (2) (3)، أَي: الصَّدْقُ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ قَلْبُ السَّامِعِ، وَيَجِدُ عِنْدَهُ سُكُونًا إِلَيْهِ، وَالْكَذِبُ يُوجِبُ لَهُ اضْطِرَابًا وَارْتِيَابًا، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ» (4)، أَي سَكَنَ إِلَيْهِ وَزَالَ عَنْهُ اضْطِرَابُهُ وَقَلْقُهُ، وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» أَي: تَطْيِبُ وَتَرْتَكِنُ إِلَى جَانِبِ اللَّهِ، وَتَسْكُنُ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَتَرْضَى بِهِ مَوْلَى وَنَصِيرًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» أَي: هُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ (5)، وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» أَي: يَزُولُ قَلْقُهَا وَاضْطِرَابُهَا،

(1) أَي: أَتْرُكُ مَا تَشْكُ فِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ أَنَّهُ مِنْهَيٌّ عَنْهُ أَوْ لَا، أَوْ سُنَّةٌ، أَوْ بَدْعَةٌ، وَاعْدِلْ إِلَى مَا لَا تَشْكُ فِيهِ مِنْهُمَا، وَالْمَقْصُودُ أَنْ يَبَيِّنَ الْمُكَلَّفَ أَمْرَهُ عَلَى الْيَقِينِ الْبَحْثِ، وَالتَّحْقِيقِ الصَّرْفِ، وَيَكُونُ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي دِينِهِ. تحفة الأحوذى، للمباركفوري: 6 / 310.

(2) أَي: أَنْ كَوْنَ الْأَمْرِ مَشْكُوكًا فِيهِ مِمَّا تَقْلُقُ لَهُ النَّفْسُ، وَكَوْنُهُ صَحِيحًا صَادِقًا مِمَّا تَطْمَئِنُّ لَهُ. تحفة الأحوذى، للمباركفوري: 6 / 310.

(3) أخرجه الإمام أحمد: 3 / 252، رقم: (1727)، والترمذي: 4 / 668، رقم: (2518)، وقال: حسن صحيح، وابن حبان، 2 / 498، رقم: (722)، والبيهقي: 5 / 52، رقم: (5747)، والحاكم، 2 / 15، رقم: (2169)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه أحمد شاكر، والألباني، والأرنؤوط.

(4) أخرجه أحمد: 29 / 527، رقم: (18001)، والطبراني: 22 / 148، رقم: (403)، والدارمي، 2 / 320، رقم: (2533)، وأبو يعلى: 3 / 160، رقم: (1586)، وصححه الألباني.

(5) تفسير ابن كثير: 1 / 707.

وَتَحْضُرُهَا أَفْرَاحُهَا وَلَذَاتُهَا، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أَيُّ: حَقِيقٌ بِهَا، وَحَرِيٌّ بِهَا أَنْ لَا تَطْمَئِنَّ لِشَيْءٍ سِوَى ذِكْرِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَلْذُّ لِلْقُلُوبِ، وَلَا أَشْهَى، وَلَا أَحْلَى مِنْ مَحَبَّةِ خَالِقِهَا، وَالْأَنْسِ بِهِ وَمَعْرِفَتِهِ» <sup>(1)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: 27-28]، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً، فَهَنَّاكَ تَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَتَدْخُلُ فِي عِبَادِهِ، وَتَدْخُلُ جَنَّتَهُ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: «اللَّهُمَّ هَبْ لِي نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً إِلَيْكَ» <sup>(2)</sup>.

## 8. وَجَلُّ الْقَلْبِ:

الْوَجَلُ: اسْتِشْعَارُ الْخَوْفِ مَعَ الْحَذَرِ، يُقَالُ: وَجَلَّ وَجَلًّا وَمَوْجَلًّا بِالْفَتْحِ، أَوْ وَجَلًّا، فَهُوَ وَجِلٌّ <sup>(3)</sup>، أَيُّ خَائِفٌ مُشْفِقٌ، لِذَلِكَ جَاءَ فِي الْآيَةِ: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: 52]، أَيُّ خَائِفُونَ، وَفِي الْحَدِيثِ «وَعَظْنَا مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا

(1) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: 1/ 417-418.

(2) مدارج السالكين، لابن القيم: 2/ 514، والأثر لم يوجد إلا في التفسير القيم، لابن القيم:

491/1.

(3) الصحاح تاج اللغة، للجوهري: 5/ 1840، ومفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني: 1/

الْقُلُوبُ»<sup>(1)</sup>، أَي: فَرِغَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَخَافَتْ»<sup>(2)</sup>، وَقَدْ وَصَفَ لِسَانَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُخْبِتُونَ، وَأَنَّهُمْ مُوْعِدُونَ بِالْبَشَارَةِ الرَّبَّانِيَّةِ كَمَا فِي الْآيَةِ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ \* الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 34-35]، أَي خَافَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْهُ **عَجَلًا** لِإِشْرَاقِ أَشْعَةِ الْجَلَالِ عَلَيْهَا»<sup>(3)</sup>، وَوَجَلَّ الْقَلْبُ: هُوَ الْخَوْفُ كَمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فَرَقَتْ: أَي فَرِغَتْ وَخَافَتْ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ... الَّذِي إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّ قَلْبُهُ: أَي خَافَ مِنْهُ، فَفَعَلَ أَوْامِرَهُ، وَتَرَكَ زَوَاجِرَهُ»<sup>(4)</sup>، وَقَالَ السَّعْدِيُّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «أَي خَافَتْ [نَفْسُهُمْ] وَرَهَبَتْ فَأَوْجَبَتْ لَهُمْ خَشْيَةَ اللَّهِ - تَعَالَى - الْإِنْكَفَافَ عَنِ الْمَحَارِمِ، فَإِنَّ خَوْفَ اللَّهِ - تَعَالَى - أَكْبَرُ عِلَامَاتِهِ أَنْ يَحْجِزَ صَاحِبَهُ عَنِ الذُّنُوبِ»<sup>(5)</sup>، وَقَالَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «الْخَوْفُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْخُضُوعُ، وَالْإِخْبَاتُ، وَالْوَجَلُ مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ، فَالْخَوْفُ يَمْنَعُ الْعَبْدَ

(1) أخرجه أحمد: 28 / 373، رقم: (17144)، ابن ماجه: 1 / 15، رقم: (42)، وأبو داود:

4 / 200، رقم: (4607)، والترمذي: 5 / 44، رقم: (2676)، وقال: حسن صحيح، وقال

ابن حجر: هذا حديث صحيح رجاله ثقات، وصححه جماعة، منهم ابن ماجه وابن حبان والحاكم، الضياء المقدسي، وأحمد شاكر، والألباني، والأرنؤوط.

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن أثير: 5 / 157.

(3) روح المعاني، للألوسي: 9 / 147.

(4) تفسير ابن كثير: 1 / 566.

(5) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: 1 / 315.

مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَتُشَارِكُهُ الْخَشْيَةُ فِي ذَلِكَ، وَتَزِيدُ أَنْ خَوْفُهُ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْخُضُوعُ، وَالْإِخْبَاتُ، وَالْوَجَلُ، فَإِنَّهَا تَنْشَأُ عَنِ الْخَوْفِ، وَالْخَشْيَةِ، فَيَخْضَعُ الْعَبْدُ لِلَّهِ، وَيُخْبِتُ إِلَى رَبِّهِ مُنِيبًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَيَحْدُثُ لَهُ الْوَجَلُ، وَأَمَّا الْخُشُوعُ: فَهُوَ خُضُوعُ الْقَلْبِ وَقَتَ تَلَبُّسِهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَسُكُونُ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ، وَأَمَّا الْخُشُوعُ الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ وَصَفُ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمُرَاقَبَتِهِ، فَيَسْتَوِلِي ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ، كَمَا تَسْتَوِلِي الْمَحَبَّةُ<sup>(1)</sup>.

## 9. قُشْعِرِيَّةُ الْجِلْدِ:

القُشْعِرِيَّةُ هِيَ رِعْدَةٌ، رَعَشَةٌ، رَجْفَةٌ مِنْ خَوْفٍ أَوْ رَهْبَةٍ أَوْ اضْطِرَابٍ، وَيُقَالُ: أَخَذَتْهُ قُشْعِرِيَّةٌ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، أَوْ قُشْعِرِيَّةٌ حُمَى<sup>(2)</sup>، وَيُقَالُ: اقْشَعَرَ جِلْدُ الْإِنْسَانِ اقْشَعَرَارًا، فَهُوَ مُقْشَعَرٌّ<sup>(3)</sup>، وَتَحَرَّكَ شَعْرُ جِسْمِهِ كَالْقُنْفُذِ، وَيُقَالُ: اقْشَعَرَ جِلْدُهُ، أَيُّ: أَخَذَتْهُ قُشْعِرِيَّةٌ، رِعْدَةٌ<sup>(4)</sup>.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ ﷻ مَنْ يَقْشَعِرُ جِلْدُهُ وَيَلِينُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالْخَشْيَةِ لِلَّهِ تَعَالَى؛ وَبِهِدَايَةِ اللَّهِ لَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

(1) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص: 361-362.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر: 3 / 1817.

(3) والجمع قشاعِرٌ، فتحذف الميم لأنها زائدة. انظر: الصحاح تاج اللغة، للجوهري: 2 /

792.

(4) القاموس المحيط، للفيروز آبادي: 1 / 462.

مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿[الزمر: 23]﴾، فَحَصَلَ لَهُمْ لَيْنُ الْقَلْبِ، وَقُشْعِرِيَّةُ الْجِلْدِ، قَالَ الرَّائِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ﴿[الزمر: 23]﴾ أَيُّ يَغْلُوها قُشْعِرِيَّةٌ<sup>(1)</sup>، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ، عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ الْجَبَّارِ، الْمُهَيِّمِينَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، لِمَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ، تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُهُمْ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لِمَا يَرْجُونَ وَيُؤْمَلُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ..»<sup>(2)</sup>، وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّخْوِيفِ وَالتَّرْهيبِ الْمُزْعِجِ: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أَيُّ عِنْدَ ذِكْرِ الرَّجَاءِ وَالتَّرْغِيبِ، فَهُوَ تَارَةً يَرْغَبُهُمْ لِعَمَلِ الْخَيْرِ، وَتَارَةً يَرْهَبُهُمْ مِنْ عَمَلِ الشَّرِّ»<sup>(3)</sup>، «وَوَصَفَ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَنَا بِالْخُشُوعِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُونَ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 107-109]، وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ- فِي وَصْفِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُونَ خُشُوعًا:

(1) مفردات ألفاظ القرآن، للصنعاني: 1 / 671.

(2) تفسير ابن كثير: 7 / 94.

(3) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: 1 / 723.



مَدْحٌ لِمَنْ أَوْجَبَ لَهُ سَمَاعَ كِتَابِ الْخُشُوعِ لِلَّهِ **عَلَيْهِ** فِي قَلْبِهِ <sup>(1)</sup>، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبِي بَنْ كَعْبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسْنَةٍ، ذَكَرَ الرَّحْمَنَ وَافْتَشَعَرَ جُلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِلَّا كَانَ مِثْلَهُ كَمِثْلِ شَجَرَةٍ يَسِرُّ وَرَقُهَا، فَهِيَ كَذَلِكَ إِذَا أَصَابَهَا رِيحٌ فَتَحَاتَتْ عَنْهَا وَرَقُهَا، إِلَّا تَحَاتَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا» <sup>(2)</sup>.

### 10. السَّكِينَةُ:

السَّكِينَةُ هِيَ الْمَهَابَةُ وَالرَّزَانَةُ وَالْوَقَارُ وَالطَّمَأْنِينَةُ <sup>(3)</sup>، وَقِيلَ: هِيَ مَا يَجِدُهُ الْقَلْبُ مِنَ الطَّمَأْنِينَةِ، وَهِيَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يَسْكُنُ إِلَى شَاهِدِهِ، وَيَطْمَئِنُّ، وَهَذَا مَبَادِي عَيْنِ الْيَقِينِ <sup>(4)</sup> قِيلَ: السَّكِينَةُ: هِيَ الطَّمَأْنِينَةُ، وَالسُّكُونُ، وَالرَّحْمَةُ <sup>(5)</sup>، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1-2] يَعْني: «خَائِفِينَ سَاكِنِينَ» <sup>(6)</sup>، قَالَ ابْنُ سِيرِينَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «هُوَ سُكُونُ الْمَرْءِ فِي صَلَاتِهِ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «السُّكُونُ فِيهَا»، وَتَأْتِي

(1) الخشوع في الصلاة، لابن رجب: 1 / 17.

(2) الزهد، لأبي داود: 1 / 183، رقم: (189).

(3) انظر: المصباح المنير، للفيومي: 1 / 283، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس: 1 / 486.

(4) التعريفات للجرجاني، فصل الكاف: 1 / 159.

(5) انظر: النهاية لابن الأثير: 2 / 386.

(6) تفسير الطبري: 9 / 198، رقم: (25428).

السَّكِينَةُ بِمَعْنَى: الْوَقَارِ، وَالتَّائِي فِي الْحَرَكَةِ وَالسَّيْرِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ»<sup>(1)</sup>، أَيْ الزَّمُوا السَّكِينَةَ، وَفِي حَدِيثِ الْخُرُوجِ إِلَى الصَّلَاةِ: «فَلْيَأْتِ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ»<sup>(2)</sup>، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ»<sup>(3)</sup>.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «السَّكِينَةُ» فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ فِي عِدَّةٍ مَوَاضِعَ: مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 248]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 26]، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَصْلُ السَّكِينَةِ هِيَ الطَّمَأْنِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَالسُّكُونُ الَّذِي يُتْرَكُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَافِ، فَلَا يَنْزَعُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ»<sup>(5)</sup>.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالسَّكِينَةُ هِيَ الثَّبَاتُ وَالطَّمَأْنِينَةُ، وَالسُّكُونُ الْمُتَبَتُّ لِلْفَوَادِ الَّذِي يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي الْقُلُوبِ وَقْتَ الْقَلَاقِلِ، وَالزَّلَازِلِ، وَالْمُفْطَعَاتِ، مِمَّا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: 2 / 886، رقم: (1218).

(2) أخرجه أحمد: 15 / 315، رقم: (9514)، والطبراني: 1 / 296، رقم: (983)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 322، رقم: (430).

(4) وردت عدد من الآيات فيها ذكر السكينة، ولكن اكتفينا بهاتين الآيتين طلباً للاختصار.

(5) انظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 2 / 502.

يُثَبِّتُهَا، وَيُسَكِّنُهَا، وَيَجْعَلُهَا مُطْمَئِنَّةً، وَهِيَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى الْعِبَادِ<sup>(1)</sup>،  
«فَالسَّكِينَةُ إِذَا نَزَلَتْ عَلَى الْقَلْبِ اطمَأَنَّ بِهَا، وَسَكَتَتْ إِلَيْهَا الْجَوَارِحُ، وَخَشَعَتْ،  
وَاكتَسَبَتِ الْوَقَارَ، وَأَنْطَقَتِ اللِّسَانَ بِالصَّوَابِ، وَالْحِكْمَةِ، وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ  
الْخَنَا، وَالْفُحْشِ، وَاللَّغْوِ، وَالْهَجْرِ، وَكُلِّ بَاطِلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا  
نَتَحَدَّثُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»<sup>(2)</sup>.

وَكَثِيرًا مَا يَنْطِقُ صَاحِبُ «السَّكِينَةِ» بِكَلَامٍ لَمْ يَكُنْ عَنْ فِكْرَةٍ مِنْهُ، وَلَا رَوِيَّةٍ، وَلَا  
هِيَّةٍ، وَيَسْتَعْرِبُهُ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ، كَمَا يَسْتَعْرِبُ السَّامِعُ لَهُ، وَرُبَّمَا لَا يَعْلَمُ بَعْدَ انْقِضَائِهِ بِمَا  
صَدَرَ مِنْهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ: هَذَا عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَصِدْقِ الرَّغْبَةِ مِنَ السَّائِلِ، أَوِ الْمُجَالِسِ،  
وَصِدْقِ الرَّغْبَةِ مِنْهُ: إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِسْرَافِ بِقَلْبِهِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، وَحَضْرَتِهِ، مَعَ تَجَرُّدِهِ  
مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَتَجَرُّدِهِ النَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(3)</sup>.



(1) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي: 1 / 338، بتصرف.

(2) الجامع، لمعمر ابن راشد: 11 / 222، رقم: (20380) ومصنف ابن أبي شيبة: 6 / 354،  
رقم: (31974)، ومسند أحمد: 2 / 201، رقم: (835)، وفضائل الصحابة، لأبي عبد الله  
أحمد بن حنبل: 1 / 444 / 711، وابن ماجه: 1 / 40، رقم: (108)، والطبراني: 9 / 167،  
رقم: (8827)، ولم نجد رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا التي أشار إليها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَّا  
في كرامات الأولياء لللالكائي: 9 / 125، وصححه الألباني عند ابن ماجه، وقال الأرناؤوط:  
إسناده قوي في تحقيقه لمسند أحمد.

(3) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية: 2 / 506.



## الفصل الرابع

مُعِينَاتُ الْخُشُوعِ، وَمَشَاهِدُهُ، وَمَرَاتِبُ الصَّلَاةِ



## أَوَّلًا: الْأُمُورُ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ

إِنَّ الْخُشُوعَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ - تَعَالَى - يَهْبُهُ لِمَنْ صَقَلَ قَلْبُهُ، وَصَدَقَتْ إِرَادَتُهُ، وَصَحَّ عِلْمُهُ، وَحَسُنَ اتِّبَاعُهُ، وَإِنَّ لِلْخُشُوعِ سَبَبَيْنِ، سَبَبٌ بَاطِنٌ خَفِيٌّ: وَهُوَ تَعْظِيمُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَتَعْظِيمُ الْمَوْقِفِ فِي الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَعَدَمُ عُلُوقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ، وَتَفَرُّغُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَدَاهُ، وَتَذْكَارُ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ، مَعَ تَوَجُّهِ الْقَلْبِ بِالتَّضَرُّعِ وَاللَّجْوِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَاللَّهْجِ بِالْأَدْعِيَةِ... إلخ، وَأَمَّا سَبَبُهُ الْآخَرُ فَهُوَ سَبَبٌ ظَاهِرٌ: يَكُونُ بِالتَّهَيُّةِ لِلصَّلَاةِ، وَالتَّمَهُّلِ أَثْنَاءَ الْمَجِيءِ، وَالتَّبَكُّيرِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَالسَّيْرِ بِتَوَدَّةٍ وَسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، وَحِفْظِ الْأَذْكَارِ الْمَعْهُودَةِ وَالْمَأْثُورَةِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، فَمَنْ عَقَّى أُمًّا أَوْ أَبًا، أَوْ سَبَّ مُسْلِمًا، أَوْ قَذَفَ بَرِيئًا، أَوْ آذَى جَارًا، أَوْ هَتَكَ عِرْضًا، فَالْخُشُوعُ مِنْهُ بَعِيدٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَهَذِهِ ثِنْتَا عَشْرَةَ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْبَرَكَةِ تُعِينُكَ عَلَى إِتِمَامِ الْخُشُوعِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَالِ الْعَبْدِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ صَلَاحِ صَلَاتِهِ، الَّتِي تَتَقَرَّرُ بِهَا آخِرَتُهُ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُكَ عَلَى إِرْضَاءِ رَبِّكَ، وَإِصْلَاحِ آخِرَتِكَ، وَالتَّلَذُّذِ بِصَلَاتِكَ، وَذَهَابِ هُمُومِكَ وَغُمُومِكَ، هُوَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ.

وَلَقَدْ وَفَّقَ اللَّهُ ﷻ وَتَفَضَّلَ أَنْ جَمَعَنَا لَكَ هَذِهِ الْخِصَالِ قَاصِدِينَ بِذَلِكَ أَنْ يَرْضَى الْمَلِكُ عَنَّا، وَيُصْلِحَ صَلَاتَنَا، وَيَتَقَبَّلَ مِنَّا، وَيَجْعَلَ التَّوْفِيقَ حَلِيفِنَا، وَإِنْ كُنَّا لَا نَرَى أَنْفُسَنَا الْبَتَّةَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَلَا مِنْ فُرْسَانِ تِلْكَ الْمَسَالِكِ، إِلَّا أَنَّنَا نَأْمَلُ

بِعَظِيمِ كَرَمِ كَرِيمٍ، يَدُهُ سَحَاءٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَا تُغِيظُهُ نَفَقَةٌ وَلَا عَطَاءٌ، إِذِ الْمُعْوَلُ عَلَيْهِ فِي سَدْحِ النَّعْمَاءِ، عَلَى مَا فِينَا مِنْ مُوَهَّلَاتِ الشَّقَاءِ، فَإِنَّهُ تَقَرَّرَ فِي النَّفْسِ أَنَّ مَنْ أَعَانَ فِي شَيْءٍ يُحِبُّهُ الرَّبُّ، كَتَبَ لَهُ الْمَحَبَّةَ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ إِحْسَانِ الْخُشُوعِ وَإِتْمَامِهِ، فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَأْخُذَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِنَا إِلَيْهِ، وَتُوَفِّقَنَا لِمَا تُحِبُّهُ مِنَّا فِيهِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الْمَجْمُوعَةَ تَتَفَاوَتْ فِي تَأْثِيرِهَا وَوَقْعِهَا عَلَى الْقُلُوبِ، وَالْإِخْلَالُ بِهَا يَعُودُ عَلَيْكَ بِنُقْصَانِ الْخُشُوعِ بِقَدْرِ ذَلِكَ.

**أَوَّلًا:** أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ عَظَمَةَ الْبَارِي ﷻ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ مَا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

وَإِنَّ دَفْعَ الْوَسَاوِسِ الشَّاعِلَةِ وَالْخَوَاطِرِ الْقَاطِعَةِ لِصَلَاةِ الْعَبْدِ مَعَ رَبِّهِ فِي الصَّلَاةِ، لَا تَكُونُ إِلَّا بِقَطْعِ مَوَادِّهَا وَإِمْدَادِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَقْطَعُ مَوَادِّ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ، وَالْوَسَاوِسِ الشَّاعِلَةِ وَيُدْفَعُهَا وَيَصْرِفُهَا، أَنْ يَتَأَمَّلَ الْعَبْدُ وَيَتَفَكَّرَ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ صَاحِبِ الْعَظَمَةِ الَّتِي لَا تُضَاهَا وَلَا تُبَارَى، وَأَنَّهُ عَبْدٌ حَقِيرٌ مَمْلُوكٌ، لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِيَدَيِ سَيِّدِهِ الَّذِي يَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَذِهِ هِيَ مَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ مِمَّا فَسَّرَهَا الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ: «حَالَةُ لِلْقَلْبِ تَتَوَلَّدُ مِنْ مَعْرِفَتَيْنِ:

**إِحْدَاهُمَا:** مَعْرِفَةُ جَلَالِ اللَّهِ ﷻ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ، فَإِنْ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ عَظَمَتَهُ لَا تُدْعَنُ النَّفْسُ لِتَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَإِجْلَالِهِ.

**الثَّانِيَّة:** مَعْرِفَةُ حَقَارَةِ النَّفْسِ وَخَسَّتِهَا، وَكَوْنُهَا عَبْدًا مُسَخَّرًا مَرْبُوبًا، حَتَّى يَتَوَلَّدَ مِنَ الْمَعْرِفَتَيْنِ الْإِسْتِكَانَةُ، وَالْإِنْكِسَارُ، وَالْخُشُوعُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، فَيَعْبَرُ عَنْهُ بِالتَّعْظِيمِ، وَمَا لَمْ تَمْتَرِجْ مَعْرِفَةُ حَقَارَةِ النَّفْسِ بِمَعْرِفَةِ جَلَالِ اللَّهِ، لَا تَنْتَظِمُ حَالَةُ التَّعْظِيمِ وَالْخُشُوعِ.

فَالْهَيْبَةُ وَالْخَوْفُ حَالَةٌ لِلنَّفْسِ تَتَوَلَّدُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَسَطَوْتِهِ، وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ فِيهِ مَعَ قَلَّةِ الْمُبَالَاهِ بِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ أَهْلَكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مُلْكِهِ ذَرَّةٌ، هَذَا مَعَ مُطَالَعَةِ مَا يَجْرِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الدَّفْعِ عَلَى خِلَافِ مَا يُشَاهَدُ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى دَفْعِ الْبَلَاءِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: الرَّجَاءُ، فَإِنَّهُ زَائِدٌ عَلَى الْخَوْفِ، فَكَمْ مِنْ مُعْظَمٍ مَلِكًا يَهَابُهُ لِحَوْفِ سَطَوْتِهِ، كَمَا يَرْجُو بَرَّهُ، وَالْمُصَلِّي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا بِصَلَاتِهِ الثَّوَابَ، كَمَا يَخَافُ مِنْ تَقْصِيرِهِ الْعِقَابَ، وَبِالْجُمْلَةِ كُلَّمَا زَادَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ، زَادَتْ الْخَشْيَةُ وَالْهَيْبَةُ<sup>(1)</sup>، وَحَسُنَتِ الصَّلَاةُ وَصَلَحَتْ، وَتَوَلَّدَ الْحَيَاءُ الَّذِي لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ.

**ثَانِيًا:** التَّمَهُّلُ أَثْنَاءَ الْمَجِيءِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَالسَّيْرُ بَتُّوْدَةٍ وَسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ الْأُمَّةِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

(1) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي: 1/ 162.

«إِذَا نُوبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأَتُوهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ»<sup>(1)</sup>، فَلَا يَتَعَجَّلُ فِي مَشْيِهِ فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَنْهَبُ مِنْ خُشُوعِهِ، وَكَمَالِ أَجْرِهِ، وَهَذَا لَا يَتَنَافَى مَعَ سُرْعَةِ التَّلْبِيَةِ وَالتَّبْكِيرِ وَالتَّهَجِيرِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بَلْ هِيَ دَاعِيَةٌ لَهَا، وَمُشْجَعَةٌ عَلَيْهَا، قَالَ سُفْيَانُ **رَحْمَةُ اللَّهِ**، قَالَ رَجُلٌ: «مِنْ تَوْقِيرِ الصَّلَاةِ أَنْ تَأْتِيَ قَبْلَ الْإِقَامَةِ»<sup>(2)</sup>، وَالتَّهَيُّؤُ لِلْعِبَادَةِ بِالنَّوَافِلِ سَبَبٌ فِي الْأُنْسِ بِالْمَأْمُورِ، وَالتَّلَذُّذِ بِالْخُشُوعِ، قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «فِي تَقْدِيمِ النَّوَافِلِ عَلَى الْفَرَائِضِ مَعْنَى لَطِيفٌ مُنَاسِبٌ؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ لَانْشِغَالِهَا بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا تَكُونُ بَعِيدَةً عَنْ حَالَةِ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْحُضُورِ، الَّتِي هِيَ رُوحُ الْعِبَادَةِ، فَإِذَا قُدِّمَتِ النَّوَافِلُ عَلَى الْفَرَائِضِ أُنْسَتِ النُّفُوسُ بِالْعِبَادَةِ، وَتَكَيَّفَتْ بِحَالَةٍ تَقَرَّبُ مِنَ الْخُشُوعِ»<sup>(3)</sup>.

**ثَالِثًا:** حِفْظُ الْأَذْكَارِ الْمَعْهُودَةِ وَالْمَأْثُورَةِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَثْنَاءَ صَلَاتِهِ، طِيلَةَ حَيَاتِهِ، فَتَقَلَّبُ بَيْنَ أَلْوَانِهَا، وَتَتَمَيَّأُ ظِلَالُهَا، وَتَقْطِفُ مِنْ أَزْهَارِهَا، وَتَرْتَشِفُ مِنْ حَلَاوَتِهَا، فَتَتَرَوَّدُ مِنْ بَرَكَتِهَا، وَتَعْتَرِفُ مِنْ جَمِيلِ مَعْرِفَتِهَا، إِذْ إِنَّ الْحِفْظَ مَدْعَاةٌ لِحُضُورِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ تَشَتُّتِهِ، وَخُشُوعِهِ وَخُضُوعِهِ وَانْكِسَارِهِ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهِ، بَلْ قُلْ وَتَلَذُّذِهِ وَتَمَتُّعِهِ فِي صَلَاتِهِ؛ فَيَلْهَجُ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ بِمِثْلِ مَا لَهَجَ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 421، رقم: (602).

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 7 / 285.

(3) بلغة السالك لأقرب المسالك، للصاوي: 1 / 402.



بِهِ مُعَلِّمُ الْخَيْرِ رَسُولُ الْهُدَى ﷺ، وَيَقْتَفِي أَثَرَهُ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ، وَحَرَكَةً بِحَرَكَةٍ، وَكَلِمَةً بِكَلِمَةٍ، فَيَتَأَذَّنُ اللَّهَ - تَعَالَى - لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِالْبَرَكَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَمَا تَقِفُ عَلَيْهَا حَتَّى تُصِيبَ سَائِرَ الْعِبَادَاتِ، وَتُبَارِكَ لَهُ فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ.

**رَابِعًا:** تَدَبَّرِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْأَذْكَارَ الَّتِي تُذَكِّرُ وَتُقَالُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ

الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، فَإِذَا تَدَبَّرَ الْمُسْلِمُ مَا فِي الصَّلَاةِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ فِي ذِكْرِ أَذْكَارِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَذْكَارِ كَانَ ذَلِكَ أَوْعَى لِلْقَلْبِ، وَأَقْرَبُ لِلْخُشُوعِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لَتَدَبُّرِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو

الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ سَمَاعُهُ، يَكُونُ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ، وَمَا أُرِيدَ بِهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْشُرُوهُ كَنْشِرِ الدَّقْلِ، وَلَا تَهْذُوهُ كَهْذِ الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»<sup>(1)</sup>، وَنَحْنُ بِأَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى تَدَبُّرِ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، مِنَ الْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ، وَمَعْرِفَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ الْعَظِيمَةِ، وَالْحِكَمِ الْجَلِيلَةِ، وَأَنْ يَتَأَذَّبَ الْوَاحِدُ مِنَّْا مَعَ الْقُرْآنِ، وَيَسْتَحْضِرَ أَحَدُنَا فِي ذَهْنِهِ أَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّ الْعِزَّةِ **جَلَّ جَلَالُهُ**، وَيَتْلُو كِتَابَهُ، وَيُرَدِّدُ كَلَامَهُ، وَيَتَّبِعُ لِرِسَائِلِهِ، فَيَقْرَأُ، أَوْ يَسْمَعُهُ عَلَى حَالٍ مَنْ يَرَى اللَّهَ -

(1) مصنف ابن أبي شيبة: 2 / 256، رقم: (8733).

تَعَالَى -، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ **عَلَّمَ** يَرَاهُ»<sup>(1)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61]. وَفِي حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ** قَالَ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»<sup>(2)</sup>، فَيَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَوْ مُسْتَمِعِهِ، وَذَاكِرِ الْأَذْكَارِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا، أَنْ يَكُونَ شَأْنُهُ الْخُشُوعَ وَالتَّدَبُّرَ وَالْخُضُوعَ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْمَطْلُوبُ، وَبِهِ تَسْرُحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ، وَدَلَالُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، وَقَدْ بَاتَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَتْلُو الْوَاحِدَ مِنْهُمْ آيَةً وَاحِدَةً لَيْلَةً كَامِلَةً، أَوْ مُعْظَمَ لَيْلَةٍ يَتَدَبَّرُهَا»<sup>(3)</sup>.

**خَامِسًا:** تَفْرِيجُ الْقَلْبِ مِمَّا سِوَى اللَّهِ -تَعَالَى-: وَهَذَا يَكُونُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ؛ وَعَدَمِ الانْشِغَالِ بِغَيْرِهِ؛ مِنَ الْأَهْلِ، وَالْمَالِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالْمُلْهِيَاتِ، وَالْمُغْرِبَاتِ، وَالْوَسَاوِسِ، وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِهِ تَعَالَى، وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ شُعْبَةٌ مِنْ شِعَابِ قَلْبِكَ، يَتَجَادَبُونَهُ وَيَدْفَعُونَهُ لِيُوجِّهُوا نَاصِيَتَهُ إِلَيْهَا، وَيَزِيدَ فِي الْاهْتِمَامِ بِهَا، فَيَأْتِيهَا مِنْ كَلَالِبِ تَحْطِطُنَا عَنْ طَرِيقِ الْإِلَهِ، وَتَعَوَّقُ سَيْرَنَا فِي أَعَزِّ شَيْءٍ فُرِضَ عَلَيْنَا مِنْ دَعْوَةِ السَّمَاءِ، أَلَا وَهُوَ الصَّلَاةُ، وَإِنَّ مِمَّا يُعِينُ عَلَى

(1) انظر: الأذكار، للنووي: 1 / 196.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 203، رقم: (223).

(3) الأذكار، للنووي: 1 / 197، بتصرف.

الْخُشُوعُ فِيهَا «أَنْ يُفَرِّغَ الْعَبْدُ الْقَلْبَ مِنْ غَيْرِ مَا هُوَ مُلَابِسٌ لَهُ فِي عِبَادَةِ الصَّلَاةِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ الْهِمَّةُ، فَإِنَّهُ مَتَى أَهَمَّكَ أَمْرٌ حَضَرَ قَلْبَكَ ضَرُورَةً وَلَا بُدَّ، فَلَا عِلَاجَ لِإِحْضَارِهِ إِلَّا بِصَرْفِ الْهِمَّةِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَانْصِرَافِ الْهِمَّةِ يَكُونُ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ، وَاحْتِقَارِ الدُّنْيَا، وَالتَّجَافِي عَنْهَا»<sup>(1)</sup>، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا كَانَتِ الْآخِرَةُ فِي الْقَلْبِ جَاءَتِ الدُّنْيَا تَرْحَمُهَا، وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ لَمْ تَرْحَمِهَا الْآخِرَةُ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ كَرِيمَةٌ، وَالدُّنْيَا لَيْيَمَةٌ»<sup>(2)</sup>، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ لَا يَزَالُ دِينُكَ مُتَمَزِّقًا مَا دَامَ الْقَلْبُ بِحُبِّ الدُّنْيَا مُتَعَلِّقًا»<sup>(3)</sup>، وَمَا أَجْمَلَ وَصِيَّةَ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ، حَيْثُ قَالَ لَهُ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ كَلِمَةً هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: وَاللَّهِ لَئِنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْكَ إِخْرَاجَ الْأَدَمِيِّينَ مِنْ قَلْبِكَ، حَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِكَ مَكَانٌ لِغَيْرِهِ، لَمْ تَسْأَلْهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاكَ»<sup>(4)</sup>، وَلِهَذَا شُرِعَ أَنْ يُزِيلَ الْعَبْدُ كُلَّ مَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ آخِرَتَهُ، وَيَشْغَلُهُ فِي صَلَاتِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَمِثَالُ الظَّاهِرِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمُشَوِّشَاتِ مِثْلُ الزَّخَارِفِ وَالصُّوَرِ وَنَحْوِهَا، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي

(1) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي: 1 / 31، بتصرف.

(2) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 4 / 443.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 10 / 52.

(4) صفة الصفوة، لابن الجوزي: 2 / 546.

خَمِيصَةٍ<sup>(1)</sup> ذَاتِ أَعْلَامٍ، فَنَظَرَ إِلَى عِلْمِهَا، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «اذهَبُوا بِهِذِهِ  
الْخَمِيصَةِ إِلَى أَبِي جَهْمِ بْنِ حُدَيْفَةَ، وَاتُّنُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ<sup>(2)</sup>، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي أَنْفًا فِي  
صَلَاتِي»<sup>(3)</sup>.

وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ  
الْغَافِلِينَ﴾ [الْأَعْرَاف: 205]، وَإِنَّ حُضُورَ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ وَعَدَمَ الْغَفْلَةِ، هُوَ  
الْمَقْصُودُ الْأَسَاسُ فِي خُشُوعِ الصَّلَاةِ، الَّذِي يُثْمِرُ وَيُنْبِتُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ رَوْجًا بِهِيجًا،  
أَمَّا مَا يَفْعَلُهُ الْبَعْضُ مِنْ تَعَمُّدِ التَّفَكُّرِ فِي مَزْبَلَةِ الدُّنْيَا، وَالْإِنْصِرَافِ عَنِ الصَّلَاةِ،  
بِهَيْمَانِ الْقَلْبِ وَهَيْقَانِهِ بِالْفِكْرِ فِيهَا لِيُشْغَلَ نَفْسُهُ عَنْهَا، فَهَذَا هُوَ سُكْرٌ يُغْطِي الْعُقُولَ،

(1) خميصه لها أعلام: كساء مربع مخطط بألوان مختلفة. وقال ابن الأثير: هي ثوب خزر أو  
صوف معلم. وقيل: الْخَمِيصَةُ: كِسَاءٌ أَسْوَدُ لَهُ عِلْمَانِ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعْلَمًا، فَلَيْسَ بِخَمِيصَةٍ.  
انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض: 1 / 240. غريب الحديث، لابن  
الجوزي: 1 / 308، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن أثير: 1 / 73، ومجمع بحار  
الأنوار، للفتني: 1 / 107.

(2) الْأَنْبِجَانِيَّةُ: كساء غليظ، ليس له أعلام، وهي بفتح الهمزة وسكون النون، وكسر الباء  
الموحدة، وبعد الألف نون مكسورة، بعدها ياء مشددة، ثم تاء التانيث. منسوبة إلى بلد تسمى  
أنبجان. وقد وردت هذه الكلمة بفتح الباء وهي نسبة على غير قياس إلى منبج البلد المعروف  
في بلاد الشام. ومثلها منبجاني. وهي كساء من الصوف له حمل وليس له علم وتعد من أدون  
الثياب الغليظة. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 13 / 38.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 1 / 84، رقم: (373)، ومسلم: 1 / 391، رقم: (556).

فَلَا تَفْهَمُ وَلَا تَتَّبِعُ بِخَيْرِ الصَّلَاةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا دَامَتْ لَا تُجَاهِدُ خَطَرَاتِ الدُّنْيَا الْمُسْكِرَةِ، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43] قِيلَ: سُكَارَى مِنْ كَثْرَةِ الْهَمِّ، وَقِيلَ: مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، وَقَالَ وَهْبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُرَادُ بِهِ ظَاهِرُهُ، فَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى سُكْرِ الدُّنْيَا؛ إِذْ بَيَّنَّ فِيهِ الْعِلَّةَ، فَقَالَ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ، وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ لَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ<sup>(1)</sup>، أَسْكَرَتْهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا عَنْ تَدَبُّرِهَا وَالْحُضُورِ فِيهَا، «فَمَا رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا لَزِمَهُ عَيْبُ الْقُلُوبِ، وَلَا مَكْنَ الدُّنْيَا مِنْ نَفْسِهِ أَحَدٌ، إِلَّا وَقَعَ فِي بَحْرِ الذُّنُوبِ»<sup>(2)</sup>، وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ كَمَا يَنْظُرُ الْمَرِيضُ إِلَى طَيِّبِ الطَّعَامِ؛ فَلَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجَعِ، كَذَلِكَ صَاحِبُ الدُّنْيَا لَا يَلْتَذُّ الْعِبَادَةَ، وَلَا يَجِدُ حَلَاوَتَهَا مَعَ مَا يَجِدُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، وَبِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الدَّابَّةَ إِذَا لَمْ تُرْكَبْ وَتُمْتَهَنَ تَعْصَبَتْ وَتَغَيَّرَ خُلُقُهَا، كَذَلِكَ الْقُلُوبُ إِذَا لَمْ تُرَفَّقْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَيَنْصَبُهَا دَأْبُ الْعِبَادَةِ، تَقْسُو وَتَغْلُظُ»<sup>(3)</sup>.

لِهَذَا كَانَتْ وَصِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ بِالْقُلُوبِ، إِذْ هِيَ مُرَادُ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْعِبَادِ، فَإِذَا انْغَمَسَتْ الْقُلُوبُ فِي الدُّنْيَا قَسَتْ وَيَسَّتْ، وَهَذَا سَبَبُ

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي: 1 / 150، وبهجة المحافل، وبغية الأمان، للعامري: 2 /

303.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم: 10 / 52.

(3) موسوعة ابن أبي الدنيا: 5 / 521.

الشَّقَاوَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَتَّى تَصْفُو الْقُلُوبُ وَتَنْتَهِيَ لِنَيْلِ الْفَلَاحِ الْعَظِيمِ، وَالْفُوزِ الْكَبِيرِ، كَانَ لِرِزَامًا أَنْ تَفْرُغَ مِنْ أَوَاهِقِ الْأَرْضِ وَجَادِبِيَّتِهَا، فَهِيَ مَحَلٌّ تَلْقَى الْوَحْيَ، وَمَنْ أَرَادَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْوَحْيِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَفْرِيعِ الْقَلْبِ مِنْ ضِدِّهِ؛ لِأَنَّ إِصْغَاءَ الْقَلْبِ مِثْلَ إِصْغَاءِ الْأُذُنِ، فَإِذَا أَصْغَى إِلَى غَيْرِ حَدِيثِ اللَّهِ، لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِصْغَاءٌ وَلَا فَهْمٌ لِحَدِيثِهِ، وَإِذَا امْتَلَأَ بِالشُّبْهِ وَالشُّكُوكِ، وَالْمُضْحِكَاتِ، وَالْمُلْهِيَّاتِ مِنَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا الَّتِي تُصَدُّ عَنِ الْوَحْيِ، جَاءَتْهُ حَقَائِقُ الْقُرْآنِ فَلَمْ تَجِدْ فِيهِ فَرَاغًا لَهَا، فَتَعَدَّتْهُ وَجَاوَزَتْهُ إِلَى مَحَلِّ سِوَاهُ..<sup>(1)</sup>، قَالَ ابْنُ جَهْضَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي مَجْلِسِهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ أَوْ تِمْنَالٌ<sup>(2)</sup>، فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ لَا يَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ أَوْ تِمْنَالٌ فَكَيْفَ تَدْخُلُ شَوَاهِدُ الْحَقِّ قَلْبًا فِيهِ أَوْصَافُ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ»<sup>(3)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»<sup>(4)</sup> إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ الْمَخْلُوقُونَ يَمْنَعُهَا الْكَلْبُ وَالصُّورَةُ عَنْ دُخُولِ الْبَيْتِ، فَكَيْفَ تَلْبِغُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ ﷻ، وَمَحَبَّتَهُ وَحَلَاوَهُ

(1) انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية: 30 / 1.

(2) أخرجه أبو داود في سننه: 4 / 73، رقم: (4153)، وفي لفظه كلب بدل صورة، وصححه الألباني.

(3) ذم الهوى، لابن الجوزي: 80 / 1.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه: 4 / 130، رقم: (3322)، ومسلم: 3 / 1665، رقم:

ذِكْرِهِ، وَالْأَنْسُ بِقُرْبِهِ، فِي قَلْبٍ مُّتَمَلِّئٍ بِكِلَابِ الشَّهَوَاتِ وَصُورِهَا؟»<sup>(1)</sup>، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ إِذَا أَطْلَعَ عَلَى قَلْبٍ فَوَجَدَهُ مُتَفَرِّغًا لَهُ، وَمُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ، أَسْلَكَ لَهُ الطَّرِيقَ وَذَلَّلَهَا لَهُ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ مَلَكًا يُحَرِّضُهُ عَلَى الْخَيْرِ وَيَأْزُهُ عَلَى الْبَرِّ، «فَالَأَمْرُ كُلُّهُ دَائِرٌ عَلَى تَفْرِيعِ الْقَلْبِ وَجَمْعِ الْهَمَّةِ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتِفْرَاحِ الْوُسْعِ بِغَايَةِ النَّصِيحَةِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ، بَعْدَ تَكْمِيلِ الْفَرَائِضِ، فَلَا تُطَوَّلُ وَلَا يُطَوَّلُ عَلَيْكَ»<sup>(2)</sup>.

فَالْعَبْدُ الصَّادِقُ فِي عُبُودِيَّتِهِ لِرَبِّهِ، يُقْبَلُ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِ قَلْبِهِ «وَيُصَلِّي مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، صَلَاةَ مُحِبٍّ نَاصِحٍ لِمَحْبُوبِهِ، مُتَذَلِّلٍ مُنْكَسِرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَا صَلَاةَ مُدْبِلٍ بِهَا عَلَيْهِ، يَرَى مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ مَحْبُوبِهِ عَلَيْهِ أَنَّ أَقَامَهُ وَأَنَامَ غَيْرُهُ، وَاسْتَزَارَهُ وَطَرَدَ غَيْرُهُ، وَأَهْلَهُ وَحَرَّمَ غَيْرُهُ، فَهُوَ يَزْدَادُ بِذَلِكَ مَحَبَّةً إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَيَرَى أَنَّ قُرَّةَ عَيْنِهِ، وَحَيَاةَ قَلْبِهِ، وَجَنَّةَ رُوحِهِ، وَنَعِيمِهِ، وَلَذَّتِهِ، وَسُرُورِهِ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ، فَهُوَ يَتَمَنَّى طُولَهَا وَيَهْتَمُّ وَيَحْزَنُ بِانْتِهَائِهَا، كَمَا يَتَمَنَّى الْمُحِبُّ الْفَائِزُ بِوُصُولِ مَحْبُوبِهِ ذَلِكَ، فَهُوَ يَتَمَلَّقُ فِيهَا مَوْلَاهُ الْعَزِيزَ الرَّحِيمَ تَمَلَّقَ الْمُحِبُّ لِمَحْبُوبِهِ، وَيُنَاجِيهِ بِكَلَامِهِ مُعْطِيًا لِكُلِّ آيَةٍ حَظَّهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، فَتَجَذِبُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ إِلَيْهِ آيَاتُ الْمَحَبَّةِ وَالْوِدَادِ، وَالْآيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، وَالْآيَاتُ الَّتِي تَعَرَّفَ بِهَا إِلَى عِبَادِهِ بِالْآيَةِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، فَتُطِيبُ لَهُ السَّيْرَ آيَاتُ الرَّجَاءِ وَالرَّحْمَةِ وَسِعَةِ الْبَرِّ وَالْمَغْفِرَةِ، وَتَكُونُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْحَادِي الَّذِي يُطِيبُ لَهُ السَّيْرَ وَيَهْوُونُهُ عَلَيْهِ، وَتُقَلِّقُهُ

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 2 / 391.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 3 / 229.

آيَاتِ الْخَوْفِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْتِقَامِ وَإِحْلَالِ غَضَبِهِ بِالْمُعْرِضِينَ عَنْهُ، الْعَادِلِينَ بِهِ غَيْرُهُ، الْمَائِلِينَ إِلَى سِوَاهُ، فَيَجْمَعُهُ عَلَيْهِ، وَيَمْنَعُهُ أَنْ يُشْرِدَ قَلْبُهُ عَنْهُ»<sup>(1)</sup>، فَالْقَلْبُ إِذَا خَلَا مِنْ الْاهْتِمَامِ بِالْدُّنْيَا، وَتَعَلَّقَ بِالْآخِرَةِ، وَتَاهَبَ لِلْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَتَهَيَّأَ لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ عَلَى اللَّهِ، فَذَلِكَ أَوَّلُ فُتُوحِهِ، وَتَبَاشِيرِ فَجْرِهِ وَنَصْرِهِ»<sup>(2)</sup>.

**سَادِسًا:** أَنْ يَنْظُرَ الْمُسْلِمُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ وَلَا يَلْتَفِتَ فِي صَلَاتِهِ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ أَنْصَرَفَ عَنْهُ»<sup>(3)</sup>، وَجَعَلَ النَّظَرَ مَوْضِعَ السُّجُودِ، مِنْ أَسْبَابِ خُشُوعِ الْقَلْبِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: «خُشُوعُ الْقَلْبِ قَيْدُ الْعُيُونِ عَنِ النَّظَرِ»<sup>(4)</sup>، وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قَالَ: «كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخَفَضُوا لِذَلِكَ الْجَنَاحَ»<sup>(5)</sup>، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتین، لابن قیم الجوزية: 210-211.

(2) انظر: مدارج السالکین بین منازل إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، لابن قیم الجوزية: 3/352.

(3) أخرجه أحمد: 35/400، رقم: (21508)، وأبو داود: 1/239، رقم: (909)،

والنسائي: 1/286، رقم: (532)، والحاكم: 1/361، رقم: (862)، وصححه، وقال

الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(4) الرسالة القشيرية، للقشيري: 1/276.

(5) الزهد، لابن المبارك: 1/55، وتفسير ابن كثير: 10/107.



«الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَجْعَلَ نَظْرَهُ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ»<sup>(1)</sup>، «فَالنَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ أَسْلَمٌ وَأَحْرَى أَنْ لَا يَلْتَهُوَ الْمُصَلِّي بِالنَّظَرِ إِلَى مَا يَشْغُلُهُ عَنْ صَلَاتِهِ، وَهَذَا قَوْلُ عَوَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ»<sup>(2)</sup>.

**سابعاً:** ذَكَرَ الْمَوْتِ مِنْ أَنْفَعِ مَا يَسْتَدْعِي الْخُشُوعَ وَيَسْتَجْلِبُهُ، وَذَكَرَ الْمَوْتَ وَسَكْرَتِهِ، وَالْقَبْرِ وَضَغَطَتِهِ، وَالْحِسَابِ وَشِدَّتِهِ، وَالصَّرَاطِ وَزَلَّتِهِ، وَالْجَبَّارِ وَسُؤَالِهِ وَهَيْبَتِهِ، كُلُّ ذَلِكَ يَكْسِرُ الْقَلْبَ وَيُخَشِّعُهُ، وَأَعْظَمُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُكَ عَلَى الْخُشُوعِ سَبَبُ أَشَارِ اللَّهِ ﷻ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ \* الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ [البقرة: 45-46] فَنَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كَثْرَةَ تَذْكَارِ الْمَوْتِ، وَالرُّجُوعِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، أَعْظَمُ مُعِينٍ عَلَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ تُحَسِّنَ صَلَاتَهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ وَالْعِلَاجَاتِ الَّتِي لَا يَخِيبُ ذَاكِرُهَا...

وَذَكَرَ الْمَوْتَ دَوَاءٌ نَافِعٌ لِكُلِّ دَاءٍ، وَهُوَ شِفَاءٌ لِكُلِّ الرُّؤُوسِ الْمَرِيضَةِ، وَالْقُلُوبِ الْعَلِيلَةِ، وَالنُّفُوسِ السَّقِيمَةِ، فَبِمَاذَا يَفْرَحُ مَنْ يَتَّقِنُ بَقْرَبِ الْمَوْتِ وَدُئُوهُ، وَيَنْتَظِرُ كُلَّ حِينٍ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ؛ فَيَنْقُلَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ إِلَى الْقُبُورِ وَالظُّلُمَاتِ وَشِدَّةِ السُّؤَالِ؟، وَإِنَّ مَنْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ، وَالسَّيْفُ فَوْقَ رَأْسِهِ، أَوْ حَبْلُ الْمَشْنَقَةِ يُطَوَّقُ عُنُقَهُ؛ يَغِيبُ عَنْهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا الْإِعْتِذَارُ

(1) المغني، لابن قدامة: 2 / 7.

(2) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، للنيسابوري: 3 / 273.

والتَّوَسُّلَ وَالرَّجَاءَ، وَالتَّعَلُّقَ بِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَمَا هَذَا بِأَمِنْ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ عَاقِلٍ يَنْتَظِرُ طُرُوقَ الْمَوْتِ كُلِّ لَحْظَةٍ؛ لِذَلِكَ كَانَتْ الْوَصِيَّةُ بِهِ، عِنْدَ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَرْجَى أَعْمَالِ الْعَبْدِ، وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ؛ لَحَرِيٌّ أَنْ يُحَسِّنَ صَلَاتَهُ، وَصَلَّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةً غَيْرَهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ» <sup>(1)</sup>؛ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: عَظَنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودِّعٍ» <sup>(2)</sup>، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ؛ أَخْلَصَهَا، وَأَتَقَنَهَا، وَأَحْسَنَ خُشُوعَهَا، وَهِيَ دَوَاءٌ لِكُلِّ عِبَادَةٍ يُرَادُ لَهَا الْإِخْلَاصُ، وَالْخُشُوعُ، وَالِاتِّقَانُ: لِلصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالتَّلَاوَةِ، وَالْوَعْظِ، وَالِدَّعْوَةِ... فَأَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ وَمَجْلِسٍ وَجَمَاعَةٍ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَاسْتِعْدَادًا لَهُ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ

(1) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير: 1 / 1319، رقم: (985)، وحسنه الألباني.

(2) أخرجه أحمد: 38 / 484، رقم: (23498)، وابن ماجه: 2 / 1396، رقم: (4171)،

والطبراني: 6 / 44، رقم: (5459)، وقال الحافظ في الإصابة (3 / 70): رجاله ثقات، وقال

المحقق السندي: لكن كون الحديث من أوجز الكلمات وأجمعها للحكمة يدل على قرب

للثبوت فليتأمل، وحسن الحديث الهيثمي وصححه السيوطي، والألباني وقال: هو في حكم

المرفوع كما هو ظاهر.

خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ <sup>(1)</sup>؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ» <sup>(2)</sup>، <sup>(3)</sup>.

قَالَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْمَوْتُ خَطَرٌ هَائِلٌ، وَخَطْبٌ عَظِيمٌ، وَغَفْلَةٌ النَّاسِ عَنْهُ أَعْظَمُ، لِقَلَّةِ فِكْرِهِمْ فِيهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْهُمْ لَا يَذْكُرُهُ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ خَاشِعٍ، بَلْ يَذْكُرُهُ بِشُغْلِ الشَّهَوَاتِ، فَلَا يَنْجِعُ ذِكْرُهُ فِيهِ، فَالطَّرِيقُ أَنْ يُفْرَغَ قَلْبُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا ذِكْرَ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَانْجِعْ طَرِيقَ فِيهِ أَنْ يُكْثِرَ ذِكْرَ أَشْكَالِهِ وَأَقْرَانِهِ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُ، فَيَتَذَكَّرُ مَوْتَهُمْ، وَمَصَارِعَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ، وَيَتَذَكَّرُ صُورَهُمْ فِي مَنَاصِبِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَيَتَأَمَّلُ كَيْفَ مَحَا التُّرَابِ الْآنَ حُسْنَ صُورِهِمْ، وَكَيْفَ تَبَدَّدَتْ أَجْزَاؤُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ، وَكَيْفَ أَرْمَلُوا نِسَاءَهُمْ وَأَيَّمُوا أَوْلَادَهُمْ، وَضَيَّعُوا أَمْوَالَهُمْ، وَخَلَّتْ مِنْهُمْ مَسَاجِدُهُمْ وَمَجَالِسُهُمْ وَانْقَطَعَتْ آثَارُهُمْ، فَمَهْمَا تَذَكَّرَ رَجُلٌ رَجُلًا، وَفَصَّلَ فِي قَلْبِهِ حَالَهُ وَكَيْفِيَّةَ مَوْتِهِ، وَتَوَهَّمَ صُورَتَهُ، وَتَذَكَّرَ نَشَاطَهُ وَتَرَدُّدَهُ، وَتَأَمَّلَهُ لِلْعَيْشِ وَالْبَقَاءِ، وَنَسِيَانِهِ لِلْمَوْتِ وَانْخِدَاعِهِ بِمَوَاتَةِ الْأَسْبَابِ، وَرُكُونِهِ إِلَى الْقُوَّةِ وَالسَّبَابِ، وَمِيلِهِ إِلَى الضَّحِكِ وَاللَّهْوِ، وَغَفْلَتِهِ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ الذَّرِيرِ، وَالْهَلَاكِ السَّرِيعِ، وَأَنَّهُ كَيْفَ كَانَ يَتَرَدَّدُ وَالْآنَ قَدْ تَهَدَّمَتْ رِجْلَاهُ وَمَفَاصِلُهُ، وَأَنَّهُ كَيْفَ كَانَ يَنْطِقُ وَقَدْ أَكَلَ الدُّودُ لِسَانَهُ، وَكَيْفَ كَانَ يَضْحَكُ وَقَدْ

(1) الْكَيْسُ: الْعَاقِلُ الْفَطِنُ. وَالْكَيْسُ: الْعَقْلُ، انظر: الزَّاهِر، لِلْأَنْبَارِيِّ: 1 / 111.

(2) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سَنَنِهِ: 2 / 1423، رَقْمٌ: (4259)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(3) كِتَابُ الْإِخْلَاصِ أَوَّلًا، الدَّاءُ وَالذَّوَاءُ، لَشَيْخِنَا زَكَرِيَا شِحَادَةُ حَفْظِهِ اللَّهِ: بِتَصَرُّفٍ.

أَكَلَ التُّرَابُ أَسْنَانَهُ، وَكَيْفَ كَانَ يُدَبِّرُ لِنَفْسِهِ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا عَشْرَ سِنِينَ فِي وَقْتٍ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا شَهْرٌ، وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا يُرَادُّ بِهِ، حَتَّى جَاءَهُ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَمْ يَحْتَسِبْهُ؛ فَاِنْكَشَفَ لَهُ صُورَةُ الْمَلِكِ، وَقَرَعَ سَمْعُهُ النَّدَاءَ إِمَّا بِالْجَنَّةِ أَوْ بِالنَّارِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْظُرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مِثْلَهُمْ، وَغَفَلْتُهُ كَغَفَلَتِهِمْ، وَسَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ كَعَاقِبَتِهِمْ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «إِذَا ذَكَرْتَ الْمَوْتَ فَعُدْ نَفْسَكَ كَأَحَدِهِمْ» <sup>(1)</sup>، وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ الْعَبْدُ أَنَّهُ إِلَى اللَّهِ صَائِرٌ، وَأَنَّهُ مَعْمُورٌ بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَفَائِرِ، وَإِنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ أَمْرُهُ عَجِيبٌ، وَشَأْنُهُ عَظِيمٌ فِي إِصْلَاحِ الصَّلَاةِ، فَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْمَنَازِلِ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا الَّتِي خَرَقَ مِنْ أَجْلِهَا صَلَاتَهُ، وَأَفْسَدَ آخِرَتَهُ.

**ثَامِنًا:** أَنْ يَهَيِّئَ الْمُصَلِّي نَفْسَهُ، فَلَا يُصَلِّي وَهُوَ حَاقِنٌ، وَلَا بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، قَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدْفِعُهُ الْأَخْبَتَانِ» <sup>(2)</sup>، قَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيِّ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «بَلَّغْنَا أَنَّ إِبْلِيسَ ظَهَرَ لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَأَى عَلَيْهِ مَعَالِيقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الَّتِي أَرَاهَا عَلَيْكَ؟» قَالَ: هَذِهِ الشَّهَوَاتُ، أَصِيدُ بِهَا بَنِي آدَمَ، قَالَ لَهُ: «لِي فِيهَا شَيْءٌ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُصِيبُ مِنِّي مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَ: رُبَّمَا شَبِعْتَ فَتَقُلْتَ عَنِ الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ قَالَ: «غَيْرُ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «لَا جَرَمَ لَا أَشْبَعُ أَبَدًا» <sup>(3)</sup>.

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي: 4 / 452، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة: 1 / 384.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 393، رقم: (560).

(3) اعتلال القلوب، للخرائطي: 1 / 39.

**تَاسِعًا:** مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ عَلَى الْخُشُوعِ، وَمُلازِمَتِهِ وَمُرَاطَبَتِهِ، فَالْخُشُوعُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ أَنْفُسَهُمْ فِيهِ، بِهِدَايَةِ السَّبِيلِ، وَالْمَعِيَّةِ وَالْمَعُونَةِ لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، فَعَنِ الرَّبِّيعِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ قَالَ: «لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ عَبْدٌ أَطَاعَ رَبَّهُ تَعَالَى، وَدَعَا إِلَيْهِ، وَنَهَى عَنْهُ، إِلَّا وَإِنَّهُ قَدْ جَاهَدَ فِي اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(1)</sup>، وَقَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُجَاهَدَةُ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَاتِ»، وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى»، وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْعَمَلِ بِهِ»، وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ السُّنَّةِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْجَنَّةِ». وَرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَاعَتِنَا؛ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ ثَوَابِنَا»، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ، بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ فِي دُنْيَاهُمْ، وَبِالثَّوَابِ وَالْمَغْفَرَةِ فِي عُقْبَاهُمْ»<sup>(2)</sup>.

(1) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: 9 / 3084.

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: 6 / 256.

وإنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى: جِهَادُ النَّفْسِ وَالْهَوَى فِي تَحْقِيقِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ؛ فَعَنْ فَصَالَةَ بِنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ» <sup>(1)</sup>.

وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ الصَّادِقُ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ فِي صَلَاتِهِ؛ فَيَخْشَعُ فِيهَا قَلْبًا وَقَالِبًا، حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِي عِلِّيِّينَ، وَيُظْفَرُ بِمَنَازِلِ الْقُرْبِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيَتَبَوَّأُ عِنْدَ اللَّهِ -تَعَالَى- أَشْرَفَ الْمَوَاقِعِ مِنَ الصَّدِّيقِينَ، قَالَ ابْنُ قِيَمٍ الْجَوْزِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَنْ تَعَبَّدَ اللَّهُ بِمُرَاعِمَةٍ <sup>(2)</sup> الشَّيْطَانِ؛ فَقَدْ أَخَذَ مِنَ الصَّدِّيقِيَّةِ بِسَهْمٍ وَافِرٍ، وَعَلَى قَدَرٍ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ وَمَوَالَاتِهِ وَمُعَادَاتِهِ لِعَدُوِّهِ؛ يَكُونُ نَصِيبُهُ مِنْ هَذِهِ الْمُرَاعِمَةِ، وَهَذَا بَابٌ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَلَدَّتْهُ؛ بَكَى عَلَى أَيَّامِهِ الْأَوَّلِ» <sup>(3)</sup>، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُرَاعِمَةِ وَلِيِّهِ لِعَدُوِّهِ وَإِغَاظَتِهِ لَهُ، وَقَدْ أَشَارَ -سُبْحَانَهُ- إِلَى هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ؛ أَحَدُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النِّسَاء: 100]،

(1) أخرجه الترمذي: 165/4، رقم: (1621)، وابن حبان: 484/10، رقم: (4624)،

وصحَّحه الألباني

(2) الْمُرَاعِمَةُ: الْمُنَازَعَةُ وَالْمُعَالَبَةُ وَالْمُصَارَعَةُ، وَأَصْلُهَا مِنَ الرِّغَامِ: وَهُوَ رَمْلٌ مُخْتَلِطٌ بِتُرَابٍ، وَمِنْهُ يُقَالُ: أَرَعَمْتُهُ، أَيُّ: أَهَنْتُهُ وَأَلَزَقْتُهُ بِالتُّرَابِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا إِرْغَامُ الشَّيْطَانِ وَمُعَالَبَتُهُ وَإِهَانَتُهُ وَغَلَبَتُهُ فِي كُلِّ مَا يُرِيدُ، انظر: لسان العرب، لابن منظور: 247/12، والتوقيف على مهمات

التعاريف، للمناوي: 179/1.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: 241/1.

سُمِّيَ الْمُهَاجِرُ الَّذِي يُهَاجِرُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مُرَاعِمًا يُرَاعِمُ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَنْ وَلِيَهُ مُرَاعِمَةً عَدُوَّهُ وَإِعَازَتَهُ» (1).

عَنْ فُضَّالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ» (2).

فَلْيَهْنَأْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- الْمُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ، الَّذِي يَلْتَمِسُ بِذَلِكَ مَرْضَاةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ، حَتَّى يُصْبِحَ وَيُمْسِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ تُحِيطُهُ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِ، فَنَفِي الْحَدِيثِ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَلَا يَزَالُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ لَجَبْرِيْلُ: إِنَّ فَلَانًا عَبْدِي يَلْتَمِسُ أَنْ يُرَضِّيَنِي، أَلَا وَإِنَّ رَحْمَتِي عَلَيْهِ، فَيَقُولُ جَبْرِيْلُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى فَلَانٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا مَنْ حَوْلَهُمْ، حَتَّى يَقُولُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ تُهْبِطُ لَهُ إِلَى الْأَرْضِ» (3).

وَمَعَ الْاسْتِمْرَارِ وَالْمُجَاهَدَةِ يَسْهُلُ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ، وَيُعِينُ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ فِي الْخُشُوعِ وَحَمْلِهَا عَلَيْهِ، عِلْمُ الْعَبْدِ وَتَذَكُّرُهُ أَنَّ خَيْرَ ذُخْرِ لَهُ فِي الْبَرَزَخِ يَوْمَ يَكُونُ أَسِيرَ قَبْرِهِ، وَطَرِيقَ حُفْرَتِهِ، هُوَ خُشُوعُهُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ فِي الصَّلَاةِ، فَالْبِدَارِ الْبِدَارَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَعْمَارِ، عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «يَتَوَسَّدُ الْمُؤْمِنُ مَا قَدَّمَ مِنَ

(1) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، لِابْنِ الْقَيِّمِ الْجَوْزِيِّ: 1 / 226.

(2) أَخْرَجَهُ ابْنُ جِبَانَ: 11 / 204، رَقْمٌ: (4862)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَشُعَيْبُ الْأَزْزَاوُطُ.

(3) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ: 37 / 87، رَقْمٌ: (22401)، وَحَسَنَهُ شُعَيْبُ الْأَزْزَاوُطُ.

عَمَلِهِ فِي قَبْرِهِ، إِنَّ خَيْرًا فَخِيرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، فَاعْتَنِمُوا الْمُبَادَرَةَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي الْمُهْلَةِ»<sup>(1)</sup>، وَالْحَدِيثُ فِي الْمُجَاهَدَةِ يَطُولُ.

ذَكَرَ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ مَرَاتِبَ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الثَّلَاثِ: «أَنَّهُ حَافِظٌ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَجَاهِدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ، فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ؛ لِئَلَّا يَسْرِقَ صَلَاتَهُ، وَهُوَ فِي صَلَاةٍ وَجْهَادٍ...، قَالَ: وَالثَّلَاثُ مُكَمَّرٌ عَنْهُ»<sup>(2)</sup>.

عَاشِرًا: اسْتِحْضَارُ الثَّوَابِ الْمُتَرْتَّبِ عَلَى الْخُشُوعِ، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَخْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ»<sup>(3)</sup>.

الْحَادِي عَشَرَ: شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شُكْرَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- عَلَى الْخُشُوعِ قِمٌّ<sup>(4)</sup> بِتَشْيِيتِ نِعْمَةِ الْخُشُوعِ وَزِيَادَتِهَا، فَإِنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ تُعَدُّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى عِبَادِهِ، وَنِعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ وَتُحْصَى، بَلْ هِيَ مُتَتَابِعَةٌ، بِتَتَابُعِ اللَّيْلِ

(1) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي: 1 / 97.

(2) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1 / 23.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه: 1 / 206، رقم: (228).

(4) قِيمٌ أَيُّ: خَلِيقٌ، وَحَقِيقٌ، وَحَرِيٌّ، وَجَدِيدٌ، انظر: غريب الحديث، للحري: 2 / 459،



وَالنَّهَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ﴾ [النحل: 53]، لِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُرِيدُ مِنَّا التَّأَمُّلَ فِي هَذِهِ النِّعَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُفْكُونَ﴾ [فاطر: 3]. وَمِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ النِّعَمِ نِعْمَةُ الْهِدَايَةِ لِهَذَا الدِّينِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمُرَادِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وَقَالَ تَعَالَى: ... ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: 43]. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْعَبْدُ دَائِمًا بَيْنَ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ تَحْتَاجُ إِلَى شُكْرِ، وَذَنْبٍ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِغْفَارٍ، وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ اللَّازِمَةِ لِلْعَبْدِ دَائِمًا، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِ اللَّهِ وَآلَائِهِ. إِلَى آخِرِ مَا قَالَ..»<sup>(1)</sup>.

وَهَذِهِ النِّعَمُ بِلَا شَكٍّ تَحْتَاجُ إِلَى شُكْرٍ وَعَلَى رَأْسِهَا نِعْمَةُ الْخُشُوعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بَعْدَمَا يُذَكِّرُهُ بِنِعْمِهِ:

(1) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لابن تيمية: 1 / 79.

أَفْظَنْتَ أَنْكَ مُلَاقِيٍّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»<sup>(1)</sup>، فَيُزِلُّ الْعَبْدُ نَفْسَهُ الشُّكْرَ فَيَعْظُمُ بِذَلِكَ اغْتِبَاطُهُ فِي مَعَادِهِ، وَشُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ بِالْقَلْبِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12]، وَقَالَ أَيُّضًا: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، فَاسْتَمَرَّارُ هَذِهِ النِّعَمِ بِالشُّكْرِ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ، وَذَهَابُهَا بِالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَهَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112]. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَقَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا \*\*\* فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ  
وَحُطُّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ \*\*\* فَرُبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ

الثَّانِي عَشَرَ: الدُّعَاءُ: لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْخَلْقَ يَوْمَ خَلَقَهُمْ، مَا تَرَكَهُمْ هَمَلًا مِنْ غَيْرِ دِلَالَةٍ عَلَى طَرِيقِهِ، وَقَوَامَةٍ دِينِهِ، بَلْ دَلَّهُمْ عَلَى سَبِيلِ هِدَايَتِهِ، وَأَسْلَكَ لَهُمْ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 2279، رقم: (2968).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: 6 / 135، رقم: (4836)، ومسلم: 4 / 2172، رقم:

(2820)، واللفظ له.

الطُّرُقَ الَّتِي تُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ، وَمِنْ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ الْعَظِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ الدُّعَاءُ؛ فَهُوَ مِنْ أَجَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُسْلِمُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِمَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الاعْتِرَافِ بِعَظَمَةِ الْبَارِي وَقُوَّتِهِ، وَغِنَاهُ وَقُدْرَتِهِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَذَلُّلِ الْعَبْدِ، وَانْكِسَارِهِ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الدُّعَاءِ» <sup>(1)</sup>، وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ» <sup>(2)</sup>، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَأْمُورٌ بِهِ، إِذَا أَتَى بِهِ الْمُكَلَّفُ قَبْلَ مِنْهُ لَا مَحَالَةَ، وَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ، وَتَرْتَّبَ الْجَزَاءُ عَلَى الشَّرْطِ، وَالْمُسَبَّبُ عَلَى السَّبَبِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَتَمِّهَا، وَأَكْمَلِهَا <sup>(3)</sup>، وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ» <sup>(4)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءُ» <sup>(5)</sup>، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

(1) أخرجه أحمد: 14 / 360، رقم: (8748)، ابن ماجه: 2 / 1258، رقم: (3829)

وصححه الألباني، وحسنه الأرناؤوط.

(2) أخرجه الشافعي في كتاب الفوائد «الغيلانيات»: 1 / 632، رقم: (845)، والحاكم في

المستدرک: 1 / 667، رقم: (1805)، وقال: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

(3) فيض القدير، للمناوي: 2 / 44.

(4) أخرجه الترمذي: 4 / 448، رقم: (2139) وحسنه، ورواه الطبراني: 6 / 251، رقم:

(6128)، وصححه ابن حبان، وحسنه الألباني.

(5) أخرجه أحمد: 37 / 111، رقم: (22438)، وابن ماجه: 1 / 35، رقم: (90)، وابن

حبان: 3 / 153، رقم: (872)، وحسنه الألباني، والأرناؤوط شعيب، وعبد القادر.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالْدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ، فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ<sup>(1)</sup> إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(2)</sup>، فَلْيَكْثِرِ الْعَبْدُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ بِشَكْلِ عَامٍّ، وَيَسْتَكْثِرْ مِنْ دُعَاءِ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَهُ الْخُشُوعَ بِشَكْلِ خَاصٍّ وَلْيَسْتَكْثِرْ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ مَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ، وَالْإِطْلَافُ عَلَى مَا فِي الصُّدُورِ، وَمَنْ يَدُهُ سَحَابَةٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْثِرْ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ»<sup>(3)</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ، فَلْيَكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»<sup>(4)</sup>، وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»<sup>(5)</sup>، قَالَ الْمُنَاوِيُّ «أَعْجَزُ النَّاسِ»: أَيُّ: مِنْ أَضْعَفِهِمْ رَأْيًا، وَأَعْمَاهُمْ

(1) يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان.

(2) أخرجه الحاكم: 1/ 669، رقم: (1813)، وقال صحيح الإسناد، وحسنه الألباني.

(3) أخرجه ابن حبان: 3/ 172، رقم: (889)، وصححه الألباني، والأرنؤوط.

(4) أخرجه الترمذي: 5/ 462، رقم: (3382)، وأبو يعلى: 11/ 283، رقم: (6396)،

والطبراني: 3/ 166، رقم: (2004)، والحاكم: 1/ 729، رقم: (1997) وصححه، وحسنه الألباني.

(5) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 1/ 359، رقم: (1042)، وقال الألباني: صحيح

الإسناد موقوفا، وصح مرفوعا، فقد رواه الطبراني مرفوعا في الأوسط: 5/ 371، رقم:

(5591)، وقال الحافظ المنذري: إسناده جيد قوي، وصححه الألباني.

بَصِيرَةً «مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»: أَيُّ: عَجَزَ عَنِ الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- لَا سِيَّمَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ، لِتَرْكِهِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَتَعَرُّضِهِ لِعُضْبِهِ، مَا لَا مَشَقَّةَ فِيهِ، وَفِيهِ قِيلَ:

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً \*\*\* وَسَلِّ الَّذِي أَبَوَاهُ لَا تُحْجَبُ

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه \*\*\* وَبَنِي آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ» (1)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ

عَلَيْهِ» (2)، قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ مِنْ فَضْلِهِ، فَمَنْ لَمْ

يَسْأَلَ اللَّهَ يَبْغِضُهُ، وَالْمَبْغُوضُ، مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ» (3)، لِأَنَّ تَرْكَ السُّؤَالِ تَكْبِيرٌ

وَاسْتِغْنَاءٌ.

وَإِنَّ الدُّعَاءَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ صَلَاحِ الصَّلَاةِ وَخُشُوعِهَا، إِذْ هُوَ الْإِسْتِعَانَةُ

وَالِاسْتِعَاثَةُ بِجَلَالِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَقُدْرَتِهِ؛ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

(1) فيض القدير، للمناوي: 1 / 556.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 1 / 229، رقم: (658) والترمذي: 5 / 456، رقم:

(3373) وحسنه الألباني وعبد القادر الأرناؤوط.

(3) فتح الباري، لابن حجر: 11 / 95، وعمدة القاري، للعيني: 22 / 276.

«أَلْظُوا<sup>(1)</sup> بِنَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»<sup>(2)</sup>، فَبِالْمُجْمَلِ مَنْ أَرَادَ الْخُشُوعَ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَسْأَلْهُ وَلْيَطْلُبْهُ مِنْ خَالِقِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، كَمَا كَانَ يَسْأَلُ نَبِيَّهُ ﷺ، فِيهِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»<sup>(3)</sup>، وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ»<sup>(4)</sup>، «وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ»<sup>(5)</sup>. وَالدُّعَاءُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ دُونَمَا اسْتِعْجَالٍ، وَلَا يَدْعُو الْعَبْدُ الدُّعَاءَ وَيَتْرُكُهُ بِسَبَبِ تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ:

(1) أَلْظُوا: بِمَعْنَى أَلْزَمُوا قَوْلَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فِي دَعَائِكُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَوَاطَّبُوا عَلَى الْمَسْأَلَةِ بِهِ، وَأَثْبَتُوا عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِهِ. انْظُرْ: النِّهَايَةَ، لِابْنِ أَثِيرٍ: 4 / 58، وَتَحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ، لِلْمُبَارَكْفُورِيِّ: 8 / 422.

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ: 29 / 138، رَقْمُ: (17596)، وَالتِّرْمِذِيُّ: 5 / 540، رَقْمُ: (3525)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَالْأَرْنَأُوطُ.

(3) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: 4 / 2088، رَقْمُ: (2722)، وَاللَّفْظُ لغيره، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ: 11 / 117، رَقْمُ: (6557)، وَالنَّسَائِيُّ: 8 / 263، رَقْمُ: (5470)، وَصَحَّحَهُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ، وَالْأَلْبَانِيُّ، وَالْأَرْنَأُوطُ.

(4) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: 2 / 92، رَقْمُ: (1549)، وَابْنُ حِبَانَ: 3 / 293، رَقْمُ: (1015)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَالْأَرْنَأُوطُ.

(5) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ: 21 / 250، رَقْمُ: (13673)، وَابْنُ حِبَانَ: 1 / 283، رَقْمُ: (83) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَالْأَرْنَأُوطُ.

«قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»<sup>(1)</sup>.

## ثانياً: مراتب الناس في الصلاة:

رَتَّبَ ابْنُ قَيِّمٍ الْجُوزِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَرَاتِبٍ خَمْسٍ فَقَالَ:  
أَحَدُهَا: مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُفْرَطِ، وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضُوئِهَا، وَمَوَاقِيَتِهَا، وَحُدُودِهَا، وَأَرْكَانِهَا.

الثَّانِي: مَنْ يُحَافِظُ عَلَى مَوَاقِيَتِهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظَّاهِرَةِ وَوُضُوئِهَا، لَكِنْ قَدْ ضَيَّعَ مُجَاهَدَةَ نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَاسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ.

الثَّالِثُ: مَنْ حَافِظٌ عَلَى حُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَجَاهِدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ، فَهُوَ مَشْغُولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ لِئَلَّا يَسْرِقَ صَلَاتَهُ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ وَجِهَادٍ.

الرَّابِعُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا، وَاسْتَعْرَقَ قَلْبُهُ مَرَاعَةَ حُدُودِهَا، لِئَلَّا يُضَيِّعَ شَيْئًا مِنْهَا، بَلْ هَمُّهُ كُلُّهُ مَصْرُوفٌ إِلَى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي، وَإِكْمَالِهَا وَإِتْمَامِهَا، قَدْ اسْتَعْرَقَ قَلْبُهُ شَأْنَ الصَّلَاةِ وَعِبُودِيَّةَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا.

الخَامِسُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبُهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ ﷻ، نَاطِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ، مُمْتَلِئًا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ، وَقَدْ اُضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ وَالْخَطَرَاتُ، وَارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: 4 / 2096، رقم: (2735).

فَصَفَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلَاتِهِ مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ **عَلَيْهِ**.

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مُعَاقِبٌ، وَالثَّانِي مُحَاسِبٌ، وَالثَّلَاثُ مُكَفِّرٌ عَنْهُ، وَالرَّابِعُ مُثَابٌّ، وَالْخَامِسُ مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِصَلَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ **عَلَيْهِ** فِي الْآخِرَةِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ أَيْضًا بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلَّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ - تَعَالَى - تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ <sup>(1)</sup>، وَلَا أَقَرَّ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَهُ.

### وَصِفَةُ نَافِعَةٍ لِلْخُشُوعِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ، إِنَّمَا مِثْلُ الصَّلَاةِ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَرَادَ مِنْ إِمَامٍ حَاجَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً، إِذَا قَامَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ فِي مَقَامٍ عَظِيمٍ، وَاقِفٌ فِيهِ عَلَى اللَّهِ يُنَاجِيهِ وَيَرْضَاهُ، قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ، يَسْمَعُ لِقِيلِهِ، وَيَرَى عَمَلَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُوسِسُ بِهِ نَفْسَهُ، فَلْيُقْبَلْ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ وَجَسَدِهِ، ثُمَّ لِيَرَمْ بِبَصَرِهِ قَصْدَ وَجْهِهِ خَاشِعًا، أَوْ لِيَخْفِضَهُ، فَهُوَ أَقْلٌ لِسَهْوِهِ، وَلَا يَلْتَفِتْ وَلَا يُحَرِّكْ شَيْئًا بِيَدِهِ وَلَا بِرِجْلَيْهِ، وَلَا شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، وَلْيُبَشِّرْ مَنْ فَعَلَ هَذَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» <sup>(2)</sup>.

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1 / 34-35.

(2) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي: 1 / 185، رقم: (133).



### ثَالِثًا: سِتَّةُ مَشَاهِدَ تَجْعَلُ الصَّلَاةَ قُرَّةَ الْعَيْنِ

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْعَيْنُ أَعْلَى مِنْ مُجَرَّدِ مَا يُحِبُّهُ، فَالصَّلَاةُ قُرَّةُ عُيُونِ الْمُحِبِّينَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؛ لِمَا فِيهَا مِنْ مُنَاجَاةٍ مَنْ لَا تَقَرُّ الْعُيُونُ، وَلَا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وَلَا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَالتَّعَمُّ بِذِكْرِهِ، وَالتَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ لَهُ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ، سَيِّمًا فِي حَالِ السُّجُودِ، وَتِلْكَ الْحَالُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِيهَا، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «قُمْ يَا بِلَالُ؛ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ» <sup>(1)</sup>، لِذَلِكَ يَخْلُصُ الْمَرْءُ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ كَفَّرَتْ سَيِّئَاتِهِ، وَغَفَرَتْ ذُنُوبَهُ، فَخَفَّ حِمْلُهُ الَّذِي يُثْقِلُ كَاهِلَ قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ، وَيُحَسُّ سَاعَتَهَا بِالرَّاحَةِ فَيَطْلُبُهَا وَيَسْتَأْذِنُ إِلَيْهَا لِيَسْتَرَوِّحَ بِهَا، «وَالصَّلَاةُ إِنَّمَا تُكَفِّرُ سَيِّئَاتٍ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا، وَأَكْمَلَ خُشُوعَهَا، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ -تَعَالَى- بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ، فَهَذَا إِذَا انْصَرَفَ مِنْهَا وَجَدَ خِفَّةً مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحْسَ بِأَثْقَالٍ قَدْ وُضِعَتْ عَنْهُ، فَوَجَدَ نَشَاطًا، وَرَاحَةً، وَرَوْحًا، حَتَّى يَتِمَّنِيَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَرَجَ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا قُرَّةُ عَيْنِهِ، وَنَعِيمُ رُوحِهِ، وَجَنَّةُ قَلْبِهِ، وَمُسْتَرَا حُهُ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَزَالُ كَانَهُ فِي سِجْنٍ وَضِيقٍ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهَا، فَيَسْتَرِيحُ بِهَا، لَا مِنْهَا، فَالْمُحِبُّونَ يَقُولُونَ: نُصَلِّيْ فَتَسْتَرِيحُ بِصَلَاتِنَا، كَمَا قَالَ إِمَامُهُمْ، وَقُدُّوهُمْ، وَنَبِيَّهُمْ ﷺ: «قُمْ يَا بِلَالُ؛ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ» <sup>(2)</sup>، وَلَمْ يَقُلْ: أَرِحْنَا مِنْهَا، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جُعِلَتْ

(1) أخرجه أحمد: 225/38، رقم: (23153)، وأبو داود: 4/296، رقم: (4986)،

وصححه الألباني، والأرناؤوط.

(2) سبق تخريجه ص 158.

قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(1)</sup>، فَمَنْ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ، كَيْفَ تَقَرُّ عَيْنُهُ بِدُونِهَا، وَكَيْفَ يُطِيقُ الصَّبْرَ عَنْهَا؟<sup>(2)</sup>، فَعَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ رَاحَتَهُ التي هي الراحة النفسية فِي الصَّلَاةِ، كَمَا أَخْبَرَ أَنَّ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِيهَا، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: نُصَلِّي، وَنَسْتَرِيحُ مِنَ الصَّلَاةِ، فَالْمُحِبُّ رَاحَتَهُ، وَقُرَّةَ عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَالْغَافِلُ الْمُعْرِضُ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ؛ بَلِ الصَّلَاةُ كَبِيرَةٌ شَاقَّةٌ عَلَيْهِ، إِذَا قَامَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى الْجَمْرِ، حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْهَا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَيْهِ أَعْجَلُهَا، وَأَسْرَعُهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ فِيهَا، وَلَا لِقَلْبِهِ رَاحَةٌ بِهَا، وَالْعَبْدُ إِذَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِشَيْءٍ، وَاسْتَرَاحَ قَلْبُهُ بِهِ، فَأَشَقُّ مَا عَلَيْهِ مُفَارَقَتُهُ، وَالْمُتَكَلِّفُ الْفَارِغُ الْقَلْبِ مِنَ اللَّهِ، وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ الْمُبْتَلَى بِمَحَبَّةِ الدُّنْيَا، أَشَقُّ مَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، وَأَكْرَهُ مَا إِلَيْهِ طَوْلُهَا، مَعَ تَفَرُّغِهِ وَصِحَّتِهِ وَعَدَمِ اشْتِغَالِهِ»<sup>(3)</sup>، وَقَالَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي تَقَرُّ بِهَا الْعُيُونُ، وَتَسْتَرِيحُ بِهَا النُّفُوسُ، وَتَخْشَعُ بِهَا الْقُلُوبُ، وَتَأْنَسُ بِهَا الْأَرْوَاحُ، هِيَ الَّتِي تَجْمَعُ سِتَّةَ مَشَاهِدَ»<sup>(4)</sup>، وَذَكَرَ **رَحِمَهُ اللَّهُ** هَذِهِ الْمَشَاهِدَ، وَهِيَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

**الْمَشْهَدُ الْأَوَّلُ: الْإِحْلَاصُ:** «وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ عَلَيْهَا، وَالِدَّاعِي إِلَيْهَا، هُوَ رَغْبَةُ الْعَبْدِ فِي اللَّهِ، وَفِي مَحَبَّتِهِ لَهُ، وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ، وَالْقُرْبِ مِنْهُ، وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ،

(1) أخرجه الطبراني في الصغير: 2 / 39، رقم: (741)، وصححه الألباني.

(2) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية: 1 / 51-52.

(3) رسالة ابن قيم الجوزية إلى أحد إخوانه: 1 / 33.

(4) انظر: رسالة ابن قيم الجوزية إلى أحد إخوانه: 1 / 33.

وَأَمْتِثَالِ أَمْرِهِ؛ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَيْهَا حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا الْمَتَّعَةِ؛ بَلْ يَأْتِي بِهَا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى: مُحَبَّةً لَهُ، وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ، وَرَجَاءً لِمَغْفِرَتِهِ، وَثَوَابِهِ».

**المشهد الثاني: مشهد الصديق والنصح:** «وَهُوَ أَنْ يُفَرِّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ فِيهَا، وَيَسْتَفْرِغَ جُهِدَهُ فِي إِقْبَالِهِ فِيهَا عَلَى اللَّهِ، وَيُجْمِعَ قَلْبَهُ عَلَيْهَا، وَإِقْبَاعِهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، وَأَكْمَلِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ لَهَا ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ:

فَظَاهِرُهَا الْأَفْعَالُ الْمُشَاهِدَةُ وَالْأَقْوَالُ الْمَسْمُوعَةُ، وَبَاطِنُهَا الْخُشُوعُ وَالْمُرَاقَبَةُ، وَتَفْرِيعُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَالْإِقْبَالُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ فِيهَا بِحَيْثُ لَا يَلْتَفِتُ قَلْبُهُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ لَهَا وَالْأَفْعَالُ بِمَنْزِلَةِ الْبَدَنِ، فَإِذَا خَلَّتْ مِنَ الرُّوحِ كَانَتْ كَبَدْنٍ لَا رُوحَ فِيهِ، أَفَلَا يَسْتَحْيِي الْعَبْدُ أَنْ يُوَاجِهَ سَيِّدَهُ وَمَوْلَاهُ وَمَعْبُودَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ»، «وَهُوَ يَرَى الْمُحِبِّينَ فِي أَشْغَالِ مُحِبُّوهُمْ مِنَ الْخَلْقِ كَيْفَ يَجْتَهِدُونَ فِي إِقْبَاعِهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِهَ وَأَكْمَلِهِ، بَلْ هُوَ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ مَعَ مَنْ يُحِبُّهُ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ رَبِّهِ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، وَمَنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ وَعَرَفَ أَعْمَالَهُ، اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يُوَاجِهَهُ بِعَمَلِهِ أَوْ يَرْضَاهُ لِرَبِّهِ وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ عَمِلَ لِمَحْبُوبٍ لَهُ مِنَ النَّاسِ لَبَدَّلَ فِيهِ نُصْحَهُ وَلَمْ يَدْعُ مِنْ حَسَنِهِ شَيْئًا إِلَّا فَعَلَهُ»<sup>(1)</sup>، وَإِتْقَانُ الصَّلَاةِ وَالنُّصْحِ فِيهَا هُوَ أَذَاؤُهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِهَ يُحِبُّهُ اللَّهُ -تَعَالَى- وَيَرْضَاهُ، وَقَدْ وَرَدَتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَحُثُّ الْمُسْلِمَ

(1) طريق الهجرتين وباب السعادين، لابن قيم الجوزية: 1 / 214.

عَلَى الْإِتْقَانِ فِي عِبَادَتِهِ، وَعَمَلِهِ وَسَائِرِ شُؤْنِهِ الدِّينِيَّةِ، وَالدُّنْيَوِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30]، وَرَوَى أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»<sup>(1)</sup>، فَيُسْتَحْسَنُ لِلْعَامِلِ إِذَا عَمَلَ شَيْئًا أَنْ يُحَسِّنَ صُورَتَهُ وَيُتْقِنَهُ إِتْقَانًا تَامًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِمْدَادَ السَّمَائِيَّ الْإِلَهِيَّ، يُسْتَدَرُّ وَيَنْزِلُ عَلَى الْعَامِلِ بِحَسَبِ إِتْمَامِهِ عَمَلَهُ، وَخُلُوصِ نِيَّتِهِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ عَمَلُهُ أَتَقَنَّ وَأَحْكَمَ وَأَكْمَلَ وَأَخْلَصَ، فَحَسَنَاتُهُ تُضَاعَفُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَيَنَالُ بِهِ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ إِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنْ إِتْقَانِ الْعَمَلِ وَإِحْسَانِهِ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ -تَعَالَى- نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: 7]. وَقَالَ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الزمر: 5].

وَعَلَامَةُ الْعَبْدِ الصَّادِقِ فِي عُبُودِيَّتِهِ لِرَبِّهِ أَنَّهُ كُلَّمَا حَانَ وَقْتُ فَرَضٍ أَمَرَ بِهِ إِلَّا لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ تَجِدُهُ قَدْ «بَادَرَ إِلَيْهِ مُكَمَّلًا لَهُ نَاصِحًا فِيهِ لِمَعْبُودِهِ، كَنُصْحِ الْمُحِبِّ الصَّادِقِ الْمَحَبَّةَ لِمَحْبُوبِهِ، الَّذِي قَدْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَعْمَلَ لَهُ شَيْئًا مَا، فَهُوَ لَا يُبْقِي مَجْهُودًا، بَلْ

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند: 349 / 7، رقم: (4386)، والطبراني في الأوسط: 275 / 1،

رقم: (897)، و البيهقي في شعب الإيمان: 233 / 7، رقم: (4930)، وحسنه الألباني.

يَبْدُلُ مَقْدُورَهُ كُلَّهُ فِي تَحْسِينِهِ وَتَزِينِهِ وَإِصْلَاحِهِ وَإِكْمَالِهِ لِيَقَعَ مَوْقِعًا مِنْ مَحْبُوبِهِ فَيَنَالِ بِهِ رِضَاهُ عَنْهُ، وَقُرْبُهُ مِنْهُ»<sup>(1)</sup>، «وَالنُّصْحُ فِي الْعِبُودِيَّةِ، مَدَارُ الدِّينِ عَلَيْهِ، وَهُوَ بَذْلُ الْجُهْدِ فِي إِقْقَاعِ الْعِبُودِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَحْبُوبِ لِلرَّبِّ الْمَرْضِيِّ لَهُ، وَأَصْلُ هَذَا وَاجِبٌ، وَكَمَالُهُ مَرْتَبَةُ الْمُقَرَّبِينَ»<sup>(2)</sup>.

**المَشْهُدُ الثَّالِثُ: مَشْهُدُ الْمُتَابَعَةِ وَالْإِقْتِدَاءِ:** وَهُوَ أَنْ يَحْرِصَ كُلُّ الْحَرِصِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ فِي صَلَاتِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَأَنْ يَتَرَسَّمَ هَدْيَهُ، وَيَمْتَثِلَ أَمْرَهُ، وَيُصَلِّيَ كَصَلَاتِهِ، وَيَعْرِضَ عَمَّا أَحْدَثَ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ: مِنَ الزِّيَادَةِ، وَالتَّقْصَانِ، وَالْأَوْضَاعِ الَّتِي لَمْ يُنْقَلْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ «فَيَبْغِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِحَقِّ أَنْ يَعْتَنِي فِي مُتَابَعَةِ نَبِيِّهِ، وَالسَّيْرِ عَلَى مَنَوَالِهِ، إِذْ إِنَّ خِلَافَ ذَلِكَ سَبَبٌ فِي رَدِّ الْعَمَلِ عَلَى صَاحِبِهِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(3)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ بَلْفُظٍ: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(4)</sup>.

**المَشْهُدُ الرَّابِعُ: مَشْهُدُ الْإِحْسَانِ:** «وَهُوَ مَشْهُدُ الْمُرَاقَبَةِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَهَذَا الْمَشْهُدُ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتین، لابن قیم الجوزية: 1 / 214.

(2) مدارج السالكين، لابن قیم الجوزية: 1 / 130.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: 3 / 184، رقم: (2697)، ومسلم: 3 / 1343، رقم:

(1718).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه: 3 / 1343، رقم: (1718).

يَرَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، مُسْتَوِيًّا عَلَى عَرْشِهِ، يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُدَبِّرُ أَمْرَ الْخَلِيقَةِ، فَيَنْزِلُ الْأَمْرَ مِنْ عِنْدِهِ، وَيَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَتُعْرَضُ أَعْمَالُ الْعِبَادِ وَأَرْوَاحُهُمْ عِنْدَ الْمَوَافَاةِ عَلَيْهِ، فَيَشْهَدُ ذَلِكَ كُلُّهُ بِقَلْبِهِ، وَيَشْهَدُ أَسْمَاءُهُ وَصِفَاتُهُ، وَيَشْهَدُ قِيَوْمًا، حَيًّا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، عَزِيزًا، حَكِيمًا، أَمْرًا، نَاهِيًا، يُحِبُّ وَيُبْغِضُ، وَيَرْضَى وَيَقْضِبُ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَلَا أَقْوَالِهِمْ وَلَا بَوَاطِنِهِمْ؛ بَلْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

وَحَظَّ الْعَبْدُ مِنَ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى قَدْرِ حَظِّهِ مِنْ مَقَامِ الْإِحْسَانِ، وَبِحَسَبِهِ تَتَفَاوَتُ الصَّلَاةُ، حَتَّى أَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَ صَلَاةِ الرَّجُلَيْنِ مِنَ الْفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَقِيَامُهُمَا، وَرُكُوعُهُمَا، وَسُجُودُهُمَا وَاحِدًا.

**المَشْهَدُ الْخَامِسُ: مَشْهَدُ الْمِنَّةِ:** «وَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الْمِنَّةَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، كَوْنُهُ أَقَامَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَأَهْلَهُ لَهُ، وَوَفَّقَهُ لِقِيَامِ قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ فِي خِدْمَتِهِ، فَلَوْلَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا \*\*\* وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

وَهَذَا الْمَشْهَدُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَشَاهِدِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ، وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ تَوْحِيدًا، كَانَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَشْهَدِ أَتَمًّا.

المشهد السادس: مشهد التقصير: «إِنَّ الْعَبْدَ لَوْ اجْتَهَدَ فِي الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ غَايَةً  
الاجْتِهَادِ، وَبَذَلَ وَسْعَهُ، فَهُوَ مُقْصِرٌ، وَحَقُّ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالَّذِي  
يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَابَلَ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالْخِدْمَةِ فَوْقَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَأَنَّ عَظَمَتَهُ،  
وَجَلَالَتهُ -سُبْحَانَهُ- يَفْتَضِي مِنَ الْعُبُودِيَّةِ مَا يَلِيْقُ بِهَا، وَإِذَا كَانَ خَدَمُ الْمُلُوكِ  
وَعَبِيدُهُمْ يُعَامِلُونَهُمْ فِي خِدْمَتِهِمْ بِالْإِجْلَالِ لَهُمْ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالْاحْتِرَامِ، وَالتَّوْقِيرِ،  
وَالْحَيَاءِ، وَالْمَهَابَةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالنُّصْحِ، بِحَيْثُ يُفَرِّغُونَ قُلُوبَهُمْ وَجَوَارِحَهُمْ لَهُمْ،  
فَمَالِكُ الْمُلُوكِ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْلَى أَنْ يُعَامَلَ بِذَلِكَ، بَلْ بِأَضْعَافٍ  
ذَلِكَ.

وَإِذَا شَهِدَ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَمْ يُوفِ رَبَّهُ فِي عُبُودِيَّتِهِ حَقَّهُ، وَلَا قَرِيبًا مِنْ حَقِّهِ،  
عَلِمَ تَقْصِيرَهُ، وَلَمْ يَسْعُهُ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ الِاسْتِغْفَارِ، وَالِاعْتِدَارِ مِنْ تَقْصِيرِهِ وَتَفْرِيطِهِ،  
وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ حَقِّهِ، وَأَنَّهُ إِلَى أَنْ يَعْفَرَ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ، وَيَعْفُو عَنْهُ فِيهَا  
أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ عَلَيْهَا ثَوَابًا، وَهُوَ لَوْ وَفَّاهَا حَقَّهَا كَمَا يَنْبَغِي، لَكَانَتْ  
مُسْتَحَقَّةً عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى الْعُبُودِيَّةِ؛ فَإِنَّ عَمَلَ الْعَبْدِ، وَخِدْمَتَهُ لِسَيِّدِهِ، مُسْتَحَقٌّ عَلَيْهِ  
بِحُكْمِ كَوْنِهِ عَبْدُهُ وَمَمْلُوكُهُ، وَمِنْ هُنَا يُفْهَمُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ  
أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَحُذَيْفَةَ وَغَيْرِهِمَا: «إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ

أَهْلَ سَمَوَاتِهِ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذِبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ» (1) «(2).

### رَابِعًا: السَّرَاقُ يَرْقُبُونَ غَفْلَةَ الْحَارِسِ؛ لِيَدْخُلُوا خِلْسَةً

لَا تَرَاهُ الشَّيَاطِينُ تَدُورُ حَوْلَ حِصْنِ الْمُصَلِّي تَطْلُبُ غَفْلَةَ قَلْبِهِ، وَالْعُبُورَ مِنْ بَعْضِ الثُّلَمِ؛ لِتَذَكَّ حِصْنَ تَوْحِيدِهَا، وَلِتَنْزِلَ قَدَمًا بَعْدَ ثُبُوتِهَا، هَذَا حَالُ الْإِنْسَانِ مَعَ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ، صِرَاعٌ مُسْتَمِرٌّ، لَا رَاحَةَ لِمُؤْمِنٍ مِنْ ذَلِكَ لَا فِي صَلَاةٍ وَلَا فِي غَيْرِ صَلَاةٍ، إِلَّا بَعْدَ لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، لِذَا كَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعَاقِلِ الْحَصِيفِ إِدْرَاكُ شِدَّةِ عِدَاوَةِ الشَّيْطَانِ وَوُضُوحِهَا، وَالتَّبَصُّرُ الدَّقِيقُ بِمَعْرِفَةِ مَدَاخِلِ قَلْبِهِ وَالِاشْتِغَالِ الْحَثِيثِ الْجَادِّ بِمَا يَحْصِنُهَا، وَأَلَّا يَفْتَرِ الْحِرَاسَةَ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ لَا يَفْتَرُ، وَمِيدَانِ الْحِرَابِ قَائِمٌ، لَمْ تَقْوُضْ خِيَامُهُ بَعْدُ، فَوَجَبَ حِينَئِذٍ الْاسْتِيقَاطُ مِنَ الرَّقَادِ، وَالتَّنَبُّهُ مِنَ الْمَنَامِ، وَالتَّمَسُّكُ بِالسَّلَاحِ، بِقَصْدِ الْحِرَاسَةِ وَالتَّأَهُبِ لِقِتَالِ مَنْ لَا يَغْفُلُ، وَلَا يَفْتَرُ، وَلَا يَكُلُّ، وَلَا يَمَلُّ مِنَ الْفِتْكِ بِالْإِنْسَانِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا حَتَّى أَقَلِّ مِنْهَا، قِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَيَنَامُ الشَّيْطَانُ؟ فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: «لَوْ نَامَ لَأَسْتَرْخَنَّا» (3)، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا تَنَبَّهُوا وَتَيَقَّظُوا لِحَرَكَةِ عَدُوِّهِمْ وَحِيلَتِهِ

(1) أخرجه أحمد: 35 / 465، رقم: (21589)، وأبو داود: 4 / 225، رقم: (4699)، وابن ماجه: 1 / 29، رقم: (77)، وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، وحسنه مصطفى العدوي.

(2) رسالة ابن قيم الجوزية لأحد إخوانه: 1 / 33-46، بتصرف.

(3) إحياء علوم الدين، للغزالي: 3 / 147، ومصنّف ابن أبي شيبة: 7 / 197، بلفظ آخر.



فَلَمْ يَرَالُوا مُرَابِطِينَ عَلَى تُغُورِ قُلُوبِهِمْ يَكْلُؤُونَهَا جِدًّا جِدًّا، وَيَحْمِلُونَ عُدَّتَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ يَلْفَحُونَ بِهَا وَجْهَ عَدُوِّهِمُ الْمَاكِيرِ كُلَّمَا فَكَّرَ بِالْإِفْتِرَابِ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا بِإِذْنِ الرَّحِيلِ <sup>(1)</sup>، فَيَفُوزُ وَلِيُّ اللَّهِ، وَيَتَحَسَّرُ عَدُوُّ اللَّهِ، عَنْ صَفْوَانَ **رَحْمَةُ اللَّهِ**، عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاخِ قَالَ: «الشَّيْطَانُ أَشَدُّ بُكَاءً عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ لِمَا فَاتَهُ مِنْ افْتِتَانِهِ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا» <sup>(2)</sup>، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يَتَرَصَّدُ نِقَاطَ ضَعْفِ ابْنِ آدَمَ فِي حَيَاتِهِ، وَيَتَرَقَّبُ حَرَكَاتِهِ وَسَكَاتِهِ، بَلْ وَيَنْصِبُ شَرَكُهُ عَلَى كُلِّ بَابٍ لِيُوقِعَهُ فِيهِ، وَيَفْتِكَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَحَصَّلْ عَلَى هَذَا فَلَا أَقَلَّ عِنْدَهُ مِنْ أَنْ يُعَوِّقَهُ فِي سَيْرِهِ وَطَرِيقِهِ إِلَى رَبِّهِ، فَعَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ مَالِكٍ الطَّائِي **رَحْمَةُ اللَّهِ**، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ فُخُوحًا وَمَصَالِي» <sup>(3)</sup> <sup>(4)</sup>. فَهَكَذَا دَابُّهُ لَا هُوَ يَكُلُ مِنْ طُولِ الْمَسِيرِ فِي إِعْوَائِهِ لِابْنِ آدَمَ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِ، وَلَا هُوَ يَمَلُّ مَعَ انْقِضَاءِ الْمُضُولِ، وَتَطَاوُلِ الدُّهُورِ، وَتَرَاحِي الْعُصُورِ، فَوَجَبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ كُنَزَ فِي قَلْبِهِ تَوْحِيدَ رَبِّهِ، أَنْ يَحْمِيَ كُنُوزَهُ وَيَحْرُسَهَا مِنْ أَيْدِي السَّرَّاقِ، وَأَلَّا يَغْفُلَ الْمُرَابِطَةَ طَرْفَةً عَيْنٍ، لِئَلَّا يُسَلَبَ دِينُهُ، أَوْ تُفْسَدَ أَعْمَالُهُ، وَتَحْبِطَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ

(1) أَيُّ حَتَّى يَجِينَ مَوْعِدُ مَوْتِهِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْمُجَاهَدَةِ وَالْمُقَارَعَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَدْ حَازَ شَرَفَ الْمَوْزِ الْعَظِيمِ، الَّذِي حَرَامٌ عَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَعِيَ كَنَّهُهُ وَتُقَادِرَ قُدْرَتُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

(2) مكائد الشَّيْطَانِ، لابن أبي الدنيا 52 / 1.

(3) المصالي، مُفْرَدُهَا: مِصْلَاةٌ: وَهِيَ شَرَكٌ أَوْ فَخٌّ يُنْصَبُ لِلصَّيْدِ. انظر: العين، للخليل: 7 /

(4) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: 1 / 285، رقم: (553)، وقال الألباني: حسن موقوف.

دِينِهِ؛ أَلَا وَهِيَ الصَّلَاةُ، فَيَحْبِطَ عَلَى إِثْرِهَا سَائِرُ عَمَلِهِ وَيَخْسَرَ خَسَارَةً لَا جَبْرَ لَهَا ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 69-70].

عَنِ الْفَيْضِ بْنِ إِسْحَاقَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**، أَنَّهُ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: مَا يَحْجُبُ التَّوْبَةَ فَلَا تُقْبَلُ؟ قَالَ: «لَمَّا أُمِرَ إِبْلِيسُ أَنْ يَسْجُدَ فَأَبَى ارْتَجَبَتِ السَّمَاوَاتُ تَخْضَعُ، فَلَعِنَ وَأُهْبطَ، فَسَأَلَ النَّظْرَةَ فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا أَفَارِقُ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ حَتَّى يُغْرَغَرَ: قَالَ: «وَعِزَّتِي لَا أَحْجُبُ التَّوْبَةَ عَنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ حَتَّى يُغْرَغَرَ» (1).



(1) اعتلال القلوب، للخرائطى: 1 / 35.

## خَاتِمَةُ رَجَاءٍ

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا، وَاهْدِنَا وَسَدِّدْنَا.. نَسْأَلُكَ رَبَّنَا بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَنْ تَجْعَلَ هَذَا الْكِتَابَ فِي حِرْزِكَ، وَحِفْظِكَ، وَجَوَارِكَ، وَتَحْتَ كَنَفِكَ، وَرِعَايَتِكَ، وَاجْعَلْهُ وَدِيعَةً تُأَدِّيهِمَا لَنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ مَأْجُورِينَ غَيْرَ مُؤْزَرِينَ، وَاجْعَلْ خَيْرُهُ جَرَّايًا، وَنَفْعُهُ سَيَّارًا مُمْتَدًّا مَا كَرَّ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَا وَاحِدُ يَا قَهَّارُ، يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، نَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَأَنْ تَتَقَبَّلَهُ مِنَّا، وَأَنْ تَكْتُبَ لَهُ الْقَبُولَ، وَتُعْظِمَ لَنَا بِهِ الْأَجْرَ وَالْمَثُوبَةَ، وَتُجَاوِزَنَا عَنْهُ خَيْرَ مَا جَاوَزْتَ أَحَدًا بِعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَلِكُلِّ مَنْ قَامَ بِخِدْمَتِهِ، وَأَعَانَ عَلَى إِنْجَاذِهِ، وَلِكُلِّ مَنْ أَفَادَ مِنْهُ عِلْمًا وَعَمَلًا؛ وَانْفَعْنَا وَانْفَعْ بِهِ الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنَّكَ أَنْتَ أَهْلُ ذَلِكَ وَصَاحِبُهُ، يَا مَنْ هُوَ ثَقَّتْنَا حِينَ نَنْقَطِعُ الْحَيْلَ، وَرَجَاؤُنَا حِينَ تَسُوءُ ظُنُونُنَا بِأَعْمَالِنَا، فَإِنَّهُ لَا إِتْقَانَ إِلَّا لِفِعْلِكَ، وَلَا نَفَازَ إِلَّا لِحُكْمِكَ، وَلَا نُورَ إِلَّا مَا سَطَعَ مِنْ لَدُنْكَ، وَلَا قَوَامَ إِلَّا بِتَأْيِيدِكَ، وَلَا تَمَامَ إِلَّا بِتَرْتِيكِ، وَلَا صَلَاحَ إِلَّا بِتَهْدِيكِ، وَلَا مَضَاءَ إِلَّا بِتَسْيِيكِ، وَلَا هِنَاءَ إِلَّا فِي عَطَائِكَ، وَلَا اهْتِدَاءَ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ، وَلَا تَدْبِيرَ إِلَّا بِإِبْرَامِكَ، إِنْ ذَكَرْنَاكَ فَبِتَوْفِيقِكَ، وَإِنْ وَصَفْنَا فَبِتَأْيِيدِكَ،

سُبْحَانَكَ بُسِطَتْ بِالْخَيْرَاتِ يَدُكَ، وَعُرِفَتْ الْهِدَايَةُ مِنْ عِنْدِكَ، فَمَنْ التَّمَسَّكَ لِدِينٍ  
أَوْ دُنْيَا وَجَدَكَ، نَسَأَلُكَ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَعَظَمَتِكَ وَكَمَالِكَ أَنْ تَنْظُرَ لِهَذَا الْكِتَابِ  
نَظْرَةَ رَحْمَةٍ، فَتَرْحَمَ بِهِ كَاتِبَهُ، وَقَارِئَهُ، وَوَالِدَيْهِمْ، وَكُلَّ مَنْ اتَّصَلَ بِهِمْ مِنَ الْقَرَابَاتِ  
فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، رَحْمَةً لَا شِقَاءَ بَعْدَهَا أَبَدًا أَبَدًا، فَإِنَّ هَذَا وَمِثْلَهُ لَا يَلِيقُ إِلَّا  
بِكْرَمِكَ وَفَضْلِكَ وَبِرِّكَ وَإِحْسَانِكَ، وَوَاللَّهُ لَوْلَا مَا اسْتَقَرَّ فِي أَحْشَاءِ الْقُلُوبِ أَنَّ  
كَرَمَكَ رَبَّنَا يُصِيبُ هَذَا وَضِعْفَهُ مَا تَجَسَّرْنَا وَتَجَرَّئْنَا عَلَى طَلِبِنَا هَذَا، إِذْ نَعْلَمُ مِنْ  
أَنْفُسِنَا التَّقْصِيرَ الْكَثِيرَ فِي جَنْبِ رَبِّ كَبِيرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ،  
وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ التُّكْلَانُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى النَّبِيِّينَ  
مِنْ إِخْوَانِهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى سَبِيلِهِ وَنَهَجِهِ وَمَنَوَالِهِ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ.

تَمَّتْ هَذِهِ الْمَادَّةُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَمْدِهِ، وَكَمَالِ مَنَّتِهِ وَإِحْسَانِهِ، ضَحَى يَوْمِ  
الْأَرْبَعَاءِ، مِنْ تَارِيخٍ: 2 رَجَب، 1441 هـ، الْمُوَافِقُ: 26 / 2 / 2020 م.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِبِنْعَمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ



# مُخْتَصَرَاتُ الْكِتَابِ

- 1 ..... لَفْتَةُ الْقَارِئِ الْكَرِيمِ
- 2 ..... تَقْرِيطُ رَقْمٍ: (1)
- 3 ..... تَقْرِيطُ رَقْمٍ: (2)
- 4 ..... مُقَدِّمَةٌ

## 11 ..... الفصل الأول:

- مَفْهُومُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، وَحَقِيقَتُهُ، وَأَقْسَامُهُ، وَدَرَجَاتُهُ، وَحُكْمُهُ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى
- 11 ..... عَدَمِهِ
- 12 ..... أَوَّلًا: مَفْهُومُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ وَحَقِيقَتُهُ
- 12 ..... مَفْهُومُ الْخُشُوعِ: لُغَةً وَاصْطِلَاحًا:
- 18 ..... ثَانِيًا: خُشُوعُ الصَّلَاةِ قِسْمَانِ:
- 19 ..... ثَالِثًا: الْخَاشِعُونَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
- 21 ..... رَابِعًا: الْخُشُوعُ رُوحُ الصَّلَاةِ وَلُبُّهَا
- 23 ..... خَامِسًا: الصَّلَاةُ ثَقِيلَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
- 24 ..... سَادِسًا: دَرَجَاتُ الْخُشُوعِ:
- 26 ..... سَابِعًا: حُكْمُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ
- 31 ..... ثَامِنًا: أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ

تَاسِعًا: يَتَرَتَّبُ عَلَى عَدَمِ الْخُشُوعِ أَمْرَانِ: ..... 34

**الفصل الثاني:** ..... 35

أَسَاسُ الْخُشُوعِ، وَرَأْسُهُ الْقَلْبُ ..... 35

أَوَّلًا: مَحَلُّ الْخُشُوعِ: الْقَلْبُ ..... 36

ثَانِيًا: خُشُوعُ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ خُشُوعَ الْبَصَرِ ..... 42

ثَالِثًا: السَّبْقُ سَبْقُ الْقُلُوبِ لَا الْأَبْدَانِ ..... 45

رَابِعًا: الْفَرْقُ بَيْنَ خُشُوعِ الْإِيمَانِ وَخُشُوعِ النِّفَاقِ ..... 50

خَامِسًا: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ..... 53

سَادِسًا: الْاِلْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ وَضُدُّهُ ..... 59

نَمَازُجُ مِنَ الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ لَا يَلْتَفِتُونَ فِي صَلَاتِهِمْ: ..... 63

الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ **جَلَّ جَلَالُهُ** فِي الصَّلَاةِ: ..... 77

وَصِفَةُ قَلْبِيَّةٍ لِابْنِ قَدَامَةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: ..... 78

**الفصل الثالث:** ..... 80

طَرْدُ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ، وَبَعَثُ الْيَقْظَةِ فِي طَرِيقِ الرَّحْمَنِ ..... 80

أَوَّلًا: أَسْبَابُ طَرْدِ الْوَسْوَسةِ ..... 81

ثَانِيًا: دَفْعُ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ ..... 84

ثَالِثًا: مُجَاهَدَةُ وَسْوَسةِ الصَّلَاةِ، مَمَحَاةُ اللَّذْنُوبِ: ..... 85

رَابِعًا: الْخَنَاسُ جَائِئٌ عَلَى صُدُورِ النَّاسِ ..... 87

خَامِسًا: وَسْوَسةُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ ..... 92

دُعَاءُ اسْتِعَادَةٍ: ..... 99

- 99 ..... سَادِسًا: الْعَزْمُ الصَّادِقُ فِي التَّحَصُّنِ مِنْ مَطْمَعِ الْعَدُوِّ.
- 101 ..... سَابِعًا: الْقَلْبُ حِصْنٌ، وَحِمَايَتُهُ فَرَضٌ عَيْنٍ.
- 102 ..... ثَامِنًا: أَلْفَاظُ ذَاتُ صَلََةٍ:
- 102 ..... 1. الْخُصُوعُ:
- 102 ..... **الْفَرْقُ بَيْنَ الْخُصُوعِ وَالْخُشُوعِ:**
- 103 ..... 2. الْخَشْيَةُ:
- 108 ..... 3. الْخَوْفُ:
- 116 ..... **الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ:**
- 119 ..... 4. الْقُنُوتُ:
- 121 ..... 5. الْإِنَابَةُ:
- 125 ..... 6. الْإِحْبَاتُ:
- 126 ..... 7. الطَّمَأِينَةُ:
- 128 ..... 8. وَجَلَّ الْقَلْبُ:
- 130 ..... 9. فَشَعْرِيرَةُ الْجِلْدِ:
- 132 ..... 10- السَّكِينَةُ:
- 135 ..... **الفصل الرابع:**
- 135 ..... مُعِينَاتُ الْخُشُوعِ، وَمَشَاهِدُهُ، وَمَرَاتِبُ الصَّلَاةِ.
- 136 ..... أَوَّلًا: الْأُمُورُ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.
- 162 ..... ثَانِيًا: مَرَاتِبُ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ:
- 163 ..... وَصِفَةُ نَافِعَةٍ لِلْخُشُوعِ.

- ثَالِثًا: سِتَّةُ مَشَاهِدَ تَجْعَلُ الصَّلَاةَ قُرَّةَ الْعَيْنِ ..... 164
- رَابِعًا: السُّرَاقُ يَرْقُبُونَ غَفْلَةَ الْحَارِسِ؛ لِيَدْخُلُوا خِلْسَةً ..... 171
- خَاتِمَةُ رَجَاءٍ ..... 174
- محتويات الكتاب ..... 176

